

دير السيدة العذراء بزموس

البابا ديوسقوروس الإسكندري

حامى الإيمان ٤٤٤ - ٤٥٤ م

تأليف مثلث الرحمات مار غريغوريوس بولمي

مطران بغداد والبصرة للمريان الأرثوذكسي

مراجعة وتقديم مثلث الرحمات نيافة أنبا غريغوريوس

أمقف عام الدراسات اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي

عني بنشره نيافة الحبر الجليل أنبا إيسيدوروس

أعدّه للنشر يمطس البرموسي

البابا

ويسقوروس الاسكندري

حامي الايمان ٤٤٤ - ٤٥٤ م

تحقيقات تاريخية لاهوتية تحليلية انتقائية
تتناول أوق فترة من حياة الكنيسة المسيحية

(ولو قطعت يدي وسألت عنها على القرطاس لما وثقت)

“البابا ويسقوروس”

تأليف مثلث الرسومات

مار غريغوريوس بولس بهنام

مطران بغداد والبصرة للسريان الأرثوذكس ١٩٦٨ م

مراجعة وتقديم مثلث الرسومات

الأببا غريغوريوس أسقف عام للدراسات العليا

اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي

أعزة للنشر

غني بنشره

ينسطنس البرموسي

نيافة المحبر الجليل الأببا إيسيزورس

أسقف ورئيس وير السيرة العزراء برموس

اسم الكتاب : البابا ديسقوروس الأسكندري حامي الإيمان أمام
مُنبر التاريخ

تأليف : مثلث الرّحمت مارِ غريغوريوس بولس بهنام مُطران بغداد
والبصرة للسريان الأرثوذكس

مراجعة وتقديم : مثلث الرّحمت الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات
العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي .

عني بنشره : نيافة الحبرُ الجليل الأنبا إيسيدورس أسقف ورئيس دير
السيدة العذراء برموس

أعدّة للنشر : يُسَطُس البرموسي

النّاشر : دير السيدة العذراء برموس

الطبعة : الطبعة الأولى ١٩٧٦

الطبعة الثانية ١٩٨٦

الطبعة الثالثة ٢٠١١/٩/١٨ (٧ توت ١٧٢٨ ش)

نياحة مُعلّمنا القديس البابا ديسقوروس (٢٥)

جمع كمبيوتر : مجدي إسحق ٢٧٨٧٣٣٢ - ٠١٨

تصميم الغلاف : أحد الآباء الرهبان بالدير

المطبعة : مطبعة الدلتا - 

www.deltapress.net

٢٤ ش الدلتا سبورتنج - ت: ٥٩٠١٩٢٣ / ٢٠٣ +

صورة الغلاف : أيقونة حديثة سنة ١٩٨٦ من أعمال المُتّيح الأستاذ

الأمامي والخلفي : الدكتور / إيزاك فانوس

رقم الإيداع : ٢٠١١/١٦٨٤٥

التّرقيم الدّولي : 977-5088-72-0

حقوق الطبع محفوظة للدير



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية (الـ١١٧)

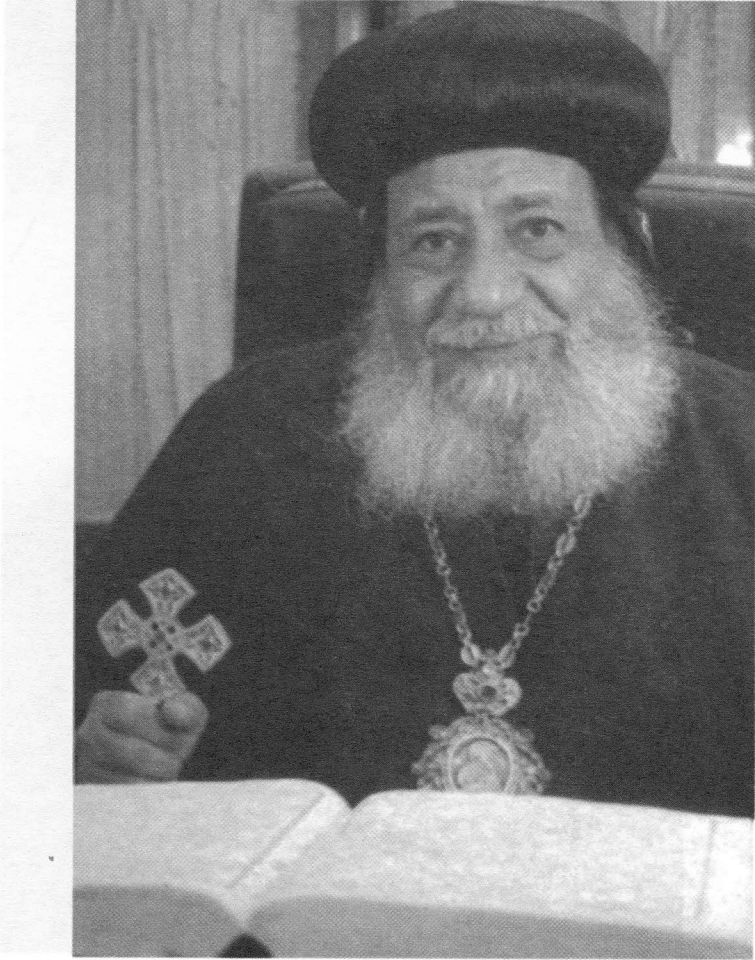


قداستة ماراغناطيوس زكا الأول عيواص
بطيريك أنطاكية وسائر المشرق للسريريان الأرثوذكس



مثلت النيابة الحبر الجليل الأنبا إيسيدورس
أسقف ورئيس دير السيدة العذراء برموس

والبحث العلمي



مثلث الرحمات نيافة الأنبا غريغوريوس
أسقف عام الدراسات اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

وصية



مثلث الرحمات مار غريغوريوس بولس بهنام

مطران بغداد والبصرة للسريان الأرثوذكس

نشر خاص
نشر مجمع
البارك الشمس الكرمي الأستاذ، من عطفة على تعاونهم له
ينشر المبر هذا الكتاب

وصية

بناء على وصية مثلث الرّمات المطران
مؤلف الكتاب مار غريغوريوس بولس
بهنام تولينا مراجعة الكتاب والتقديم
له ، وجعله ضمن منشورات أسقفية
البحث العلمي .

الأبنا غريغوريوس

أسقف عام

لدراسات الغيا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

شكر خاص :

نشكر جمعية الأبنا غريغوريوس أسقف البحث العلمي الأخ
المبارك الشمس الإكليزيكي الأستاذ / منير عطية على تعاونهم أن
ينشر الدير هذا الكتاب .

تقديم

بقلم : الأنبا غريغوريوس
أسقف عام للدراسات العليا
والثقافة القبطية والبحث العلمي

كتاب ذو قيمة عالية . هو كتاب في التاريخ ، لكنّه أيضاً كتاب في اللاهوت العقائدي واللاهوت المقارن .

والكاتب حُجَّة وعالم راسخ ، دافع عن قداسة البابا ديسقوروس الأسكندري ، وعن إيمانه ، وسلامة موقفه ، وعِناده في الحق ؛ وصُموده أمام العواصف الجائحة ، والأعاصير العاتية ، التي لطمت سفينة حياته ، ولكنّه وقف شامخاً أمامها كالجبل الأشم لا يلين ولا ينثني . لم يسجد لغير ربّه ، ولم يركع لبشرٍ ، علا فوق العواصف والصدقات ، وسما فوق العداوات والحُصومات ، تابعاً دائماً لسيّده ومُعلّمه يسوع المسيح الذي اجتاز السّماوات ، إلى ما فوق السّماوات .

ديسقوروس بابا الأسكندرية ، وبطل الأرثوذكسيّة تلميذ كيرلس عمود الإيمان ، ومن قبله أثناسيوس حامي الإيمان ، كان في شجاعته أسداً حامياً للعرين ، كان يزأر بالحق الأرثوذكسي بصوتٍ هادر في مجمع خلقيدونية الذي عقدوه عليه ليُحاكموه ، فكان على الرغم من أصوات المعارضين يعلو بصوته فوق جميع الأصوات ، لأنّ صوته صوت الحق ، يقول مُعلّماً لكلّ الأجيال ” أنا لا أجدّد ، أنا أحمي وديعة الإيمان . أنا لا أبتدع .

أنا أحافظ على ما قال به الآباء .

لم يستطيعوا في مجمع خلقيدونية أن ينالوا من سلامة إيمانه . كُلَّ ما قالوه أنهم حرموه لأنه لم يحضر عندما استدعوه فقد قال أناطوليوس أسقف القسطنطينية ” لم يُعزل ديسقوروس بسبب الإيمان ، بل لأنه دُعِيَ ثلاث مرّات إلى المجمع ولم يحضر “ ولم ينجلوا أن يتهموه بذلك وهم الذين منعه . بإجراءات حراسة مُشدّدة للحيلولة دونَ خروجه حتى لا يحضر جلسة المجمع - وكانت جلسة غير قانونية عُقدت قبل موعدها المقرّر بيومين ، وحضرها أقل من نصف أعضاء المجمع - تقرّر فيها عزل البابا ديسقوروس ثم نفيه إلى جزيرة غنغرة .

إنَّ مؤلّف الكتاب أنصف البابا ديسقوروس حقّه ، وأثبت بطولته وثبات إيمانه ، ورُسوخ اعتقاده ، وسلامة آرائه ، ودافع عنه دفاعاً مجيداً ، مُبرئاً ساحته من كُلِّ اتهامات ظالمة ، مُؤيِّداً كُلَّ ذلك بالوثائق التاريخية الأصيلة ، بصورة مُشرقة مُضيئة ، جعلت البابا ديسقوروس يُضئ التاريخ بهالته الرُّوحانية ، وقامته الرّسوليّة .

ومن آيات الإنصاف عند المؤلّف العظيم ، أنّه على الرغم من أنّه من أعلام الكنيسة السّريانية الإنطاكية الأرثوذكسيّة ، إلّا أنّ محبّته للحق جعلته يُبرز أخطاء دمنوس رئيس أساقفة أنطاكية في زمن البابا ديسقوروس ، مُحلّلاً موقف دمنوس المتخاذل في مُناصرة ثيودوريطس أسقف قورش ، وهيبا أسقف الرّها ، وأنصار الأثنيّة في المسيح ، دُعاة النّسطوريّة التي شجّبها مجمع أفسس الأوّل .

غير أن مؤلف الكتاب العالم ، لم يُدافع فقط عن البابا ديسقوروس ،
مُبرهنًا على أرثوذكسيَّة إيمانه ، وقداسة سيرته ، وبطولته الرُّوحية كابن
للرُّسل وحامي الإيمان ، بل دافع كذلك دفاعاً حاراً مجيداً عن مجمع أفسس
الثاني الذي هاجمه الغربيون كثيراً ووصفوه في مؤلفاتهم أنه مجمع لُصوصي .
فقد أثبت المطران غريغوريوس طيب الذكر وخالد الأثر ، أنه مجمع مسكوني
اجتمعت له كُلُّ مقومات المجامع المسكونية القانونية ، من حيث تشكيله
ونظامه وسير أعماله ، مُبرزاً بصورة وضاءة الحريَّة التامة التي كفلها البابا
ديسقوروس لأعضائه في التعبير عن آرائهم ، بوصفه الرئيس الأوَّل
للمجمع ، يُعاونه الرئيس الثاني يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم ، والرئيس
الثالث تلاميوس رئيس أساقفة قيصرية كبادوكية ، وأنَّ البابا ديسقوروس لم
ينفرد بإصدار قرارات ، ولا فرض إرادته على أحد ، ولا أجبر أحداً من
الأساقفة على توقيع على قرار لا يرضاه ضميره ، وأنه كان لا يحكم في
قضية إلاً أخيراً ، وبعد أن يُعطي الفرصة لأعضاء المجمع أن يُبدوا آراءهم ،
مُحترماً كُلَّ الاحترام حتى آراء خصومه ومُخالفيه في الرأي ، وأنه ما كان ينطق
باسم أحد من الأساقفة الذين حكم عليهم المجمع بحرم آرائهم النَّسطورية
من أمثال فليبانوس رئيس أساقفة القُسطنطينية وثيودوريطس أسقف قورش
ودمنوس رئيس أساقفة أنطاكية ، من غير أن يُلقبه بألقاب الاحترام لمركزه
الأسقفي ، فضلاً عن أنه يصفه بتقي الله ، وصفي الله ، ومُحب المسيح ،
وغيرها من ألقاب التَّكريم .

ولقد برهن المطران غريغوريوس مؤلف الكتاب على أن مجمع أفسس

الثاني قام بالمهمة التي انعقد من أجلها خير قيام ، ولم يتجاوز حدود اختصاصاته التي نصَّ عليها منشور الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في قرار انعقاده وتشكيله ، وأنه لم يضع تحديداً جديداً للإيمان غير ما سبق فقرره مجمع نيقية ومجمع أفسس الأول .

أنا نترحم على المتنيح المثلث الرَّحمت المطران غريغوريوس بولس بهنام ، الذي وضع مخطوط هذا الكتاب القيم الثمين ، والذي صار هو بدوره وثيقة تاريخية عقائدية جليلة ، تُضمُّ بفخر إلى وثائق تاريخنا المجيد .

والكتاب يُعدُّ فوق هذا ، وثيقة جديدة تُسجِّل الوحدة الإيمانية العقائدية التي تجمع بين كنيسة الأسكندرية الأرثوذكسية وكنيسة أنطاكية السُّريانية الأرثوذكسية ، هذه الوحدة التي جمعت بين الكنيستين إيمانياً وعقائدياً منذ عهد قديس الكنيسة السُّريانية الأرثوذكسية ، العظيم في البطارقة والملافنة ، البطريرك مار ساويريوس الأنطاكي ، الذي نُفي من أجل الإيمان ، وعاش في مصر ست سنوات ، ووقد في الرَّبِّ فيها ، والذي نذكره في القُدَّاس بين قديسي الكنيسة اللامعين من أمثال أثناسيوس وكيرلس وديسقوروس .

رَحِمَ اللهُ المطران مار غريغوريوس بولس بهنام ، ونيح رُوحه الأمانة في أحضان الآباء القديسين ، ملافنة وعُلماء كنيسة الله الأرثوذكسية .

الأنبا غريغوريوس الخميس ٦ من مايو (آيار) ١٩٧٦

أُسقف عام للدراسات العليا ٢٨ من برمودة ١٦٩٢

والثقافة القبطية والبحث العلمي

مُقدِّمة

إذا كانت الحركات المسكونية صادقة ، وإذا كان القيام بها خالصاً لوجه الرب يسوع المسيح ، ووحدة كنيسته التي مزقتها العصور الماضية، يجب على أساطين المسيحية ، في عصرنا هذا أن يعودوا بنزاهة إلى إنصاف تاريخهم الذي ظلَّمتُه أقلام كثيرة ، وشوَّهت معالمه الصحيحة طبقاً لأهواء بشرية يجب التَّجرُّد عنها اليوم ، وبهذا يُمكنهم إعادة الحق إلى نصابه . فينسوا الماضي المرير ويبدأوا حياة جديدة واحدة مُطابقة لحياة الرب يسوع وتعاليمه السمحاء .

لا شك أن مُنتصف القرن الخامس الميلادي كان الذروة العليا في ذلك الشقاق المؤلم استمرَّ كلَّ هذه القرون ، ولا شك أن تلك الفترة كانت أدق فترة في تاريخ حياة الكنيسة المسيحية ، فإذا استطعنا اليوم التَّخلُّص من مُلابساتها ومُفارقاتها الكثيرة ، وإذا استطعنا أن ننفض الغبار الذي تراكم على أفكارنا وأقلامنا من الماضي المؤلم ، وإذا استطعنا اليوم اكتساب الشجاعة الأدبية الكافية ، فنعتبر نفوسنا جميعاً مسؤولين أمام الله وكنيسته وأمام التاريخ الإنساني العام في بقاء هذا الشقاق مُستمرّاً إلى ما لا نهاية وإذا قُدِّر لنا أن نعود إلى ينابيع الحق ، أقول ، إذا كان بمقدورنا أن نعمل ذلك لا شك أننا سنجد نفوسنا نتلاقى عند النقاط الأساسية ، وبالتالي نُعيد وحدة الكنيسة لمجد المسيح وتألُّق الحق في كنيسته المجاهدة .

وددنا في بحثنا هذا العودة إلى الماضي واستعراض نصوص التاريخ كما

سجلها ثقات المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث المريرة لنخرج بالنتيجة الصالحة من عملنا هذا ، فنضع كل ذلك على بساط البحث أمام ذوي الضمائر السليمة ممن يهتمون خير الكنيسة العام ويؤملهم بقاء القطيعة مستحكمة بين أبنائها ذوي الإيمان الواحد والأهداف الروحية الواحدة بعيداً عن النزوات البشرية المتشعبة .

إننا نعتقد أن دراسة فترة قصيرة لا تتجاوز السنتين فقط (٤٤٩ - ٤٥١ م) تكفي لتكون ميدان البحث في هذا الموضوع الجليل ، وبالطبع تبرز أمامنا في هذه الفترة حياة البابا ديسقوروس الأسكندري ، دراسة واقعية صريحة توصلنا إلى جميع الأهداف التي توخيناها من بحثنا هذا ، فإذا استطاع التاريخ الصحيح إلقاء اللوم على ذلك الرجل لا شك سيكون ديسقوروس وصحبه قد أوقعوا المسيحية في ورطات كانت يُغنى عنها ، وإذا استطاع هذا التاريخ تبرئة ساحته مما ألصق به يكون قد قام بجهد رسولي بطولي ، وإن كانت تلك العصور لم تُقدّر قيمة ذلك الجهاد .

ظهر ديسقوروس على مسرح التاريخ المسيحي كبابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ثم كأحد رؤساء المجمع الأفسسي الثاني سنة ٤٤٩ م وعلى أثر إرفضاض ذلك المجمع الذي لم يكن إلا امتداداً للمجمع الأفسسي الأول المنعقد سنة ٤٣١ م رمى الرجل بأمر كثيرة لقيامه بأدوار هامة في مناقشات ذلك المجمع الأمر الذي أسبى فهمه لا لصالح الكنيسة بل طمعاً في غمط حق تاريخي واضح ثم رأيناه منفيّاً في غنغرة في سنة ٤٥١ م بأمر من الملك مرقيان . والتاريخ وحده هو الذي رآه

إمّا مُتلبساً بما أُسندَ إليه وإمّا بريئاً منه .

كان ديسقوروس فرداً إنسانياً مُجرّداً ، فما باله يتلاطم وجهها إلى وجهه ضد قياصرة عِظام ؟ فأية قُوّة تحميه ؟ وأيّة حقيقة يُدافع عنها ، وبما يُدافع ؟ هذه أمور يجب ألاّ يجهلها التّاريخ ليصل إلى كنهها فيستخلص منها حقائق يتبنّاها ويتخذ منها عبراً للدّرس والاستنتاج . إنّ ديسقوروس وضع نفسه هدفاً للضيق والنفي والتّشريد ضارباً عرض الحائط أُجّمة العرش البطريكى وهيبة المنصب الأسمى في الكنيسة فماذا في قلبه يا تُرى ؟ أكان عبقرياً له فلسفته الخاصّة وإيمانه العميق بتلك الفلسفة أم كان خيالياً لا يُقيم للحقائق والواقع وزناً؟؟

لا شك أنّ أقلاماً كثيرة سجّلت الشيء الكثير في سيرة الرّجل ، مُنذُ القرن الخامس إلى الآن وكأنّ تلك الأقلام لم تترك مزيداً لمستزيد ، فهل بقى لنا شيء من تلك الحياة للنقد والتّحليل والتّأمل ؟ وهل يمكن أن نستخلص ما يُعطينا مجالاً للمناقشة في حياة ملؤها العذاب والآلام والمرائر ؟

حقاً إنّ لرجال التّاريخ العِظام حياتين ، حياة بارزة أمام مجرى التّاريخ البشري وحياة خفيّة لا يمكن الإهداء إليها إلاّ بالغوص إلى ينابيعها الأصيلة ، فهل تُرى كان ديسقوروس من هذا الطراز ؟ ذلك ما سيُدلنا عليه البحث الدّقيق في مجرى حياته وذلك ما ستهدينا إليه هذه الدّراسة التّاريخيّة الصريحة . ولعلّ أعظم دليل أنّ لهذا البطريك حياتين ما وصفه به زكريّا الفصيح مُؤرخ القرن السّادس حيث قال (كان ديسقوروس رجلاً

مُسَالِماً وَمُجَاهِداً ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مَقْدَرَةَ كِيرْلُسَ وَقَابَلِيَّتَهُ (^١)
ويظهر أنَّ هذا القول جامع مانع لحياة ديسقوروس ، تحملنا فقرته الأولى
على التأمُّل في حالتين مُتَنَاقِضَتَيْنِ اجتمعتا في نفس واحدة ، فصفته الأولى
كونه (مُسَالِماً) وصفته الثانية كونه (مُجَاهِداً) وقد يتبادر إلى الذهن
أنَّ المسلم ليس مُجَاهِداً ولا المجاهد مُسَالِماً ، وكيف يمكن أن تجتمع هاتان
الْخِلَّتَانِ فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ؟

أما الفقرة الثانية فإنها مُقَابِلَتُهُ بِالْقَدِيسِ كِيرْلُسَ ، سَلَفَهُ الْعَظِيمَ ، عَلَى
كُرْسِيِّ الْبَابَوِيَّةِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ ، وَهِيَ قَوْلُ الْمُؤَرِّخِ (وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ
مَقْدَرَةَ كِيرْلُسَ وَقَابَلِيَّتَهُ) حَقّاً إِنَّ كِيرْلُسَ حُجَّةٌ فَرِيدَةٌ فِي الْعَقِيدَةِ الْمَسِيحِيَّةِ
فِي نَظَرِيَّاتِ التَّجَسُّدِ سِوَاءِ فِي الشَّرْقِ أَمْ فِي الْغَرْبِ وَأَضْحَتْ تَعَالِيمَهُ
الْإِلَهَوِيَّةَ مَقْيَاساً وَحِيداً لِلأَرْتُوذُكْسِيَّةِ الْحَقَّةِ لَدَى الْجَانِبَيْنِ مِنْذَ إِرْفَاضِ
مَجْمَعِ أَفَسُسِ الْأَوَّلِ عَامِ ٤٣١ م ، وَمَعَ ذَلِكَ نَعْتَقِدُ أَنَّ الظُّرُوفَ الَّتِي وُجِدَ
فِيهَا كِيرْلُسَ كَانَتْ غَيْرَ الظُّرُوفِ الَّتِي وُجِدَ فِيهَا دِيسْقُورُوسَ ، فَوَأَنَّ كَانَ
دِيسْقُورُوسَ تَلْمِيزَ كِيرْلُسَ وَعَنْهُ أَخَذَ مَبَادِيَّ الْجِهَادِ وَمِنْهُ تَعَلَّمَ الْحِكْمَةَ
وَالرِّشَادَ ، إِلَّا أَنَّ دِيسْقُورُوسَ تَأَلَّبَتْ ضَدَّهُ السُّلْطَانِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ فِي
جِهَادِهِ أَثْرَةً وَانْتِقَاماً . وَمَعَ ذَلِكَ ، فَقَدْ وُجِدَتْ شَجَاعَتُهُ تَفُوقُ كُلَّ وَصْفٍ ،
وَلَا أَدِلُّ عَلَى تِلْكَ الشَّجَاعَةِ مِنْ قَوْلِهِ يَوْمَ طُلِبَ إِلَيْهِ التَّوْقِيعَ عَلَى قَرَارَاتِ
تُخَالِفُ مَا فِي ضَمِيرِهِ وَهُوَ (وَلَوْ قَطَعْتَ يَدِي وَسَالَ دَمُهَا عَلَى الْقَرطَاسِ

(١) زكريا الفصيح ص ١١٩ .

لَمَا وَقَّعت (٢) فمهمة التاريخ اليوم دراسة هذه الحالة النفسية الصارمة ،
فهل الرجل مؤمن إيماناً يزري بالقطع والدم وحتى الموت في سبيل ذلك
الإيمان ، أم هو ذو أحلام باطلة لا تقوى على الوقوف أمام الحقيقة ؟
ذلك أيضاً ما ستظهره المناقشة التاريخية في صفحاتنا القادمة .

فإذا كانت حياة ديسقوروس العملية متعلقة بسياق حوادث مجمع
أفسس الثاني ، وإذا كانت التهم الكثيرة التي وُجّهت إليه بدون حساب
على أثر مناقشات ذلك المجمع ، يجب أن ندرس كل ذلك ونناقشه لتظهر
لنا الحقيقة السافرة ، فإلى تلك الدراسة أيها القارئ اللبيب .

إنّ دراسة حياة البابا ديسقوروس الأسكندري دراسة علمية دقيقة
طبقاً للمصادر التاريخية التي بين أيدينا والمعاصرة له ، تُطلِعنا بحق على أدق
فترة من حياة الكنيسة المسيحية ، بل أنّ حياته تكون نقطة الانطلاق في
فهم الأسباب التاريخية التي أدّت إلى انفصام الوحدة المسيحية ، وإذا رغبت
المسيحية في إعادة وحدتها اليوم طبقاً للحركات المسكونية المعروفة ، واجبها
أن تعود فتُنصّف التاريخ نفسه ، التاريخ الذي شوّهته العصور المتعاقبة
اعتباراً من منتصف القرن الخامس إلى اليوم ، فإنصافاً للتاريخ وخدمة
للحقيقة المسيحية المطلقة نضع على بُساط البحث تحرياتنا هذه مُستعينين
بعطف الرب يسوع المسيح وإلهام رُوحه القدّوس .

غريغوريوس

(٢) زكريّا ص ١٢١ .

(١)

ديسقوروس ومجمع أفسس الثاني

سنة ٤٤٩ م

لَمَّا كانت مُهمة ديسقوروس الرّسولية قد نجحت أو أخفقت في مجمع أفسس الثاني الذي هو بحق امتداد لمجمع أفسس الأوّل ، ولَمَّا كان هذا المجمع مصدر نعمة أو نقمة لهذا البابا الأسكندري ، علينا إذن أن ندرس علاقته بهذا المجمع من كافة أطرافها ، ومنها سيظهر لنا وللتأريخ مدى نجاحه أو إخفاقه في عمله الرّسولي مِنْ جهة ، وما أصاب الكنيسة المسيحيّة مِنْ خير أو شر كنتيجة لذلك المجمع مِنْ جهة ثانية . وسندرس ذلك في النِّقاط التالية .

(١) هل لديسقوروس يد في التّمام ذلك المجمع ؟ وما هي أسباب التّمامِ ؟

إذا كان ديسقوروس قد سَخَّر ذلك المجمع لأغراض مُنحرفة خاصّة أو إذا كان يبغى التّأثير عليه لإعلان مبادئ جديدة تُخالف مبادئ المجمع المسكونيّة السّابقة ، - مجمع نيقية ٣٢٥ م ومجمع القُسطنطينيّة ٣٨١ م ومجمع أفسس الأوّل ٤٣١ م - إذا كان يود ديسقوروس القيام بكُلِّ ذلك كان يجب أن تُكون له يد في عقدهِ ، فهل له تلك اليد ، أنّ القول بِنَعْمٍ أو لا سيتضح من الأسباب الحقيقيّة الّتي مِنْ أجلها التّام ذلك المجمع ،

فما هي تلك الأسباب ؟

إنَّ مجمع أفسس الأوَّل (٤٣١ م) أعطى الصيغة النهائية للتعبير اللاهوتيَّة الخاصَّة بالعقيدة المسيحيَّة العامَّة وذلك استناداً إلى تحديدات المجمعين المسكونيين السَّابقين (مجمع نيقية ومجمع القُسطنطينيَّة) إلاَّ أنَّ ذلك لم يقضِ على النزوات البشريَّة المنحرفة في إثارة الفتن وخلق الفوضى في صفوف الكنيسة ، وإغلاق راحة الكنيسة والدولة بأن واحد ، وذلك بسبب تشبُّث دُعاة الأثينيَّة المتطرفة في آرائهم التي شجَبَهَا مجمع أفسس الأوَّل واندفاعهم للانتقام مِنْ جهة ، ووجود مبدأ الامتزاج والاختلاط والتَّلاشي في طبيعتي المسيح مِنْ جهة ثانية ، وخضداً لشوكتي هذين المبدأين المتناقضين عُقدت ثمانية مجامع ^(١) إقليميَّة لمعالجة القضايا المعلقة بين سنتي ٤٣١ - ٤٤٩ م وتُبوِّدلت عشرات الرِّسائل بين بعض أقطاب الكنيسة لوضع حدٍ لِتطرّف بعضهم في إثارة الفتن وبذر الشُّكوك في قلوب

(١) مجمع يُوحنا الأنطاكي ضد المجمع الأفسسي سنة ٤٣١ م . مجمع طرسوس في نفس الموضوع سنة ٤٣٢ م . مجمع أنطاكية ضد القديس كيرلس سنة ٤٣٢ م . مجمع حلْب للمصالحة بين كيرلس ويوحنا الأنطاكي وأساقفتهمَا بوساطة أفاق مُطران حلْب ٤٤٢ م . مجمع في أنطاكية لبحث قضية أثناسيوس أسقف البيرة ٤٤٤ م . مجمع بيروت لمحاكمة هيبا مُطران الرّها ودانيال أسقف حران ٤٣٨ م . مجمع في أنطاكية لبحث قضية هيبا أيضاً ٤٤٨ م . مجمع فلايانس القُسطنطيني ضد أوطيخا ٤٤٨ م .

المؤمنين ^(٢) وتلاقى عشرات من أساطين المسيحية من دينيين ومدنيين في مجالات مختلفة سعياً وراء التفاهم العام في قضايا الإيمان أو خضد شوكة رئيس صارم مستبد يظلم مرؤوسيه ويخلق الأكاذيب ضدهم ^(٣) وصرفت في كل هذه الأمور جهوداً فكرية ومادية ضخمة ، حبذا لو صرفت في العمل المنتج البناء .

كل ذلك والدولة والكنيسة تضيقان ذرعاً في وسط هذه المآسي التي تتكرر كل يوم ، فوق كل منبر وفي كل مكان ونادٍ ومجتمع ، والقيصر يكاد يهمل مشاغله السياسية والعسكرية فتضحى إمبراطوريته المترامية الأطراف عرضة لأعدائها ، وقد بذل القيصر ثيودوسيوس الثاني أعظم الجهود لتنقية الجو الكنسي ^(٤) إلا أن جهوده ذهبت سدى ، فكان من الطبيعي أن يقف هذا القيصر حائراً كيف يصرف الأمور ويُعيد الهدوء والاستقرار إلى طول البلاد وعرضها ، وبينما كان هذا القيصر المؤمن يعمل على انفراج هذه الأزمات ، وإذا بأزمة جديدة تظهر على قاب قوسين من بلاطه في

^(٢) الرسائل المتبادلة بين هيبا وماري مطران فارس سنة ٤٣٣ م وبين ديسقوروس الأسكندري ودومنوس الأنطاكي سنة ٤٣٨ م وبين دومنوس الأنطاكي وفلابيانس القسطنطيني سنة ٤٤٨ م .

^(٣) الاضطرابات التي أثارها بعض الأساقفة ضد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣٣ م وأعمال هيبا في الرها ٤٣٥ - ٤٣٨ م وأعمال دومنوس الأنطاكي في كنائس أنطاكية وحمص وطرشوس وغيرها .

^(٤) ميخائيل الكبير ص ١٧٦ .

القُسطنطينيَّة نفسها ، وهي وإن كانت شرارة ضئيلة انطلقت من أحد أديرة القُسطنطينيَّة إلا أنَّها أخذت تُنذر بِشَرِّ جديد مُستطير وتلك الشرارة كانت عقيدة أوطيخا .

وقد وَصَفَ بعد ذلك القس يُوحنَّا الأسكندري رئيس كتبة المجمع الأفسسي الثاني تلك الحال مُوجهاً خطابه إلى أساقفة المجمع ، قال (أيُّها القديسون ، إنَّ شتاءً قاسياً هاجم كنائس الشرق المقدَّسة ، بل اندلعت نار عاتية من شرارة صغيرة)^(٥) وقد صرَّح يُوحنَّا نفسه واصفاً حالة الكنيسة بما يلي (وإن كُنَّا نحن لا نُصرِّح فإنَّ الأعمال نفسها تُعلِنُ الاضطراب في الكنائس ، والقلق في المراغيث والأرهاق لكم أيُّها الكهنة القديسون وتقلبات سيئة في المسكونة كلها)^(٦) وكان كل ذلك مثاراً للشُّكوك في قلوب المؤمنين إذ يردف يُوحنَّا نفسه فيقول (وتُثار إشاعات سيئة تُدمي قلوب المؤمنين)^(٧) .

إنَّ تعليم أوطيخا اصطدم بما قرَّره المجمع الأفسسي الأوَّل من جهة ، وما يعتقده فلايانس أسقف القُسطنطينيَّة - وفي نفسه رواسب من عقيدة الأثنيَّة المتطرفة في المسيح - من جهة ثانية^(٨) .

وقد حاول الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني خنق هذه الشرارة قبل

^(٥) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسرِّيانية ص ١٨٦ .

^(٦) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسرِّيانية ص ١٧٤ .

^(٧) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسرِّيانية ص ١٧٥ .

^(٨) تاريخ زكريَّا الفصيح ص ٩٩ .

اندلاعها وأشار إلى الأسقف فلايانس عدم الاكتراث بها أملاً في انطفائها ، إلا أن فلايانس باندفاعه ضدها لاعتناقه عقيدة الأثينية المتطرفة أعطاها أهمية كبرى أدت إلى تنشيطها بل اندلاعها بعنف وقوة وقد صرح ثيودوسيوس في الرسالة المشتركة التي أنفذها إلى المجمع الأفسسي الثاني بالاتفاق مع والنطينوس ملك الغرب ، بجهوده في عدم البحث العقيم في هذه القضية قال (كم رغبنا أن تبقى كنائس الله المقدسة بعيدة عن هذه الفتنة فتستمرروا أنتم في أداء واجباتكم الكهنوتية الجليلة في كنائسكم ، وكنتم بغنى عن تحشم هذا العناء ، إلا أن محب الله الأسقف فلايانس أصر على إثارة البحث في الإيمان تعقياً على آراء الفاضل رئيس الدير أوطيخا ، وإذ عقد مجعاً لبحث القضية رغبنا إليه مراراً العُدول عن ذلك لأن البحث يُثير اضطرابات جديدة مؤكدين أن الإيمان الذي قرره الآباء القديسون الأرثوذكسيون في مجمع نيقية والذي أيده مجمع أفسس المقدس كافٍ ، وكم طلبنا إلى هذا الأسقف محب الله (فلايانس) أن يحجم عن أمور مثل هذه خوفاً من أن يحدث الاستمرار في بحثها اضطرابات عامة جديدة فلم يُحجم ، وعليه رأينا أن لا مناص من دعوة مجمعكم المقدس هذا ليؤيد الإيمان في ملأ من أساطين الأساقفة القديسين)^(٩) .

إنَّ السُّطورَ الماضية تُوضحُ كُلَّ أسباب التمام المجمع الأفسسي الثاني امتداداً لمجمع أفسس الأول ، كما نَهتدي إلى أن أهدافه كانت الثلاثة الآتية :

^(٩) رسالة القيصرين في أعمال مجمع أفسس الثاني بالسُّريانية ص ٢٧٥ .

(أ) تُوصِلًا إلى تنقية الجو الكنسي العام .

(ب) تأييداً للتَّحديد الدَّقِيق الَّذِي أعطاه المجمعان المسكُونيان النيقاوي والأفسُسي الأوَّل لسائر النَّظريات اللاهوتية الإيمانية والابقاء عليها كما هي بدون زيادة أو نقصان .

(ج) خَضدًا لشوكة بعض الأساقفة المتطرفين في إثارة الفتن وبث الفرقة في صميم المسيحية .

وبعد هذا كُلّه يُمكن التَّصريح بما يلي :

(أ) إنَّ ديسقوروس لم يُذكَر له أي تأثير في التمام المجمع لا مِنْ قَرِيب ولا مِنْ بَعِيد ، وبالتالي لم تُكُنْ له أيَّة يد في كُلِّ ذلك ، إنَّما وَرَدَتْ إليه الدَّعوة مِنْ القيصريين أسوة بسائر الأساقفة ، كما سِيَتضح مِنْ رسالة القيصريين إليه ومنطوقها ينطبق على منطوق الرِّسائل الموجهة إلى سائر أساطين المسيحية الآخرين بدون زيادة ولا نُقصان ، وعليه فلم تُكُنْ له أيَّة يد أو أغراض خاصة أو عامَّة ضد أيَّة جهة مِنْ الجهات الكنسية في العالم .

(ب) إنَّ الدَّعوة جاءت مِنْ قِبَل القيصريين ، ثيودوسيوس الثاني ووالنطينوس ؛ بل إنَّ ثيودوسيوس هو صاحب الحق الشرعي في توجيه الدَّعوة إلى الأساقفة لعقد المجمع المسكُوني استناداً إلى الحُقوق الملكية الموروثة منذ عهد قُسطنطين الكبير .

(ج) لم يَكُنْ بوذ القيصري دعوة المجمع إلى الانعقاد مُجدِّداً حذراً مِنْ

حُدُوث مُشكلات كنسيَّة جديدة إنَّما اضطرُّوا اضطراراً طبقاً لِمَا
وَرَدَ في الرِّسالة الموجهة إلى المجمع .

ولكي يتأكَّد القارئ مِنْ أنَّ ديسقوروس كان بعيداً كُلِّ البُعد عن أي
تأثير في عَقْد هذا المجمع نُدرج فيما يلي الرِّسالة الَّتِي وُجِّهت إليه مِنْ
القيصرين ، وإليك ذلك .

مِنْ الإمبراطورين القيصريين ثيودوسيوس ووالنتينوس الغالبين المؤيدين
بالظفرِ المكرَّمين إلى ديسقوروس بابا وبطريك الأسكندرية .

لقد أصبح معروفاً أنَّ مُهمتنا ومساعدتنا العامَّة مُؤيدة ومُعززة بمخافة الله
وإذا كان الله مُؤيداً ما نرمي إليه فلا شك أنَّ الأعمال سَتَبْلُغ أسمى
الغايات ، وقد دُعينا لِنُشر ما يُطابق إرادة الله فنصرف كُلَّ جهد في حِفْظ
الأمن والاستقرار بين أبناء رعيتنا ، لكي يَكُونَ إيماننا الحقيقي مُؤيداً
بمخافة الله المطلقة ، والآن وقد ثارت الفتنة وأوشكت أن تُشوهُ التَّعليم
الرَّسولي والإيمان المستقيم ، بِشَرِّ إذا تجاذبته الأفكار المتباينة أفسد ضمائر
النَّاس ونفوسهم وشوَّشها ، فلم نَرِ مِنْ الصَّواب إطلاق العنان لِشُرور هذه
صفاتها لئلاً يُؤدِّي إهمالنا إلى إهانة تلحق بذات الله ، ولهذا الأسباب أمرنا
باجتماع الأساقفة مُحِبِّي الله المتصفين بالتَّقوى المطلقة والإيمان الحقيقي
المستقيم ، فتبحث الأُمور بحثاً دقيقاً ويسود الإيمان المستقيم الحقيقي الَّذِي
يُرْضِي الله .

وعليه نرغب إلى قداستك الحُضور إلى أفسس قاعدة آسيا
(الصُّغرى) بدون تَلَكُّؤ ، وتصحب معك عشرة مطارنة مِنْ ولايتك ،

وعشرة أساقفة من الأفاضل ومن ذوي المقدرة والكفاءة ، والمعرفة والعلم والإيمان المستقيم الخالي من الضلال ، وحذراً من أن يُومَ الجمع فيقلقه بعض الذين لم يدعوا فليجتمع فقط المطارنة الذين وجهنا إليهم رسائلنا ودعوناهم إلى تلك المدينة ، ليأتوا باهتمام كبير ويتداولوا باحثين الأمور بحثاً دقيقاً فيستأصل الضلال من شأفته ، ويتألق مُشرقاً الإيمان الحقيقي المستقيم الذي يُرضي المسيح مُخلصنا ، الإيمان الذي يجب أن يتمسك به الناس الآن وفي المستقبل بدون انحراف بتأييد الله تعالى ، وليصدق لأمرنا هذا كُلٌّ مَنْ يرغب التَّسامي عن الضلال بكُلِّ ما أُوتي من قُوَّة فيحضر إلى المكان المعين ، ومن يتخلف عن الحضور بدون سبب قاهر فلا يجد عُذراً أمام الله أو أمام عطفنا ، ويُصبح مُذنباً أمام ضميره . أمّا ثيودوريطس أُسقف قورش فليمكث في كنيسته طبقاً لأمرنا السابق فلا يحضر هذا الجمع المقدس إلا إذا وافق الجمع نفسه بعد اجتماعه ومداولته في الأمر ، وإذا حدث شقاقٍ ما بسببه فليبتِ الجمع في ذلك . هذا ما أمرنا به ورسمناه (١٠) .

أعطيت هذه الإرادة في الثلاثين من آذار بيد الماجدين زنون وفوستومينوس .

إذا تصدَّى أي ناقد لمناقشة هذه الإرادة الإمبراطورية مناقشة دقيقة لا شك أنه سيجد فيها العناصر التالية .

(١٠) أعمال مجمع أفسس الثاني بالشريانية ص ٣ وميخائيل الكبير ص ١ : ١٧٨ .

١. لا يمكن القدح بصحة الإرادة وأصالتها وصدورها مباشرة عن القيصرين المؤمنين وهما المسؤولان الرئيسان في حفظ الأمن والاستقرار في الدولة والكنيسة بأن واحد ، وعليه نحن نرى أن الحق الشرعي في دعوة الجامع المسكونية هو لثيودوسيوس باعتباره إمبراطور الشرق استناداً إلى العرف القديم المرعي منذ عهد الملك قسطنطين الكبير الذي كان أول ملك مسيحي تبني هذا الحق فدعى الجمع المسكوني الأول إلى الانعقاد في مدينة نيقية سنة ٣٢٥م وتقلده الملوك المتعاقبون بعده ، في دعوة بقيّة الجامع المسكونية ، إلا أن ثيودوسيوس أراد اشراك والنطينوس في هذه المهمة الدقيقة ربما تلطفاً وتأدباً وربما ترضية أو إسكاتاً للغرب .

٢. إن الدعوة لعقد الجامع المسكونية لم تنط بأي أسقف من الأساقفة لا في الشرق ولا في الغرب حذراً من بروز زعامات دينية مطلقة خلافاً لنظام الكنيسة العام ، وعليه فلم يُطلعنا التاريخ عن أي رئيس أساقفة أو أسقف حاز هذه الصلاحية ، فدعوة الملوك صائبة جداً من الوجهة الإدارية ؛ بل كانت ضرورية لحفظ النظام في الجمع ، وطالما للملك الصلاحية في الدعوة لعقد الجامع المسكونية فهو أيضاً يستمر في مسؤولية حفظ النظام وتطبيق النظم والقوانين التي يُصدرها ذلك الجمع مع العلم لم يتدخل الملوك مطلقاً في المناقشات اللاهوتية التي دارت في الجامع لا من قريب ولا من بعيد ، إذ اعتبر الجمع ذاته السلطة التشريعية واعتبر الملوك السلطة التنفيذية ، وعليه كان يكتب الجمع كنتيجة عامة لأعماله رسالة يرفعها إلى الملك لتنفيذ ما يجب تنفيذه من قرارات الجمع ؛ كما حدث في

جميع المجامع السابقة فَيُطَبِّقُ القانون بواسطة السُّلطة المدنيَّة ، وجرياً على هذه القاعدة فقد رَفَعَ مجمع أفسُس الأوَّل تقريره العام إلى الملك ثيودوسيوس نفسه ، كما اعتمد هذه القاعدة بمجمع أفسُس الثاني ، ومثلهُمَا عمل مجمع خلقيدونية إذ رَفَعَ نتيجة أعماله إلى الملك مرقيان فأصدر الأوامر اللازمة طبقاً لقرارات المجمع .

٣. إنَّ أسلوب الرِّسالة يختلف تماماً عمَّا كان يكتب الأسقف إلى زميله الأسقف الآخر ، فإنَّه يحمل صفات السُّلطة الزَّمنيَّة العامَّة ، ومع ذلك فإنَّه يُراعي مركز المخاطب الدِّيني فيقول له مثلاً (يا مُحِبُّ لِه) (قداستك) كما يشفع أسماء الأساقفة الآخرين بنفس هذه الصفات أو الألقاب ، حتَّى المتهمين بالانحراف المذهبي قبل أن تصدر إدانتهم من مجمع شرعي ، فإنَّ ثيودوسيوس نفسه يُسمَّى فلايانس أسقف القُسطنطينيَّة (مُحِبُّ لِه) قبل إدانته مع عِلْمِهِ الأَكِيد بِمُيُولِهِ الأَثْنِينِيَّة المتطرفة الَّتِي شَجَبَهَا مجمع أفسُس الأوَّل شجَباً صريحاً وعنيفاً ، كما يُلقب أوطيخا (الفاضل رئيس الدير) أو (العفيف رئيس الدير) وذلك قبل أن يصدر الحُكْم الجمعي بإدانته .

ومَّا يُلاحظ أنَّ الملك في هذه الرِّسالة يحفظ للمجمع كرامته الشرعيَّة ، فليس صادعاً أو قاطعاً بل هو يترك تنفيذه على قرار المجمع ، فإنَّه يمنع حُضُور ثيودوريطس المجمع ولكنَّه يترك ذلك إلى قرار المجمع فيقول (فليمكث في كنيسته ... فلا يحضر المجمع المقدَّس إلَّا إذا وافق المجمع كُله على ذلك ... وإذا حدث شقاق بسببه فليبت في ذلك المجمع المقدَّس

ذاته) .

٤ . نلاحظ أنَّ القيصر يُوضح بصراحة أسباب إصدار هذه الإرادة أو المرسوم ويذكر الأسباب التي دعت إلى توجيه هذه الدَّعوة إلى الأساقفة وهي المحافظة على الإيمان ، فُعيّن مصدر تقرير الإيمان الذي يُريد المحافظة عليه ، وهو الإيمان المقرّر في مجمع نيقية والمؤيد في مجمع أفسس الأوّل . وهو يحرص كُلاًّ الحرص على تأييد هذا الإيمان الذي يُعلنه رسولياً يتوجب على كُلاًّ مسيحي اعتناقه بدون تردّد ، ويشجّب أي أسقف أو كاهن يُحاول الزيادة أو النقصان فيه .

٥ . نلاحظ أنَّ هذه الرّسالة الموجهة إلى ديسقوروس لا تختلف بصيغتها أو بأسلوبها أو جوهرها عن بقية الرّسائل الموجهة إلى بقية أساقفة العالم المسيحي فينعتة بنفس النُّعوت ويُعطيه نفس الكرامة لا أكثر ولا أقل ، الأمر الذي يُؤكد أنَّ ديسقوروس لم يطلب إلى القيصر عقد هذا المجمع وبالتالي يكون ديسقوروس خالي الذّهن قبل وُزود هذه الدَّعوة عمّا يتطلبه الوضع من قول أو عمل شأنه شأن بقية الأساقفة المدعوين ، بخلاف ما حدث في المجمع الذي تلاه فإنّ الغرب طلب بإلحاح وبشدّة عقد ذلك المجمع وأوضح ما كان يُبيته من قول وعمل ، وقد اتضح كُلاًّ ذلك أثناء جلسات ذلك المجمع .

٦ . يظهر أنَّ القيصر قد أصدر أمراً مُسبقاً في عدم حضور ثيودوريطس أسقف قورش وهنا يُكرّر هذا الأمر بقوله (أمّا ثيودوريطس أسقف قورش فليمكث في كنيسته طبقاً لأمرنا السّابق) ويظهر من

الخطاب نفسه أنّ الإمبراطور كان يخشى حدوث فتنة بسبب حضوره وعليه يردف (وإذا حدث شقاق بسببه فليبت المجمع في ذلك) الأمر الذي يؤيد أنّ ثيودوريطس كان متلبساً بآراء تُخالف الإيمان الذي قرّرتهُ المجمع المسكونيّة السّابقة وأنّ الإمبراطور كان متأكداً من ذلك .

٧ . نجد الإمبراطور يُشدّد كثيراً على المحافظة على الإيمان الأمر الذي يُوضح الغاية الأولى للمجمع فيقول (وقد ثارت الفتنة الآن وأوشكت أن تُشوّه التّعليم الرّسولي والعقيدة المستقيمة والإيمان الموروث) ويُعرّف هذا الإيمان بقوله (الإيمان الحقيقي الذي يُرضي الله) وتسمعه مرّة أخرى يُؤكد، (فيستأصل الضلال من شافته ويتألق مُشرقاً الإيمان الحقيقي الذي يُرضي المسيح مُخلصنا) ومن المؤكّد أنّ الرّسالة تقصد بالإيمان الحقيقي إيمان المجمعين النيقاوي ٣٢٥م والأفسسي الأوّل ٤٣١م وقد وردَ ذلك صريحاً في رسالة ثانية وجّهها الإمبراطور إلى ديسقوروس يسند فيها إليه مسؤولية الرّئاسة الأولى في المجمع مُشدّداً النكير على المنحرفين ، تقول الرّسالة (أمّا الذين تجاسروا على وضع زيادة أو إتيان نُقصان في تحديدات الإيمان المقرّرة في مجمع نيقية والمؤيّدّة في مجمع أفسس فإننا نأمر ألاّ تكون لهم جولة في المجمع المقدّس) .

٨ . نلاحظ أمراً هاماً جداً وهو أنّ القيصريين يحنّان آباء المجمع بالحفاظ على بُنود الإيمان التي وضعها القديس كيرلس الأسكندري وأيّدها مجمع أفسس الأوّل ، ولم يكن في النية مُطلقاً وضع أي تنقيح أو تعديل على ما وردَ في تلك البُنود ، وبالتالي لم تكن الخطّة التي دعى المجمع من

أجلها أحداث أيّة زيادة أو أي نقصان في تلك البُنود المقرّرة الواضحة طبقاً
لِمَا وَرَدَ في البند السّابق .

٩ . نلاحظ من هذه الرّسالة أنّ القيصرين يُحدّدان الصفات التي يجب
أن يمتاز بها الآباء المدعّون إلى الجمع فيجب أن يكونوا (من الأفاضل
ومن ذوي المقدرة والكفاءة والمعرفة والعلم والإيمان المستقيم الخالي من
الضلال) وعلى هذا الأساس تمنع الرّسالة حضور الجمع المتلبسين بالميل
المنحرف المناهضة لِمَا قرّره الجمعان المسكونيان في نيقية وأفسس ، وقد
ذكرت على وجه التّخصيص ثيودوريطس أسقف قورش وحدثت من
حضوره إلاّ بعد موافقة الجمع ، وافترضت الرّسالة حدوث شقاق بسبب
حضور هذا الأسقف فقالت (وإذا حدث شقاق بسببه فليبت الجمع
نفسه في ذلك) والغاية من تعيين صفات آباء الجمع بهذه الصورة كانت
طبعاً الاعتماد على ذوي الضمائر السليمة الصّالحة والإيمان الحي ، المطابق
للبنود المقرّرة وهذا ما عنّته الرّسالة بقولها (فليجتمع فقط المطارنة
والأساقفة محبّو الله الذين وجّهنا إليهم رسائلنا ودعوناهم إلى تلك المدينة
ليأتوا باهتمام كبير ويتداولوا باحثين الأمور بحثاً دقيقاً فيستأصل الضلال
من شأفته ويتألق مشرقاً الإيمان الحقيقي المستقيم الذي يُرضي مُخلصنا) .

١٠ . هناك تعبير هام جداً في هذه الرّسالة وهو كلمة الفتنة ، ويظهر
أنّ كلّ رأي خالف بنود الإيمان المقرّرة في الجمعين المسكونيين المشار إليهما
إنّما هي فتنة ، وعليه فقد قالت الرّسالة (والآن وقد ثارت الفتنة وأوشكت
أن تُشوّه التّعليم الرّسولي) وإنّنا نلاحظ من هذا كلّهُ أنّ رواسب الأفكار

الشاذة الراسخة في بعض النفوس الأسقفية ذات الأهواء والمطامع كان يُعبر عنها بكلمة فتنة ، والدليل على ذلك ما ذكرته الرسالة في عدم الرغبة في انضمام ثيودوريطس أسقف قورش إلى المجمع الأمر الذي كان متوقفاً أن يُثير الفتنة والقلق بين صفوف الأساقفة ذوي الضمائر الصالحة ، أو ذوي النفوس الضعيفة ، وقد ألفت الرسالة بمسؤولية ذلك على عاتق المجمع نفسه بقولها في ثيودوريطس (وإذا حدث شقاق بسببه فليبت المجمع في ذلك) .

١١ . يظهر من كل ما تقدم أن الغاية من دعوة المجمع كانت تأييد ما قرّر في مجمع أفسس السابق والحذر من إحداث أية زيادة أو نقصان في بُنود الإيمان المحددة في ذلك المجمع ، وبالتالي أن هذا المجمع لم يكن إلا استمراراً لما ورد سابقاً ، فلم يجتمع لتحديد مقررات إيمانية جديدة أو إعلان عقيدة تُخالف العقائد السابقة المقررة في مجعني نيقية وأفسس ، كما علمنا سابقاً .

وربما يتبادر إلى الذهن أن هذا المجمع عُقد لتلافي النواقص الحاصلة في مجمع أفسس السابق ، إلا أن الأمر ليس كذلك ، لأنّ البحوث التي أعطى لها حقها من الدقة والوضوح والقرارات التي اتخذت في سائر جلسات المجمع ظهر أنّها أغضبت بعض الأساقفة المنحازين صراحةً لدعاة الأثينية المتطرفة وأخذت بذورها تنمو رويداً رويداً حتى أصبحت (فتنة) حقيقية يخشى شرّها ، ويخشى على الإيمان المحدد سابقاً أن تُشوّهه تلك النفوس التي حملت الفكرة المتطرفة ، وخاصةً لما ظهرت بوادرها لدى فلايانس

أُسقف القُسطنطينيَّة وأوسابيُّوس أُسقف دوريليوم وثيودوريطس أُسقف قُورش ، الَّذِينَ حملُوا تلك البُذور حيَّة في نفوسهم منذ إرفضاض مجمع أفسُس الأوَّل وغيرهم من الأساقفة المنتفذين في الكنيسة ، وزاد الأمر سوءاً عند ظُهور أوطيخا على مسرح التنازع فجاء بتعليم يُعارض صراحة المجمع المسكُونيَّة من جهة ، ويُناقض آراء الأساقفة الأثنينيين من جهة ثانية ، وظهَرَ أنَّ الإيمان المحدَّد سابقاً بِدِقَّة وكمال يجب إنقاذه من شِدَقى هذه الكمَّاشة ذات الفكين المتصادمين ويُعاد له رونقه ويُعزَّز باجتماع جديد قطعاً لدابر الأثنينيَّة المتطرفة من جهة وقمعاً لرأي أوطيخا من جهة ثانية ، وإن كان رأي أوطيخا لم يظهر على حقيقته في هذا المجمع ، وعلى هذه الأُسُس اعتبر مجمع أفسُس هذا استمراراً أو امتداداً لمجمع أفسُس الأوَّل ، ولم تُثَرَّ فيه غير النِقاط الَّتِي أُثِرت سابقاً في مجمع أفسُس الأوَّل وخاصَّةً أنَّ شعاره الأساسي كان (لا زيادة ولا نُقصان) في بُنود الإيمان المقرَّرة في المجمع المسكُونيَّة السَّابقة .

(٢)

طابع المجمع

إنَّ طابع هذا المجمع يظهر مِنْ أسباب عَقْدِه وأهدافه وسير جلساته التي برهنت على رُوح مسيحيَّة صحيحة .

أمَّا أسباب عَقْدِه فقد اتضحت لنا في السُّطور القليلة الماضية ، وأمَّا أهدافه فقد ظهرت مِنْ المراسيم الملكيَّة الموجهة إلى الأساقفة والتي عيَّنت نقاط المناقشات فيه ، وهذه النقاط لا تتعدَّى الوجهتين اللتين أوضحناهما مرَّات عديدة وهما ، إزهاق الضلال وتأييد الحق المحدد في الجامع المسكونيَّة السابقة ، ولما كان هذا المجمع امتداداً لِمَا سَبَقَهُ فليست له بُحُوث إيمانيَّة تتعدَّى هاتين النقطتين بأي حال مِنْ الأحوال .

ويظهر طابع هذا المجمع أكثر وضوحاً إذا تغلغلنا في مُناقشاته الحرَّة التي سادتها رُوح الصِّراحة مِنْ جهة ورُوح الحرِّيَّة الفكريَّة مِنْ جهة ثانية ، ورُوح الثبات على المبادئ الإيمانيَّة المقرَّرة سابقاً مِنْ جهة ثالثة .

إنَّ رُوح الصِّراحة تتجلَّى في مناسبات كثيرة أثناء المناقشات ، ففي افتتاح إحدى الجلسات مثلاً نسمع المحاور الصِّريحَةَ التَّالية . يفتِّح تلك الجلسة يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم والرئيس الثاني للمجمع فيوجه خطابه إلى إخوانه الأساقفة كما يلي (ليذكر الأساقفة القديسون أي جواب تَلَقُّوا مِنْ نواب مُحب الله القديس لاون أسقف روما وَمِنْ مُحب الله دومنا (دومنوس) أسقف كنيسة أنطاكية) .

إنَّ الرَّئِيسَ الأُسْقِفَ يوبيناليوس هُنَا يُوجِهَ سُؤْلاً صرِيحاً وَيَطْلُبُ جَوَاباً صرِيحاً لِيُطْلِعَ الأَساقِفَةَ عَلَى نَوَايَا كُلِّ مِنَ الجَانِبِينَ المِشَارِ إِلَيْهِمَا بِصِرَاحَةٍ لِلنَّظَرِ فِي الأُمُورِ الَّتِي أُسْنَدَتْ إِلَيْهِمْ لِيَتَحَرَّوْهَا بِدِقَّةٍ وَيُؤَدِّوا عَنْهَا الجَوَابَ لِلمَجْمَعِ بِصِرَاحَةٍ ، وَالمَعْرُوفُ أَنَّ ثَلَاثَةَ أَساقِفَةٍ أَرْسَلَهُمُ المَجْمَعُ لِيُكَلِّفُوا نُوابَ أُسْقِفِ كَنِيسَةِ رُومَا وَأَرْسَلَ غَيْرُهُمْ إِلَى دَوْمَنُوسِ أُسْقِفِ أَنْطَاكِيَةِ الَّذِينَ تَغَيَّبُوا عَنِ حُضُورِ تِلْكَ الجَلِيسَةِ وَالمَوْجُودِينَ فِي المَدِينَةِ ، فَأدلى هؤُلاءِ الأَساقِفَةَ بِمَا تَلَقَّوهُ مِنَ الجَوَابِ مِنْ كِلَا الجَانِبِينَ المَتَغَيِّبِينَ ، وَكَانَ الجَوَابُ وَاضِحاً وَصرِيحاً . وَلَوْ تَتَبَعْنَا مُنَاقِشَاتِ المَجْمَعِ كُلِّهَا لِأَلْفِينَاها تَتَسِمُ بِهَذِهِ الرُّوحِ الصَّرِيحَةِ ^(١) .

وَقُدِّمَتْ لِلمَجْمَعِ قَضِيَّةٌ هِيَا مُطْرَانِ الرَّهَا ، فَطَلَبَ المَجْمَعُ الوَثَائِقَ الرِّسْمِيَّةَ بِإِدَانَتِهِ وَفِي الجَلِيسَةِ التَّالِيَةِ قُدِّمَتْ تِلْكَ الوَثَائِقُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الآتِيَةِ . أَعْلَنَ يُوحَنَّا الكَاتِبَ الأَوَّلَ لِلمَجْمَعِ فَقَالَ (أَنَّ الرُّهْبَانَ القَادِمِينَ مِنَ الرَّهَا وَاقِفُونَ فِي الخَارِجِ . وَقد أَعْلَمُونَا بِأَنَّ لَدَيْهِمْ وَثَائِقَ رِسْمِيَّةٍ مِنَ مَدِينَةِ الرَّهَا فَمَاذَا تَأْمُرُونَ يَا أَصْحَابَ القِدَاسَةِ بِذَلِكَ ؟) .

وَيَنْقَلُ كَلَامُهُ هَذَا إِلَى المَجْمَعِ أَوْسَابِيُوسِ أُسْقِفِ أَنْقَرَةَ غِلَاطِيَةِ الأُولَى ، يَقُولُ : (لِيذْكَرَ الأَساقِفَةَ الأَفْاضِلَ فَوْتِيُوسَ وَأَسْطَاثِيُوسَ وَأَرُونَ مَاذَا يَتَرَاءَى لَهُمْ فِي أَمْرِ هِيَا وَمَاذَا تَكَلَّمُوا هُمْ بِهَذَا المَوْضُوعِ ؟) وَالمَعْرُوفُ أَنَّ هؤُلاءِ الأَساقِفَةَ الثَّلَاثَةَ حَضَرُوا اجْتِمَاعاً بَحَثَ قَضِيَّةِ هِيَا وَكَانَتْ لَدَيْهِمُ المَعْلُومَاتُ الكَامِلَةُ فِيهَا ، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي تَوَجِيهِ هَذَا الاسْتِيضَاحِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَرِدُفُ الأُسْقِفُ أَوْسَابِيُوسُ قَوْلَهُ (لِأَنَّ القِسَّ يُوحَنَّا مُقَدِّمُ الكَتَبَةِ) يَقُولُ أَنَّ

^(١) أعمال مجمع أفسس بالشرطانية ص ١٣ .

وثائق أصليّة (رسميّة) وصلت إلى هنا في الموضوع فليتقدّم الرّهبان مُحِبُّو الله
ويقدّموا الوثائق التي أعطاهما لهم مَلِكَنَا الرَّحِيمَان (٢) . وعند تقديم تلك
الوثائق يشرع يُوحنا الكاتب الأوّل بقراءتها وعرضها للمجمع للتأكد من
أصالتها (٣) .

وهكذا تسير المناقشة بروح من الصّراحة قد لا تتجلّى حتى في أرقى
المؤتمرات المعاصرة الأمر الذي يُؤكد سلامة المجمع ودقّة توجيهه ، وحصر
المناقشة في المواضيع المقدّمة إليه بصورة سليمة اعتماداً على وثائق رسميّة لا
غبار عليها .

أمّا احترام آراء الأعضاء وتمتّع كلّ منهم بحريته الكاملة دون ضغط أو
إكراه فإنّ هذه الأمور تتجلّى في كافة المناقشات والبُحوث التي تناولها
المجمع ، ففي بحث قضية هيبا بالذات - كما في غيرها - نجد الحرّية
الكاملة تُطلق لكلّ شاهد بالإدلاء بشهادته - بعد القسم - بدقّة
وصراحة ، ففي بحث أمر هيبا نسمع أحد الحكّام المدنيين الحاضرين يقول
(ليذلّ كلّ واحد بما يرغب الإدلاء به تعليقاً على كلام القسيس الفاضل
الفصيح (مقلا) - وكان القس مقلا قد قدّم تقريراً ضافياً في قضية
هيبا - فليقدّم الشهود يتعاقبون على الإدلاء بشهادتهم بكلّ حرّية وصراحة
وكّل منهم يقول (أنّ الفاضل القس مقلا قدّم ذلك طبقاً لرغبتني وإرادتي

(٢) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسريانية ص ١٨ .

(٣) فيه أيضاً ص ١٨ - ١٩ .

الكاملة) (٤) .

وبعد نهاية مناقشة الشهادات والوثائق المقدمة للمجمع يقول
ديسقوروس باعتباره الرئيس الأول = (هل ترغبون أن يُسجَّل كلِّ ما قيل
في سِجَلٍ خاصٍّ أم لا ؟) يُجيب المجمع = (إننا نطلبُ كلِّنا أن يُسجَّل
كلِّ ما قيل في سِجَلٍ خاصٍّ لأنَّ الأمور تخصُّ الإيمان ، فلتُسجَّل ولتكنَّ
معروفة لدى الملك ، ليعرفها الملك ، الأرثوذكسي ، أنَّ الإيمان لفي خطر
نلتمس نحن الأرثوذكسيون أن يُسجَّل كلُّ ذلك في سِجَلٍ) (٥) .

ويظهر أنَّ ضجَّةً عنيفة سرت في المجمع فنادى ديسقوروس وقال
(وفَرُّوا الهدوء للمجمع فإنه مكتوب بالهدوء يُسمع كلام الحكماء ،
لا يجب أن نصخب ولا نتيح الفرصة ليلومنا المخالفون إنِّي أعرف
هذا هو حُبُّكم العميق لله . جميل بالأسقف والإكليركي والعلماني
نضاله في سبيل الإيمان ، ولكن ليراع النظام) (٦) .

وبعد اشباع قضية هيبا تحقيقاً وتدقيقاً يُعلن الحكم بالاجماع ، فيلفظه
الرؤساء الثلاثة بالتعاقب ثم يتعاقب بقية الأساقفة ، ويفتح ديسقوروس
إصدار الحكم باعتباره الرئيس الأول بقوله = (أنَّ هيبا جعل ذاته غريباً
عن الكرامة الأسقفية للجسارة الفظيعة التي ارتكبها ضدَّ مخلصنا بما أعلنه

(٤) فيه أيضاً ص ٤٢ - ٤٣ .

(٥) أعمال المجمع الأفسسي بالشريانية ص ٨٤ .

(٦) فيه أيضاً ص ٨٩ - ٩٠ .

خِلافاً لِلنَّامُوسِ فَاسْتَهَانَ بِسِرِّ عَمَلِ الرَّبِّ الْفِدَائِيِّ بِحُرِّيَّتِهِ الْكَامِلَةِ ، فَلِيَتَلَقَّى الْعِقَابَ مِنَ السَّمَاءِ فِي الدَّارَيْنِ ، قَدْ بَرَهَنَ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ رَحْمَةَ اللَّهِ ؛ وَنَحْنُ إِذْ نَتَّبِعُ إِرَادَةَ مَخَافَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ نَحْكُمُ بِأَنْ يُصْبِحَ هَذَا غَرِيباً عَنِ الْكِرَامَةِ الْأُسْقَفِيَّةِ وَعَنِ شَرِكَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ الَّذِي كَفَرَ بِأَسْرَارِ الْمَسِيحِ وَأَنْكَرَهَا لَا يَسْتَحِقُّ الْإِشْتِرَاكَ فِي الْبَرَكَةِ الْمَقْدَسَةِ وَإِنِّي أَرَى مِنْ وَاجِبِي أَنْ أُقَرِّرَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْعِزْلِ الْقَانُونِيِّ بِرَدِّ ذَهَبِ الْكَنِيسَةِ لئَلَّا يَجْعَلُهُ غِذَاءً لِشَرِّهِ .

ويعقبه يوبيناليوس باعتباره الرئيس الثاني فيقول = (مِمَّا قُرِئَ الْآنَ ظَهَرَ أَنَّ هَيْبًا قَدْ أَجْرَمَ بِحَقِّ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، وَبُنَاءَ عَلَى ذَلِكَ يَنْزِعُ الْمَسِيحَ كَهَنُوتَهُ عَنْهُ ، وَيَعْتَبِرُهُ غَرِيباً عَنِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَعَنِ شَرِكَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا بِخُضُوعِنَا لِإِرَادَةِ مُخْلِصِنَا نَحْكُمُ بِعِزْلِهِ وَنَعْتَبِرُهُ غَرِيباً عَنِ كِرَامَةِ الْكَهَنُوتِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْعِهِ عَنِ شَرِكَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ إِعَادَةُ ذَهَبِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي اخْتَلَسَهُ لِتَسْتَمِرَّ الْكَنِيسَةُ بِعِيدَةٍ عَنِ كُلِّ ضَرَرٍ ، وَلَا يَتَمَتَّعَ الشَّرِيرُ بِالذَّهَبِ الْمَقْدَمِ لِلَّهِ) (٧) .

ثُمَّ يَعْقُبُهُمَا تِلَاسِيُوسُ أُسْقَفُ قَيْصَرِيَّةِ كِبِدُوكِيَا الْأُولَى بِاعْتِبَارِهِ الرَّئِيسِ الثَّلَاثِ فَيَقُولُ = (أَنَّ الَّذِينَ جَدَّفُوا عَلَى ابْنِ اللَّهِ لَا يَسْتَحِقُّونَ النِّعَمَ الَّتِي وَعَدَ بِهَا ، وَقَدْ جَعَلُوا ذَوَاتِهِمْ غُرَبَاءَ عَنِ الرَّحْمَةِ لِتَجْدِيفِهِمْ عَلَيْهِ ، وَبِمَا أَنَّ هَيْبًا تَمَادَى بِصَلْفِهِ فَوْقَ مَا يُفَكِّرُ الْبَشَرُ وَتَجَاسَرَ فَاطْلُقَ لِسَانَ التَّجْدِيفِ ضِدَّ مُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، فَطَبَقًا لِمَا قُرِئَ الْآنَ نَعْلَمُ أَنَّهُ جَرَّدَ ذَاتَهُ مِنْ دَرَجَةِ

(٧) فِيهِ أَيْضًا ص ٦٠ .

الكهنوت والأسقفية وشركة المؤمنين) ^(٨) .

ثم يتعاقب ستة عشر أسقفاً في إعلان الحكم بالمعنى نفسه ، وأخيراً يُعلن ديسقوروس الرئيس الأول فيقول = (بما أن الوقت غير كافٍ ليُعلن كل منكم بمفرده الحكم أيها الأفاضل ، فليُعلن رأيه بالتصويت العام فيما إذا كنتم جميعاً موافقين على الحكم الصادر) .

فيُعلن الجمع رأيه العام بطريقة التصويت هكذا (كلنا نُؤيد ذلك ، هكذا حَكَمنا جميعاً ؛ كلنا نطرح خصم الله ؛ كلنا نطرحه وبفهم واحد) ^(٩) .

فأنت ترى في كل ذلك نقاشاً حُرّاً لا يشوبه أي غموض فالحرية الشخصية مصنونة والآراء مُحترمة وإن كانت صادرة عن أصغر الأعضاء سناً أو رتبة كنسية ، ولا يمكن أن يأتي العالم اليوم بكل ما فيه من علم وعرفان بأروع مما تجلّى في ذلك الجمع .

أما روح الثبات فقد تجلّت في الجمع لتمسكهِ المطلق بما قرّر سابقاً في قضايا الإيمان وتلك أمور واضحة لأنها الغاية الأولى التي التأم الجمع من أجلها ، وهذا ما تأكدهنا سابقاً في رسائل الملّكين وما رافق ذلك من مجرى الأمور في الدّعوة إلى الاجتماع وسيتضح كل شيء يُخص هذا الموضوع في البحوث القادمة .

^(٨) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسرّيات ص ٨٩ - ١٠١ .

^(٩) فيه أيضاً ص ١٠٠ - ١٠١ .

ومما يُزيد في خُطورة المجمع وأهميته وشرعيته أنّه لم يجتمع في الظلام بعيداً عن سمع العالم المسيحي المعاصر وبصره ، فالدعوة وُجّهت من العرش القيصري بالذات كما عَلّمنا من الرّسائل الموجّهة إلى سائر أساقفة العالم المسيحي وخاصةً الكراسي الرّسوليّة الكبرى الثلاثة فَحَضَرَ اثنان منهم بالذات والثالث - رئيس أساقفة رُوما - حضر بنوابه الأربعة ، كما طلب إلى الأساقفة الكبار اصطحاب مطارنة وأساقفة من ولاياتهم كما قرأنا في الرّسالة الموجّهة إلى ديسقوروس^(١٠) وكما تأكّد أنّ رؤساء أساقفة الكراسي الكبرى تلقّوا صورة طُبّق الأصل من تلك الرّسالة كما أوضح نواب الأسقف الرّوماني على أثر قراءة تلك الرّسالة في المجمع حيث قالوا = (لقد تلقّى القديس البابا لاون بابا كنيسة رُوما ومُدبرها أمراً كهذا من الملكين التّقيين المحبين للمسيح)^(١١) .

وقد لبيّ دعوة الملك أكثر من مئة وثلاثين أسقفاً من الشّرق والغرب ، واصطحب كلّ أسقف كاتباً أو كاتبين أو أكثر ، ومهدّ الملك كلّ ما يلزم لحفظ الهدوء والنّظام في المجمع ، وهل بعد هذا يجوز الطعن بشرعيّة هذا المجمع وخُطورته ؟ اللّهُمَّ إلّا إذا استحوذت الأغراض المنحرفة بعض النفوس ، أنّ ذلك لوصمة عار في جبين الكنيسة بحيث تُنكر حقائقها التّاريخيّة الواضحة فعلى قادة الفكر المسيحي ومُحبي الكنيسة إزالة هذه الرّواسب عن الأذهان وتنقية الجو التّاريخي للمسيحيّة وإلّا كانت هذه

(١٠) فيه ٣ - ٦ .

(١١) فيه أيضاً ص ٢٦٩ .

الحركات المدعوة بالمسكونية باطلة أو خدعاً للاستهلاك العصري ، أمّا نزاهة هذا المجمع فقد شهد لها القيصر ثيودوسيوس بالذات في رسالته الموجهة لزوجته وأخته بلخاريا والملك والنطينوس ووالدته لدى توسطهم لعقد مجمع جديد بناء على طلب لاون الروماني حيث قال = (وأنّ مجمع أفسس الثاني المقدس قد صرف الأمور بمخافة الله المطلقة والإيمان الحق والعقيدة الصحيحة ولم يمس قوانين الآباء بسوء وإني قد تأكدت ذلك بكلّ تحقيق وإلاّ ألاّ تقحموا نفوسكم في هذا الشأن) (١٢) .

ومن الثابت أنّ هذا المجمع لم يُصدر قرارات إيمانية جديدة لأنّه لم يجتمع لهذه الغاية ، بل كانت الغاية الوحيدة من اجتماعه المحافظة على الإيمان المقرّر في مجعني نيقية وأفسس الأوّل وشجّب الفكرة الجديدة المناهضة لهذا الإيمان وتعرية أصحابها أمام الرأي العام المسيحي في كلّ مكان ، وقد أوضح ذلك القس يوحنا الأسكندري كاتب المجمع الأوّل في أحد تصريحاته قال : (جميل الآن بملكينا التّقيين محيي المسيح أن يأمرنا بالتّمام بمجمعكم الكبير المقدس هنا ، لكي تُبحث الآراء التي ظهرت حديثاً وهي تضاد إيماننا المستقيم الخالي من كلّ عيب ، وتستأصلها من شأفتها لئلاّ تتوسّع وتطغي بعض البُسطاء وتلقني بهم إلى هوة سحيقة من الضلال وفساد العقيدة ، لأنّ الغاية الأساسيّة هي الإيمان ووجوب المحافظة عليه بعيداً عن كلّ انحراف ، الإيمان الحق المقرّر أولاً من قبل آباء مجمع نيقية والمؤيد من قبل الآباء المجتمعين في هذه المدينة ، وقد أمرنا الآن أن

(١٢) مينخائيل الكبير ص ٢ - ١٨٤ .

نُسَلِّمُ بِذَلِكَ تَسْلِيمًا مُطْلَقًا كَمَا أَمَرَ آبَاءُ هَذَا الْجَمْعِ وَأَلَّا تُفَكِّرُوا مُطْلَقًا
بِتَجْدِيدِ يُخَالِفُ ذَلِكَ ، وَيَحْتَفِظُوا بِتِلْكَ الْعَقَائِدِ الطَّاهِرَةِ ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّا نُحِيطُ
قَدَاسَتِكُمْ عِلْمًا بِذَلِكَ لِتَقُولُوا مَا تَجِدُونَهُ مُنَاسِبًا) (١٣) .

وَمَعْنَى كُلِّ هَذَا عَدَمُ بَحْثِ شَيْءٍ مِنْ مَبَادِي الْإِيمَانِ الَّتِي بُحِثَتْ سَابِقًا
فَقَرَّرَتْ نَهَائِيًا وَأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا امْتِدَادًا لِلْمَجْمَعِ الَّذِي سَبَقَهُ فِي
أَفْسُسَ نَفْسَهَا ، وَقَدْ سَمِعْنَا ديسقوروس يُعَلِّقُ عَلَى تَصْرِيحِ يُوحَنَّا
بِقَوْلِهِ = (وَلَئِنْ قِيلَ مَجْمَعَانِ إِلَّا أَنَّهُمَا يُؤْمِنَانِ إِيمَانًا وَاحِدًا) وَيَهْتَفُ الْجَمْعُ
كُلَّهُ تَعْلِيْقًا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : (قَدْ حَدَّدَ الْآبَاءُ كُلَّ شَيْءٍ كَامِلًا وَمَنْ
يُخَالِفُ ذَلِكَ فَهُوَ مُحْرَمٌ ، فَلَا يَزِيدَنَّ أَحَدٌ وَلَا يُنْقِصُ) (١٤) .

وَالنَّيْجَةُ الَّتِي يَجِبُ التَّصْرِيحُ بِهَا هُنَا هِيَ أَنَّ الْجَمْعَ لَمْ يَلْتَمِمْ لِتَقْرِيرِ
مَبَادِي جَدِيدَةٍ لِلْإِيمَانِ بَلْ لِتَأْيِيدِ الْمَبَادِي الْمَقْرَّرَةِ سَابِقًا ؛ وَعَلَيْهِ لَا يُمَكِّنُ
الْقَوْلُ أَنَّ الْأَسَاقِفَةَ الْمَشْتَرِكِينَ فِيهِ كَأَعْضَاءِ كَامِلِينَ ذَوِي دَعْوَةٍ رَسْمِيَّةٍ مِنْ
الْمَلِكِينَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ابْتَكَرُوا مَبَادِيَّ جَدِيدَةً تُخَالِفُ مَا سَبَقَ ؛ بَلْ بَعَكْسِ
ذَلِكَ كَانَ اجْتِمَاعُهُمْ لِمُنَاهِضَةِ الْفِكْرَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي نَمَتْ عَلَى أَثَرِ إِرْفِضَاضِ
مَجْمَعِ أفسُسِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٤٣١ م .

وَلَا أَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ديسقوروس مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِهِ السَّابِقِ
(لِأَنَّ اللَّهَ أَيْضًا يَسْمَعُ أَصْوَاتَكُمْ وَيَقْبَلُهَا وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَا هُوَ حَقِيقِي)

(١٣) أعمال المجمع الأفسسي الثاني بالسُّريانيَّة ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(١٤) أعمال مجمع أفسُس الثاني بالسُّريانيَّة ص ٢٨٤ .

وجليل لدى الله ، فليكن محروماً من يبحث أو يقرر أو يعلم خلافاً لما قرّر سابقاً من قبل الآباء القديسين الذين اجتمعوا في مدينة نيقية والآباء الذين التأموا هنا (١٥) .

وقد أثر ذلك في نفوس آباء المجمع أبلغ تأثير حتى أنهم هتفوا (ليعش طويلاً ديسقوروس رئيس الأساقفة وحمي الإيمان العظيم) .

ويرد ديسقوروس قوله (وأقول شيئاً آخر وهو إذا أساء رجل إلى رجل آخر ، فذلك أمر مُرعب ومُخيف فيصلي من أجله أمام الرب ، ولكن إذا أساء رجل إلى الله فمن ذا يصلي من أجله ؟ فإذا كان الروح القدس حاضراً في مجمع الآباء - كما كان حقيقة - فحدّثوا ما حدّثوا فإن من حاول تحريف ذلك إنما يظلم نعمة الله) .

ويُعقب المجمع بقوله (أننا جميعاً نقول هذا القول فليكن محروماً من يحرف) .

ويرد ديسقوروس قوله (لا يقررن أحد ما قد قرّر) .

فيقول المجمع مُعجباً (أن هذا لصوت الروح القدس ، يا حارس القوانين بك يحيا الآباء ، يا حمي الإيمان ، ديسقوروس رئيس الأساقفة) (١٦) .

(١٥) فيه أيضاً ص ٢٨٤ .

(١٦) فيه أيضاً ص ٢٨٥ .

رئاسة المجمع

بعد أن نادى القيصران بالتتام مجمع أفسس الثاني طبقاً للرّسائل التي مررنا بها وجّها رسالة خاصّة إلى ديسقوروس رئيس أساقفة الأسكندرية يسندان إليه بموجبها الرّئاسة الأولى والمسؤولية العليا في المجمع ويُعيّنان معه أسقفين آخرين هما يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم ، وتلاسيوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا كرئيسين ثانياً وثالثاً ، وفيما يلي نص الرّسالة :-

(من القيصرين الإمبراطورين ثيودوسيوس ووالنطينوس الغالبين المشرقين بالظفر والمكرّمين دائماً ، إلى ديسقوروس .

قد أمرنا سابقاً ألاّ يحضر المجمع المقدّس ثيودوريطس أسقف قورش ، حتّى يُقرّر المجمع المقدّس ذاته ما يراه مناسباً بشأنه ، فقد أعرضنا عنه لأنّه تجاسر فكتب مؤلفات مخالفة لمبادئ الإيمان التي وضعها المطوّب الذكر كيرلس أسقف الأسكندرية ، العظمى ، فرّما يُحاول مُعتنق مبادئ نسطور جاهدين احضاره إلى المجمع المقدّس فقد رأينا من الضرورة أن نُنبه إلى ذلك في رسائنا الملكيّة هذه مُوجهين خطابنا إليك يا مُحب الله ، وإلى المجمع المقدّس كُله ، وبما أنّنا مُتمسكون بقوانين الآباء القديسين ، ليس فقط بشأن ثيودوريطس بل بشأن جميع الذين استحقوا حضور المجمع الملتئم الآن ، نحولك الأولوية والسُلطة على المجمع يا مُحب الله ، ونؤكد أن يكون معك مُحب الله رئيس أساقفة أورشليم يوبيناليوس ومُحب الله رئيس الأساقفة

تلاسيوس ، وليكنُ مُستشاراً لقداستك كُلّ ذي شُغور سام وكُلّ غيُور
ومؤيد للإيمان المستقيم ، أمّا الَّذِينَ تجاسروا على وضع زيادة أو إتيان
نُقصان في تحديدات الإيمان المقرّرة في مجمع نيقية المؤيدة بعد ذلك في مجمع
أفسُس ، فإننا نأمر بالأّ تكُون لَهُمُ أيّة كلمة في المجمع المقدّس ، ونرغب أن
يكون مصيرهُم مُتعلّقاً بِحُكْمِكُمْ ، وعليه فقد أمرنا الآن بالتّمام المجمع
المقدّس () كُتِبَت هذه الإرادة في السّادس مِنْ آب وأُعطيت في
القُسطنطينيّة (^(١)) .

ونرى مِنْ المفيد جدّاً أن نُعلّق على هذه الرّسالة الخواطر التّالية :-

١ . أنّ هذه الرّسالة جاءت طبّقاً لرغبة القيصرين المطلقة لا جواباً على
رسالة مُوجّهة إليهِمَا ولا إجابة لطلب مِنْ هذا القبيل ، وهي الدّلالة
الكبرى على الشّأن العظيم الَّذي كان يتمتّع به كُرسي الأسكندرية الرّسولي
مِنْ جهة وديسقوروس كخليفة للقديس كيرلس مِنْ جهة ثانية في الأوساط
الحاكمة المسيحيّة نظراً لِمَا بَدَلَهُ خُلَفَاءُ القديس مرقس مِنْ جهاد صادق في
سبيل الإيمان منذ العُصُور الأولى للمسيحيّة ، ونرى حكمة عظيمة في
تعيين أسقفين يُعاونان ديسقوروس وصاحبيه يتمسّكون بنفس الإيمان بدون
مُواربة انفراد بالرأي في تسيير أُمُور المجمع .

٢ . تُظهر الرّسالة تمسّك القيصرين بمبادئ الإيمان المقرّرة في المجمعين
النّيقاوي والأفسُسي الأوّل ، ومعرفتُهُمَا الكافية بأنّ ديسقوروس وصاحبيه

(١) أعمال مجمع أفسُس الثّاني بالسُّريانيّة ص ٦ - ٨ .

يتمسكون بنفس- الإيمان بدون مُواربة ولا رِياء ، كما فَعَلَ غيرُهُمْ مِنْ
الأساقفة المنحرفين أمثال أسقف قورش ثيودوريطس ، وعلى هذا الأساس
تُكرّر الرّسالة منع هذا الأسقف مِنْ حُضور المجمع ، طبقاً لِمَا وَرَدَ فِي
الرّسالتين السّابقتين الموجهتين إلى ديسقوروس وإلى المجمع ، والسبب في
ذلك المنع هو تحيُّز هذا الأخير للمبادئ التي شجّبها مجمع أفسس الأوّل ،
وتظاهرة في إعلان تلك المبادئ وخاصّة إصداره ، مؤلفات تقدح بمبادئ
الإيمان التي أعلنها القديس كيرلس الأسكندري ومجمع أفسس الأوّل
المسكوني .

٣. تُحذّر الرّسالة تحذيراً صريحاً الذين قد يُدخِلون زيادة أو نقصاناً في
مبادئ الإيمان السليمة المقرّرة في مجعني نيقية وأفسس ، وتجعل أولئك
النّفَر لا قيمة لهم في المجمع لأنّ الزيادة أو النقصان إنّما هو خُروج سافر
على المبادئ المسيحيّة العامّة .

٤. تحترم الرّسالة سُلطة الأسقفية احتراماً عظيماً ، فإنّها لا تُقرّر شيئاً
بحق أولئك النّفَر المخالفين بل تترك ذلك إلى سُلطة المجمع الأمر الذي
يُبرهن على أنّ السُلطة المدنيّة لم تتدخّل مُطلقاً في تسيير أعمال المجمع ولم
يكن لها تأثير في مُقرراته وأحكامه .

وبناء على الرّئاسة الأولى المسندة إلى ديسقوروس في المجمع وردت إليه
رسالة أخرى تُوجب حُضور القديس برصوم رئيس الأيبيلين السريان نيابةً
عن رؤساء أديرة المشرق ، وفي هذه الرّسالة فوائد تاريخيّة وإيمانيّة جمّة ،
وإظهاراً لتلك الفوائد والحقائق تُثبت الرّسالة فيما يلي .

مِنَ الإمبراطورين القيصرين ثيودوسيوس ووالنطينوس الغالبين المشرقين
بالظفر المكرمين دائماً إلى ديسقوروس .

(بلغنا أنّ كثيرين مِن الأفاضل رؤساء أديرة الشرق ، إلى جانب
الشَّعب الأرثوذكسي يُقاسون الأهوال في كثير مِن مُدن الشرق وقراه ،
بتأثير الأساقفة المصابين بِداء نسطور وهم يُجاهدون في سبيل الإيمان
المستقيم ، ولذلك رأينا مِن الأفاضل أن نُحضر إلى أفسس مُحِب الله
القسيس رئيس الدير برصوم ، الَّذي يُشرق بالقداسة والفضائل والإيمان
المستقيم ، ولينضم إلى قداستك وإلى سائر الأساقفة الآباء القديسين
الاجتمعين هُناك نيابةً عن رؤساء أديرة الشرق مُحِبِّي الله ، وهكذا فليُقرّر ما
يُرضي الله وليُكن معلوماً لديك يا مُحِب الله ، أنّ كُلَّ هَمَمنا هو الحِفاظ على
الإيمان المستقيم ، فاقبل بابتهاج مُحِب الله رئيس الدير المشار إليه .
وليفسح له المجال ليشترك في المجمع المقدّس) (أُعْطِيَتْ في آيار في الثَّاني
منه) (٢) .

وبعد قراءة هذه الرّسالة في المجمع علّقَ عليها رئيس أساقفة أُورشليم
بقوله (قد كَتَبَ إلينا أيضاً مثل هذا في الفاضل رئيس الدير برصوم ،
فليشارك إذن شرعياً في اجتماعات المجمع) (٣) .

في هذه الرّسالة فوائد وحقائق تاريخية وإيمانية جمّة ذات قيمة عظيمة

(٢) أعمال مجمع أفسس الثَّاني بالسُّريانيّة ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٣) فيه ص ٢٧١ وميخائيل الكبير ٢ : ١٧٩ .

بالنسبة إلى جهاد الكنيسة السُريانيّة في الشرق تأييداً للإيمان المستقيم رغباً عن الانحراف الذي بدى في أهم مراكزها الكبرى وخاصةً في أنطاكية والشرق اعتباراً من الرّها بتأثير انحراف الأسقفين دومنوس وهيبا المضادين لتحديدات مجمع أفسس الأوّل . وأهم الفوائد والحقائق هي .

١ . عِظْمُ مكانة الأديرة السُريانيّة في تلك العُصُون ومدى تأثيرها في سير تاريخ الكنيسة المسيحيّة العام ، والقابليات العُظمى التي كان يتمتع بها رؤساء تلك الأديرة في الأوساط الكنسيّة .

٢ . اشتراك الشَّعب السُرياني في سوريا وما بين النهرين في تكوين تاريخ الكنيسة والمحافظة على القيم الروحيّة العليا التي انحدرت إليه من السلف الصّالح ، وعِظْمُ التّضحيات التي بذلها هذا الشَّعب المؤمن المتمسك بمبادئ إيمانه المستقيم المقرّر في المجامع الثلاثة المسكونيّة ومُقاساتهم الأهوال والمِحَن في سبيل ذلك في مُعظم مُدنهم وقُراهم والتفافهم حول مُرشديهم من المعلّمين القويمين الإيمان والرُّهبان ذوي الكفاءات الروحيّة العالية .

نُمر بما بذله الشَّعب السُرياني من التّضحيات الجِسَام في سبيل إيمانه ، ونذكر المآسي التي خاض غمراتها في كُلِّ مكان ، وتمرّ في خاطرنا الجحازر التي قام بها الأسقف برصوم النصيبيني في رقاب أبناء هذا الشَّعب الباسل المؤمن في نصيبين وتكريت وأربيل وقُرى نينوى وأديرتها وخاصةً الفطائع التي ارتكبتها في دير مارٍ متىّ الشيخ في شمالي الموصل وفي منطقة بنو هدر

(وهي اليوم منطقة دهوك وزاخو وما جاورهما) وغيرها ^(٤) ، وبينهم مئات من الأساقفة والكهنة والرهبان والشمامسة وذلك لرفضهم إتباع آراء نسطور الأثينيّة المتطرفة وتمسكهم بإيمانهم المستقيم .

٣. التأثير السيئ الذي أحدثه الأساقفة المنحرفون المصابون ببداء النسطرة في تلك الفترة في الأوساط الدنيّة والمدنيّة في المدن والقري السّريانيّة في سوريا وما بين النهرين والأهوال التي رموا بها أبناء الكنيسة في كل مكان كما أشرنا الآن إلى ما قام به أحدهم على ضفاف دجلة .

٤. إنّ دعوة القديس برصوم أبي النّسّاك السّريان في هذه الحقبة هي بمكان عظيم من الأهميّة تُبرهن على التأثير العظيم الذي كان لفئات النّسّاك في توجيه القضايا الكنسيّة العليا ، أمّا امتداح التاريخ فضائل القديس برصوم رئيس النّسّاك فذلك ما يُطلعنا على الشأن العظيم الذي آلت إليه الحياة النّسكيّة في الكنيسة السّريانيّة وبلوغها هذه الدّرجة السّامية من الزهادة والفضيلة فأنجبت القديس برصوم وأترابه من سُكان المناسك والمحابس والصوامع .

٥. رغماً عن الأهوال التي قاساها أبناء الكنيسة السّريانيّة بما فيهم الرّهبان وأبناء الشّعب وبصورة مُتواصلة ؛ احتفظوا بالإيمان المستقيم الذي وصفته هذه الرّسالة في القديس برصوم .

٦. تأكيد القيصريين المؤمنين أنّ جُلّهمهما بل كلّه من هذا الاجتماع

(٤) ميخائيل الكبير ١ : ٤٢٦ - ٢ : ٤٢٧ .

هو المحافظة على الإيمان المستقيم المقرّر في نيقية وأفسس بدون زيادة ولا نقصان .

ونستفيد من تعليق يوبيناليوس على هذه الرسالة بأنّ رسائل أخرى وُجّهت إلى الأساقفة ذوي الأهميّة الكبرى في المجمع من القيصريين المؤمنين بشأن القديس برصوم ووُجوب انضمامه إلى المجمع كعضو شرعي كامل ، وإطراء قداسته وفضائله الأمر الذي يُظهر المنزلة العظيمة التي كان يتمتع بها هذا الناسك القديس في الأوساط الكنسيّة عامّة .

(٤)

مواقف ديسقوروس في المجمع

نعود الآن إلى ديسقوروس نتبع مواقفه في مجمع أفسس الثاني خطوة فخطوة تحقيقاً في تهمه متطرفة يرمي بها رئيس الأساقفة هذا إلى عصرنا الحاضر ، وهي تحكّمه المطلق في المجمع وفرض إرادته الصارمة على أعضائه ، وحملهم بقوة سلاح الملك على التوقيع على قرارات اتخذها هو بمفرده وأجبر الأساقفة على قبولها .

قبل أن نقول أي شيء في ديسقوروس في هذا المضمار نقول .. أن الملك ثيودوسيوس حكمة منه وقضاء على تقولات مثل هذه قد يرمي بها ديسقوروس عين معه رئيسين آخرين بمرسوم ملكي سام كما علمنا ، هما يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم وتلاسيوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا ليكونا لا رقيبين في تلك المناقشات فحسب ، بل لهما الحق ذاته الذي يحوزه ديسقوروس ؛ ولا نعتقد مطلقاً كما لا يعتقد أي منصف أو عاقل أن يكون هذان الأسقفان بهذه الدرجة من الغباوة والجنون بحيث يوافقان على تصرفات منحرفة قد تبدو من زميل لهما يحوزان نفس الحقوق التي يحوزها في مجمع أسقفي مسكوني كمجمع أفسس الثاني ، أو يسكتان على جبروت فارغ قد يبدو من ذلك الزميل ، أو بالحري لا يمكن أن نحكم على مائة وثلاثين أسقفاً من سائر أنحاء العالم المسيحي بأنهم جميعاً كانوا أغبياء رعاعيد ماتت ضمائرهم فوافقوا على غطرسة رجل واحد وإن كان رئيساً

أو ذا منزلة عظمى خاصة لدى البلاط الملكي ، إنَّ مَنْ يعتقد ذلك إنَّما يُوجه احتقاراً عميقاً للرئيسين الآخرين اللذين عيَّنهما الملك ليكونا مُتساويين معه في الحُقوق والواجبات ، بل يُوجِّه إهانة كُبرى لكلِّ الأساقفة اللذين حضروا المجمع كأعضاء شرعيين فحضُّوا لإرادة التَّعسف والاستبداد والظُّلم ولم يُبدوا أي اعتراض ، بل لم يُبدِ أيُّ منهم شيئاً من الامتناع أو لم ينسحب من المجمع ، وهل يُعقل ألاَّ يكون في ذلك المجمع مَنْ له ذرَّة من الكرامة النَّفسية والغيرة الدِّينية ليفعل ذلك أو بعض ذلك ؟ وهل يُعقل أن يكون جميع أولئك الأساقفة مُتمرغين بصفات الغباوة والجُبْن إلى درجة يستاقهُم رجل واحد استياق النِّعام؟؟

إذا عُدنا إلى مُناقشات المجمع لا نجد ديسقوروس ذلك الغطريس المتجبر ، وإن كان ذا شخصيَّة مهيبة ، فطبّقاً للمصادر التي بين أيدينا وخاصَّةً مُناقشات المجمع نفسه نجد البابا ديسقوروس ذلك الأسقف الوديع مُتصفاً بأخلاق الزُّهد والحلم والوداعة ، لا ينطق إلاَّ بهدوء ولا يُبدي الرأي إلاَّ بعد سماع آراء الزُّملاء واحترامها ، ولا يُخاطب أحد الأساقفة إلاَّ بقوله (يا مُحب الله) أو (أيُّها القديس) الأمر اللذي فَرَضَ احترامه في المجمع فأصبح عنواناً للرجل المحبُّوب اللذي يَجَلُّهُ زُملاؤه لِصِفَات رُسوليَّة امتاز بها وقد سَمِعنا الأساقفة يهتِفون له : (ليعش طويلاً حامي الإيمان ديسقوروس رئيس الأساقفة)^(١) .

ولندخلن الآن إلى قاعة الاجتماعات الكُبرى في كنيسة ماريا في مدينة

(١) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسُّريانيَّة ص ٢٨٥ .

أفسس لِنَتَّبِعْ تلكَ المناقشات خطوة فخطوة ويُجيبنا التاريخ هل وجد الأنبا
ديسقوروس غطريساً يفرض إرادته بالقُوَّة على زملائه؟؟

بُحِثَ في هذا المجمع تسع قضايا فقط لا تَمُتُ بأية صِلَة إلى تقرير
جديد للإيمان ، لأنَّ ذلك لم يكن من أهدافه كما عَلَّمنا سابقاً ، بل تتعلَّق
تلكَ القضايا المبحُوث فيها بثمانية أساقفة ورئيس دير واحد ، قُدِّمت على
الأساقفة الثمانية شكاوى تطعن بإيمانهم وتُنسب إليهم اعتناق مبادئ
تنحدر بجدورها إلى المبادئ التي شُجِبَتْ في مجمع أفسس الأوَّل ٤٣١م
وكان أصحابها الأوَّلون قد أقصوا لثبوت مخالفتهم لشريعة المسيحية العامة
التي حُدِّدت نهائياً في مجعني نيقية وأفسس ، وشكى رئيس الدير بأنَّه أعلن
تعليماً جديداً يتنافى والمبادئ اللاهوتية الراهنة .

سبع قضايا منها يُمكن استعراضها لغاية واحدة فقط وهي تتبع
خطوات ديسقوروس رئيس أساقفة الأسكندرية والتأكد من كيفية تلك
الخطوات ، وهل سَلَكَ رئيس الأساقفة هذا سُلوكاً غريباً مُستبداً في
مناقشات المجمع أثناء بحثها ؟ أو كان دوره فيها كدور أي أسقف من
الأساقفة آباء المجمع أو على أكثر تقدير كدور أي من الرئيسين الآخرين
يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم وتلاسيوس رئيس أساقفة قيصرية
كبدوكيا .

أمَّا القضيتان الباقيتان وهما قضيتا فلايانس رئيس أساقفة القُسطنطينية
وأوطيخا رئيس الدير . ولأهميتهما الكبرى في مجرى التاريخ الكنسي العام
نفرد لكلِّ منهما بحثاً خاصاً ، فالأولى ، لأنَّ تقولات ثارت بشأنها لتجريم

البابا ديسقوروس فيها ، وهي كونه استعان بقوة الحكومة ضد فلايانس ،
والثانية وهي قضية أوطيخا ومذهبه المنحرف ، إذ أشيع منذ ذلك العهد أن
ديسقوروس تبني هذا المذهب ودافع عنه ، بل ذهب هؤلاء إلى أبعد من
ذلك إذ أنهم يتهمون إلى الآن الكنائس الشرقية الأرثوذكسية باعتناق
مذهب أوطيخا وهي - الكنائس السريانية والقبطية والأرمنية والحبشية -
الأمر الذي لا يُقره الواقع لأن هذه الكنائس شجبت أوطيخا ومذهبه منذ
البداية .

وقضيتا فلايانس وأوطيخا مهمتان جداً بالنسبة إلى بحثنا هذا ، الأولى
تاريخية صرفة ، والثانية تاريخية ولاهوتية بأن واحد ، وعليه لكي تتضح
أمامنا الحقيقة هل كان ديسقوروس مذنباً فيهما أو هو بريء مما ألصقته به
العُصُور الماضية ؟ وبالتالي هل أن كنائسنا الأرثوذكسية الشرقية تعتنق
مذهب أوطيخا أو ترفضه ؟؟

إذن ، لنستعرض الآن القضايا السبع الأولى مُتَّبِعِينَ ديسقوروس
خطوة فخطوة ؛ استناداً إلى المصادر التاريخية التي بين أيدينا وخاصةً سجل
أعمال مجمع أفسس الثاني وهناك سيتضح ما نحن بصدده .

١ . قضية هيبا مطران الرها :

بُحِثَ هذه القضية في أهم جلسات المجمع بصورة مُسهبة ودقيقة
جداً ، وظَهَرَ أن هيبا مُتلبس بأراء نسطور ، بل إنَّما وُجِدَ يفوقه دفاعاً عن
تلك المبادئ ، وحَكَمَ المجمع بعزله بناء على انحرافه الصريح عن الإيمان

الأرثوذكسي .

افتتحت الجلسة الأولى في هذه القضية في اليوم الثاني من آذار سنة ٤٤٩ م وقدمت للمجمع وثائق كثيرة وهامة من إكليروس هوفرките بمختلف طبقاته مشفوعة بوثائق أخرى من أبناء المدينة كافة ، ولم يحضر بحث هذه القضية نواب الأسقف الروماني ولا دومنوس أسقف أنطاكية لأسباب ليس من موضوعنا بحثها .

شرع القس يوحنا الأسكندري ، الكاتب الأول ، بقراءة الوثائق والمراسيم الملكية الخاصة بهذه القضية وعرضت الصور التي أعطيت منها لزهة أحد عشر شخصية كنسية كبيرة من رؤساء أديار مقاطعة الرها ، وبعد افتتاح الجلسة تكلم ديسقوروس بما يلي :

(إنَّ مُحِبِّيَ اللَّهِ رُؤَسَاءَ الْأَدْيَارِ الْمَعْرُوفِينَ رَأَوْا عَنْ كَتَبِ أَمْرِ هِيَا - وَفَقَاءً لِأَمْرِ مَلِيكِنَا الرَّحِيمِ - فَطَبَقُوا لِأَمْرِ الْأَسْقَفِ أَوْسِيْبِ مُحِبِّ اللَّهِ ، لِيَدُلَّ الْأَسَاقِفَةَ مُحِبُّو اللَّهِ ، فَوْتِيُوسَ وَإِسْطَاثِيُوسَ ، وَأَرُونَ ، مَاذَا جَرَى مِنْ حَدِيثِ بِشَأْنِ هِيَا بِحُضُورِهِمْ) (٢) .

فيدلي الأساقفة الثلاثة بما لديهم من المعلومات ويعقبهم فوراً أسقف أفرديسيديا بقوله (إذا أمرتم أيها الآباء الأجلاء ليبحث أمر هيا أولاً وينتهي ، وإذا أراد جمعكم المقدس ليأمر بتقديم بقية الوثائق الخاصة بما ثار

(٢) أعمال مجمع أفسس بالشريانية ص ١٧ - ٢٠ .

مِنْ جَرَاءِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لِتُقْرَأَ) (٣) .

وَيُشْرِعُ الْكَاتِبَ الْأَوَّلَ يُوحِنًا بِقِرَاءَةِ الْوَتَائِقِ وَمِنْهَا يَظْهَرُ تَلَبُّسٌ هَيْبَا
بِآرَاءِ نَسْطُورِ بِلْ يَظْهَرُ أَكْثَرَ مِنْهُ مُدَافِعًا عَنْهَا (٤) .

وَفِي الْجُلُوسَةِ الثَّانِيَةِ فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ آذَارِ قُدِّمَتْ وَتَائِقٌ عَنِيْفَةٌ أُخْرَى
ضَدَّهُ فَقُرِّئَتْ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً ، قَرَأَهَا يُوحِنًا الْكَاتِبَ الْأَوَّلَ ، وَتَقَدَّمَ كَثِيرُونَ
مِنْ إِكْلِيْرُوسِ الرَّهْمَا فَقَدَّمُوا الشُّكَاوَى تَلُو الشُّكَاوَى وَكُلَّهَا عَنِيْفَةٌ صَارِخَةٌ
ضَدَّ ذَلِكَ الْأَسْقَفِ الْمَتَطْرَفِ ، تَحْمِلُ تَوَاقِيْعَ سَائِرِ سُكَّانِ الرَّهْمَا ، وَقَدْ قَدَّمَهَا
الْقَسِيْسُ مَقْلًا نِيَابَةً عَنْ جُمُهورِ الْكُهْنَةِ وَالرُّهْبَانِ وَأَبْنَاءِ الشَّعْبِ ، الَّذِينَ
تَقَدَّمَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ فَأَيَّدُوا أَنَّ مَقْلًا إِنَّمَا قَدَّمَ ذَلِكَ بِأَسْمَائِهِمْ . (٥) وَتَلَيْتِ
وَتَائِقٌ أُخْرَى (٦) مَشْفُوعَةٌ بِشَهَادَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ (٧) ثُمَّ تَقَدَّمَ الشُّهُودُ الْعُدُولُ
فَشَهِدُوا شَفْوِيًّا بِانْحِرَافِ هَيْبَا (٨) ثُمَّ قُرِّئَتْ رِسَالَةٌ هَيْبَا الَّتِي كَتَبَهَا سَابِقًا إِلَى
مَارِي أُسْقَفِ فَارَسِ (٩) ثُمَّ قُدِّمَتْ الشُّهَادَاتُ الشَّخْصِيَّةُ الْقَاطِعَةُ بِصِحَّةِ

(٣) أَعْمَالُ مَجْمَعِ أْفَسُسَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ ص ٢١ .

(٤) فِيهِ ص ٢١ - ٢٤ .

(٥) فِيهِ ص ٤٢ - ٤٦ .

(٦) فِيهِ ص ٤٩ .

(٧) فِيهِ ص ٥٤ - ٦٣ .

(٨) فِيهِ ص ٦٣ - ٧١ .

(٩) فِيهِ ص ٧١ - ٧٧ .

نسبتها إليه (١٠) .

وإلى الآن نسمع ديسقوروس للمرة الثانية وهو يُعلّق على ما تقدّم
بكلمات جامعة مانعة ، قال (لم يَدِرْ هذا الغبي - هيبا - ماذا قال : إنّي
لن أحسد المسيح إذ صَارَ إلهاً فإنيّ للإله أن يصير ما لم يكن ؟) (١١) .

ويُسمَع إعجاب المجمع بهذه الكلمات فيهتف (إنَّكُمْ لم تنطِقُوا بهذا
مِنْ نَفْسِكُمْ فَإِنَّ الرُّوحَ القُدُسَ نَطَقَ فِيكُمْ ، والمسيح الَّذي يضطهده ذاك
- هيبا -) .

ويردِّف المجمع قوله (أنَّ العالمَ كُلَّهُ عَرَفَ إيمانك ، لا يوجد إلّا
ديسقوروس واحد في العالم) .

ويردِّف ديسقوروس (هل ترغَّبون أن يُسَجَّلَ ذلك في سِجَلٍ ؟) يُؤيد
المجمع بقوله : (بل يجب أن يُرفعَ للملِكِ أيضاً) (١٢) .

ويُنبه ديسقوروس بقوله (وقَرُّوا الهُدُوءَ للمجمع فَإِنَّهُ مكتُوبٌ بالهُدُوءِ
يُسمَعُ كلامَ الحُكَمَاءِ ، لا يجب أن نصخب ولا نُتيحَ الفُرصةَ ليلُومنا
المخالفون ، إنّي أعرف هذا هو حُبُّكُمْ العميق لله ، جميل بالأسقف
والإكليريكي والعلماني نضاله في سبيل الإيمان ، ولكن لِيُرَاعِ النِّظامَ) (١٣) .

(١٠) فيه ص ٧٧ - ٨١ .

(١١) فيه ص ٨١ .

(١٢) فيه ص ٨١ - ٨٤ .

(١٣) أعمال مجمع أفسس بالسرِّيانية ص ٨٤ - ٨٥ .

ويعضي أولوغ قسيس الرّها يسرد الوقائع الكثيرة التي تُدين هيبا^(١٤) ويتعاقب الأساقفة في إعلان آرائهم على التوالي ، ديسقوروس رئيس أساقفة الأسكندرية ، يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم ، تلاميوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا الأولى ، وهم الرؤساء الثلاثة ، ثمّ يتعاقب بعدهم ثمانية عشر أسقفاً فيدلون بآرائهم بحريّة وصراحة^(١٥) .

وأخيراً يقول ديسقوروس (ليس الوقت كافياً لجميعكم ، أيّها الأتقياء ، ليصدر كلّ واحد منكم الحكم بمفرده فلنلجأ إلى التصويت العام فيما إذا كنتم ، تؤيدون القرار)^(١٦) فيعلن المجمع رأيه بالتصويت العام موافقاً ، ثمّ يهتف الأساقفة (كلنا نوافق على ذلك ، إنّ هذا حكمنا جميعاً ، إنّنا جميعاً نطرح خصم الله ، إنّنا جميعاً نطرحه بضم واحد)^(١٧) (بالاجماع) .

بعد تتبّعنا قضية هيبا بهذه الدقّة طبّقاً لسجل أعمال المجمع نفسه نجد الأنبا ديسقوروس يتكلّم ستّ مرّات فقط ، وقد تكلم غيره من الأساقفة ستّ مرّات أو أكثر أو أقلّ طبّقاً للحاجة ، ولا نجد كلام ديسقوروس يحمل أي طابع يدل على الشدّة أو الغطرسة ؛ بل بعكس ذلك أنّه مُفعم بروح الإيمان والتّقوى كما رأينا ، وعليه ينتج أنّ ديسقوروس برئ ممّا أُسند

(١٤) فيه ص ٨٥ - ٨٩ .

(١٥) فيه ص ٨٩ - ١٠٠ .

(١٦) فيه ص ١٠٠ .

(١٧) فيه ص ١٠١ .

إليه مِنْ تَحَكُّمٍ واستبداد ، وأي رئيس أوَّل في مجمع مثل هذا المجمع ، مهما عَفَّ عن الكلام يتكلَّم بأقلِّ مِمَّا فَعَلَ ديسقوروس أو أكثر هُدُوءاً وتَوَدُّدَةً مِمَّا سمعنا ديسقوروس ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ عَاجِزاً عَن مُمَارَسَةِ وَاجِبَاتِ رِئَاسَتِهِ .

إذن ، فأين التَّحَكُّمُ والاستبداد ؟؟

٢ . قِضِيَّةُ دَانِيَالِ أُسْقَفِ حِرَانَ :

كَانَ دَانِيَالُ أُسْقَفِ حِرَانَ ابْنَ أُخْتِ هَيِيَا مُطْرَانَ الرَّهَا ، شَكَى مَرَّاتٍ كَثِيرَةً إِلَى دَوْمَنُوسِ الْأَنْطَاكِيِّ فَلَمْ يَتَّخِذْ أَيَّ إِجْرَاءٍ بِحَقِّهِ ، رُبَّمَا احْتِرَاماً أَوْ مُرَاعَاةً لِحَالِهِ ، وَرُبَّمَا كَانَ يَبْذُرُ دَوْمَنُوسَ أَنَّ يُوقِفَهُ عِنْدَ حُدُّهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ أُسْقَفِيَّةَ حِرَانَ تَابِعَةٌ لِمَطْرَانِيَةِ الرَّهَا ، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَهْتَمَّ إِكْلِيْرُوسُ الرَّهَا فِي صُلْبِ قِضَايَا أُسْقَفِيَّةِ حِرَانَ ، وَعَلَيْهِ نَجِدُ أَنَّ أُولُوعَ أَحَدِ قُسُسِ الرَّهَا ، الَّذِي افْتَتَحَ الْجُلُوسَةَ فِي قِضِيَّةِ هَيِيَا مُطْرَانَ الرَّهَا ، وَهُوَ أَيْضاً يَفْتَتِحُ الْجُلُوسَةَ فِي قِضِيَّةِ دَانِيَالِ أُسْقَفِ حِرَانَ هَذَا ، وَذَكَرَ بَعْدَ سَرْدِ الْمَوَادِّ الْمَتَّهَمِ بِهَا دَانِيَالُ أَنَّ هَيِيَا لَمْ يَرِدْ إِيقَافِ دَانِيَالِ عِنْدَ حُدُّهِ ، فَرَفَعُوا الْأَمْرَ لِلْمَلِكِ ، وَأَمْرُهُمُ الْمَلِكُ أَنَّ يَرَفَعُوا الْأَمْرَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَسَاقِفَةٍ وَهُمْ : فَوْتِيُوسُ وَإِسْطَاثِيُوسُ وَأَرُونَ ، وَفِعْلاً رَفَعَ الْأَمْرَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانُوا حَاضِرِينَ لَدَى بَحْثِ قِضِيَّةِ دَانِيَالِ .

إِنَّا لَمْ نَسْمَعْ صَوْتَ دَيْسِقُورُوسِ فِي افْتِتَاحِ هَذِهِ الْقِضِيَّةِ بَلْ شَرَعَ يُوِينَالِيُوسُ الرَّئِيسُ الثَّانِي بِتَوْجِيهِ الْأَسْئَلَةِ إِلَى الْأَسَاقِفَةِ الثَّلَاثَةِ فَيُجِيبُ أَوْلَهُمْ فَوْتِيُوسُ أُسْقَفِ طُورُوسَ مَا حَضَرَ لَهُ ، وَادَّعَى أَنَّهُ لَا يَذْكَرُ بِدِقَّةِ تَفَاصِيلِ

القضايا التي اتهم بها دانيال ، وأكد أن إسطاثيوس أسقف بيروت يذكرها جيداً ، وهنا قال ديسقوروس :

(ليذكر الأسقف التقي إسطاثيوس ماذا يعرف عن قضايا دانيال بدقة ، مُكملاً نسيان الأسقف التقي فوتيوس) وراح اسطاثيوس يروي الأمور كما رآها بعينه وسمّعها بأذنيه بتفصيل ثمّ يعقبه الأسقف الثالث وهو أرون أسقف اميرين .

وهنا يعلن الرئيس الثاني يوبيناليوس فيقول : ” إنّي واثق من الصيت العطر الذي يتمتع به الأساقفة الثلاثة القديسون ، فوتيوس وإسطاثيوس وأرون ، وإنّي أجزم بنفس القضايا التي جزم بها هؤلاء الأساقفة بما سمعوا عنه “ .

ويعضي الأساقفة الثلاثة مرّة أخرى برواية ما لديهم من معلومات الواحد بعد الآخر ، الأمر الذي أقنع الأساقفة وأراح ضمائرهم ؛ وعليه يقول ديسقوروس ” إنّي أوافق على ما أدلى به الأساقفة الأتقياء فوتيوس وإسطاثيوس وأرون “ .

وهنا يأتي دور الرئيس الثالث للمجمع تلاميوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا فيعلن رأيه متضامناً مع بقية الأساقفة ، ونسمع بعده أصوات أحد عشر أسقفاً من أساقفة المجمع يؤيدون ما قرره الأساقفة الثلاثة المكلفون من قبل الملك بدراسة قضية دانيال ، وأخيراً يقول المجمع كُله كلمته النهائية

وهي (أننا كُلُّنا نُوافق على ذلك) (١٨) .

ونسأل التاريخ في هذه القضية أيضاً أين غطسة ديسقوروس وتحكُّمه
في أعمال المجمع؟؟

٣. قضية إيريناوس أسقف طوروس (صور) :

يفتح الكاتب الأوّل القسيس يُوحنا هذه القضية فيدلي بما بلَّغهُ مِنْ
المعلومات في قضية إيريناوس هذا ، وخاصةً أمر إتباعه فكرة الأثينية
المتطرفة ويسهب يُوحنا في سرد القضايا القانونية والمضادّة للإيمان التي
ارتكبتها هذا الأسقف .

وهنا يقف ديسقوروس مُعقِّباً على الحديث الذي أدلى به القسيس
يُوحنا ، ويقول : ” سَمَعَ المجمع المقدّس ، مُحب المسيح ، تقرير القسيس
يُوحنا الكاتب الأوّل التّقي ، أم الأمر قانوني ، وواجب المجمع المقدّس أن
يتخذ قراراً بعزل الأسقف إيريناوس الذي تزوّج امرأتين وهو مُحدّف ولم يترك
جريمة ضد المسيح إلّا وارتكبتها وبناء على ذلك اعتبره غريباً عن كرامة
الكهنوت وأبعده عن الشّركة مع أبناء الشّعب “ .

ويُدلي الأساقفة بأرائهم بالتّالي وخاصةً الرّئيسان الآخراَن يوبيناليوس
وتلاسيوس ، وأخيراً يُصدِر المجمع القرار النّهائي بالاجماع فيُجرّد إيريناوس

(١٨) أعمال مجمع أفسس بالسّريانية ص ١٠٢ - ١٠٨ .

عن كرامة الأسقفية^(١٩) .

لم يطلب الجمع وثائق وشهادات بحق إيريناوس لأنَّ أمره كان مشهوراً ومعروفاً ، وقد حُوكِمَ سابقاً وصدر القرار من القيصر بالذات بنفيه طبقاً لِمَا وَرَدَ بتقرير الكاتب الأوَّل يُوحنا وعلى هذا الأساس اعتُبر الحُكْم قانونياً ونُقِّد .

عُدَّ إلى كلمة ديسقوروس في هذه القضية تجد رأيه مُطابقاً لآراء جميع الأساقفة ومن حقه طبعاً أن يُدلي به قبل الجميع لكونه الرئيس الأوَّل للمجمع ، وابحث في تلك الكلمة عن السيطرة أو التَّحكُّم فهل تجد لهما أثراً؟؟

٤ . قضية أقولينوس أسقف بيلوس (جِبيل) :

قدَّم هذه القضية إلى المجمع فوتيوس أسقف طوروس (صور) وافتتح الكلام فيها وأدلى بالمعلومات التالية قال : ” أنَّ أقولينوس رَسَمَهُ أسقفاً إيريناوس أسقف بيلوس (جِبيل) (الآنِفُ الذِّكْر) وهو يساري أكثر من نسطور وحقود أكثر من إيريناوس ، أنَّه احتقر المذبح وأهان الكنيسة ورفض الشَّرِكَة مع الكهنة وانحاز إلى محازبه وراسمه إيريناوس ، وقد نبَّهناه مرَّات كثيرة ، وأخفى نفسه عن رئيس الأساقفة الفاضل دومنوس ، حتَّى اضطرني الفاضل دومنوس أن أرسِم أسقفاً عَوْضاً عنه ، فتأجَّلت الرِّسامة لأننا دُعِينَا إلى حُضُور هذا المجمع العظيم المسكوني المقدَّس “ .

(١٩) أعمال مجمع أفسس بالشريانية ص ١٠٩ - ١١٣ .

ولما كان الأمر أيضاً واضحاً ومعروفاً لذلك كان غنياً عن الوثائق والشُّهود لذلك نَطَقَ ديسقوروس بالحُكْم فقال : أنَّ أقولينوس أُسقف بيبُلوس (جِبيل) سابقاً قد جعل ذاته غريباً عن الكهنوت طَبَقاً لِمَا ذَكَرَ مُطْرانه التَّقِي فوتيوس ، وبدا أَنَّهُ هرب ولم يُقْمَ بالخدمة الكهنوتية وانحاز إلى محازبه إيريناوس ، فليكن شريكاً لِمَنْ قيل فيه أَنَّهُ رفض البركة فابتعدت عنه ، ليكون مثل هذا غريباً عن الأسقفية ؛ فإنَّ الأمر معروف وهو إذا رَغِبَ غيره مِنَ الأساقفة اللاتنين بكُرسي فينيقية أي الخاضعين لِحِب الله فوتيوس الأسقف ، أن يُصبح مُخالفاً مُصاباً بداء عقيدة نسطور فإنَّ ذلك يُعزَل مِنَ قِبَل المطرانية وَمِنْ قِبَل مجمعها ، وليحذر مِنَ الأحكام الَّتِي ستصدرُ مِنَ هذا المجمع المسكوني المقدس ، والآن يعترف هو أيضاً بلسانه أَنَّهُ فَعَلَ ذلك ، وليحط عِلماً كُلَّ الكراسي وخاصةً الكبرى منها .

فَيُجيب فوتيوس بقوله (أَنِّي أبذل كُلَّ جهدي في الأُ أَدَع أَياً مِنَ الأساقفة أو الإكليريكيين في بلاد فينيقية أن يسقط في داء نسطور ، وذلك لِمجد المسيح وهيبه هذا المجمع المقدس المسكوني ، وخاصةً أنَّ مجمع الهوفركية يُؤيدني) .

ويُتابع الأساقفة بتأييد ذلك فنسمع أصوات سبعة منهم حتى يصدر المجمع كلمة الحُكْم النهائية بعزل أقولينوس مِنَ منصبهِ^(٢٠) .

لو قارنا كلمة ديسقوروس بكلمة فوتيوس وغيره ، مِنَ الأساقفة

(٢٠) أعمال مجمع أفسس بالسُّريانية ص ١١٤ - ١١٨ .

المشتركين في هذه المناقشة لِمَا رأينا أي فرق ، بل إنَّما قد نجد كلمات بعض الأساقفة أكثر عنفاً وصرامة ، وهل في ذلك لون من ألوان التعسف والظلم والتحكُّم ؟ فأين ديسقوروس من هذه الأمور ؟

٥. قضية سوفرون أسقف مدينة تلا :

كان سوفرون هذا ابن عم هيبا مطران الرِّها^(٢١) ويظهر أنَّه تشرب منه مبادئ نسطور وزاد عليها اشتغاله بالعرافة وغيرها بما يخالف روح إنجيل المسيح . الأمر الَّذي أثار ضده أبناء أبرشيته وقُدِّمت الشكوى إلى المجمع من قِبَل القسيس قُورا والشَّماسين قُورا واسطيفان من شمامسة المدينة ، وعرض القسيس يوحنا الكاتب الأوَّل هذه الشكوى إلى المجمع .

وافتح المداولة الرَّئيس الثاني يويناليوس فكَلَّف الإكليريكيين الثلاثة بإدلاء تقريرهم أمام المجمع ، فشرَّعوا بإعطاء المعلومات اللازمة الخاصَّة بالقضية بكلِّ دِقَّة وأمانة بشكل تقرير مُسهب .

عَقَّب على التَّقرير الرَّئيس الثالث تلاميوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا بقوله (ليرفع هذا الأمر إلى المطران الأرثوذكسي الجديد الَّذي سَيُنصَّب على كُرسي الرِّها ، باعتبار أنَّ أسقفية تلا تابعة لذلك الكرسي ، ووافق الرَّئيس الثاني يويناليوس رئيس أساقفة أورشليم على هذا الرأي في تعليقه النَّهائي ، ولا نسمع صوت ديسقوروس في هذه القضية ولا صوت

(٢١) فيه ص ١٢٠ .

غيره من آباء المجمع ، ويظهر أنَّهم أخذوا برأي الرئيس تلاميوس (٢٢) .

٦ . قضية ثيودوريطس أسقف قورش :

كان ثيودوريطس من أشهر أساقفة زمانه ، إلا أنه انحاز إلى رأي نسطور بعنف وصلافة واشتهر أمره ، وعلى هذا الأساس أمر الملكان في رسائلهما بعدم قبوله في المجمع إلا إذا وافق المجمع على قبوله (٢٣) ويظهر أنه استقدم منهم لا كعضو في المجمع ، والمعروف أن ثيودوريطس أبدى نشاطاً ملحوظاً في الأوساط الكنسية تأييداً للآراء المخالفة التي كان يتبناها .

قدم وثيقة الشكوى ضده فلافيس قسيس أنطاكية مُتهماً دومنوس الأنطاكي بممالته في آرائه ، فافتتح المناقشة الرئيس الثاني للمجمع يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم وطلب قراءة الوثيقة المشار إليها وشرع الكاتب الأول بقراءتها فظهر فيها نشاط ثيودوريطس في تأييد التعاليم النسطورية والعمل على نشرها في قلب كنيسة أنطاكية ، وعلمنا أن البابا ديسقوروس كتب إلى دومنوس الأنطاكي بشأن نشر ثيودوريطس التعاليم النسطورية في كنيسة أنطاكية مُنبهاً ومذكراً (٢٤) وبعد نهاية القراءة عاد فلافيس القسيس يقول :

(٢٢) أعمال مجمع أفسس بالشريانية ص ١١٦ - ١٢٦ .

(٢٣) فيه ص ٥ و ٧ و ٢٦٦ .

(٢٤) فيه ص ٢٠١ - ٢١٠ و ٢١٥ - ٢٢٣ .

(بين أيدينا - الطومس - الرسالة - الذي كتبه ثيودوريطس ضد
المجمع المسكوني الأول المقدس الذي التأم في هذه المدينة ، وضد ما كتبه
القديس كيرلس ، وبالإضافة إلى ذلك كتاب آخر كتبه ثيودوريطس
حديثاً ، وذلك بعد قبوله شركة القديس كيرلس) (٢٥) .

قال ديسقوروس (لِيُسَلِّمَ القسيس فلافيس الطومس والكتاب اللذين
كتبهما ثيودوريطس طبقاً لوعده) (٢٦) فقدّمهما فلافيس وشرع يوحنا
القسيس الكاتب الأول بالقراءة ، فتلى أولاً رسالة ثيودوريطس إلى الرها
ضد القديس كيرلس وضد المجمع الأفسسي المسكوني الأول ، وهي رسالة
مُسَهِّبَةٌ جداً فيها من المطاعن والمثالب بحق القديس كيرلس ما يفوق
التصوير (٢٧) .

واستطرد بعدها الكاتب الأول يوحنا يقول (أن الكتاب الذي قدّمه
القسيس فلافيس يحمل موضوعاً آخر وهو دفاع ثيودوريطس عن
ديودوروس وتيودوروس المجاهدين عن مخافة الله) (٢٨) .

وهنا أعلن آباء المجمع بقولهم (أن هذا فقط كافٍ لعزله ، هكذا أمر
الملك العظيم مؤكداً أنه إذا اعترض على أمر عزله فيمكن أيضاً أن يعفي

(٢٥) فيه ١٢٧ - ١٣٦ .

(٢٦) فيه ص ١٣٦ .

(٢٧) فيه ص ١٣٦ - ١٥٨ .

(٢٨) فيه ص ١٥٧ .

نسطور (٢٩) .

ويتابع الكاتب الأوّل القسيس يُوحنا بقراءة الكتاب المشار إليه ، حتّى أتى على نهايته وكان مُسهباً يحمل اللهجة نفسها البادية على الرّسالة السّابقة (٣٠) .

عَظَمَ الأمر على آباء المجمع وساءهُم ما كَتَبَ ثيودوريطس ضد الحقائق المقرّرة سابقاً في مجمع أفسُس الأوّل ، والمبادئ الّتي أعلنها القديس كيرلس ، وعليه تكلم ديسقوروس قال :

(كان ثيودوريطس وما زال شراً ، ولم يتخلّ عن شرّه بل استمر في التّجديف إلى هذا اليوم ، حتّى تمادى فشكك مسامع مُلوکنا الرّحماء مُحِبّي المسيح ، مُحاولاً صرف نظرهُم عنه بطريقة بارعة وافساد ضمائرهُم بعقيدة خاطئة ، وقد سبّب هلاك نفوس لا تُحصى وأقلق جميع كنائس الشرق ، وبذر بذار عقيدة شرّيرة ، وعمل كلّ جهده لنشر هذا الشرّ بين البُسطاء ، وبالإضافة إلى كلّ ذلك تجاسر على القول والكتابة ضد ما حُدّد سابقاً وخاصةً ضد المبادئ السليمة الّتي وضعها القديس كيرلس الأسقف السّعيد فليكن غريباً عن الخدمة الكهنوتية كلّها وعن الكرامة الأسقفية ، ويمنع من الاشتراك مع المؤمنين أبناء الشّعب ، وليعلم سائر مُحِبّي الله الأساقفة في المسكونة كلّها أنّ من يتجاسر ويقبله في مكانٍ بعد هذا الحُکم الجمعي

(٢٩) أعمال مجمع أفسُس بالسُّريانية ص ١٥٨ .

(٣٠) فيه ص ١٥٨ - ١٦٤ .

الصَّادِرَ بِحَقِّهِ أَوْ يُقِيمَ مَعَهُ أَوْ يَشْتَرِكُ بِمَائِدَتِهِ أَوْ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ حَتَّى حَدِيثاً عَادِيّاً ، مَنْ عَمِلَ ذَلِكَ فَلْيُعْطِ الْجَوَابَ أَمَامَ اللَّهِ فِي يَوْمِ الدِّينِ ، وَلْيَكُنْ مُذنباً لَتَجاسِرِهِ عَلَى أَحْكَامِ هَذَا المَجْمَعِ المَسْكُونِ المَقْدَّسِ وَلْيُرْفَعِ مَا حَدَثَ اليَوْمَ إِلَى مَسامِعِ مُلُوكِنَا الظَّافِرِينَ مُحِبِّي المَسِيحِ الأَتَقِيَاءِ لَكِي يَأْمُرُوا بِأَحْرَاقِ كُتُبِ النِّفَاقِ الَّتِي وَضَعَهَا ثِيودوريطس ، تَلْكَ الكُتُبُ المَشْحُونَةُ بِالضَّلَالِ وَالعَقِيدَةِ الشَّرِّيرَةِ ، وَلِيَمْضِ الكِتَابَ مَطْرِنِسَ وَفَلوِيانَا وَفَرِيموسَ إِلَى مُحِبِّ اللَّهِ دَوْمَنُوسَ أُسْقِفِ أَنْطَاكِيَةَ وَيَقْرَأُوا لَهُ مَا حَدَثَ اليَوْمَ لَكِي يَقُولَ هُوَ أَيْضاً صِرَاحَةً مَاذَا يَرَى فِي مُتَحَدَّثِ (٣١) .

ويَهْتَفُ المَجْمَعُ بَعْدَ نَهايةِ هَذِهِ الكَلِمَةِ بِقَوْلِهِ (أَنْ هَذَا لِحُكْمِ عَادِلٍ) (٣٢) وَيَشْرَعُ الأَساقِفَةُ بِالإِدْلاءِ بِأَرائِهِمْ ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الرِّيسانَ يوبيناليوسَ رَيسَ أَساقِفَةِ أُورُشَلِيمَ ، وَتِلاسيوسَ رَيسَ أَساقِفَةِ قِيسَرِيَةِ كَبدوكيا مُؤيدينَ ما نَطَقَ بِهِ ديسقوروسُ ، وَأَخيراً يَلْفِظُ المَجْمَعُ بِقَرارِهِ النِّهايِيِّ القاضِي بَعزْلِ ثِيودوريطسَ وَتَجْرِيدِهِ مِنْ حُقُوقِهِ الكَنِسيَّةِ (٣٣) .

وَهُنا وَإِنْ كانَ كِلامُ ديسقوروسَ هُوَ القَوْلُ الفِصْلِ فِي قِضِيَّةِ ثِيودوريطسَ ، إِلاَّ أَنَّهُ مِنْ وَحْيِ المَجْمَعِ نَفْسِهِ بِدَليلِ مُوافِقَةِ أَساطينِ الآباءِ عَلَى القَرارِ فوراً وَأَخيراً إِعْلاَنِ المَجْمَعِ ذَلِكَ رَسمياً ، وَيَكُونُ وَالْحالَةَ هَذِهِ قَدْ نَطَقَ ديسقوروسُ بِلِسانِ المَجْمَعِ دُونَ تَحْكُمِ أَوْ اسْتِبدادِ ، هَذَا مِنْ جِهةِ

(٣١) فِيهِ ص ١٦٦ .

(٣٢) فِيهِ ص ١٦٦ .

(٣٣) فِيهِ ص ١٦٦ - ١٧٢ .

وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ أَنَّ ثِيُودُورِيطُسَ حَكَمَ عَلَيْهِ الْمَلِكَانِ بَعْدَ الْحُضُورِ فِي الْمَجْمَعِ
إِلَّا إِذَا وَافَقَ الْمَجْمَعُ نَفْسَهُ لِاشْتِهَارِ أَمْرِ انْحِيَاذِهِ إِلَى التَّعَالِيمِ النَّسْطُورِيَّةِ وَدِفَاعِهِ
عَنْهَا بِقُوَّةٍ وَصَلَافَةٍ ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ كَانَ أَمْرُهُ نَاضِجًا دُونَمَا أَيْتَهُ
تَلَكَّاتٌ ، وَخَاصَّةً أَنَّ كُتُبَهُ وَرِسَالَتَهُ الَّتِي عُرِضَتْ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ الْكَلِمَةُ
الْفَصْلَ فِي عَزَلِهِ وَتَجْرِيدِهِ مِنَ الْحُقُوقِ الْكَنِسِيَّةِ الْعَامَّةِ .

٧ . قِضِيَّةُ دَوْمَنُوسَ رَئِيسِ أَسَاقِفَةِ أَنْطَاكِيَّةِ :

تَحَزَّبَ دَوْمَنُوسَ لِلْفِكْرَةِ الَّتِي شَجَبَهَا مَجْمَعُ أَفْسُسِ الْأَوَّلِ وَنَمَتْ عِلَاقَةُ
صِدَاقَةٍ وَعَقِيدَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ثِيُودُورِيطُسِ أَسْقَفِ قُورْشِ الْآنِفِ الذِّكْرِ ، حَتَّى
أَنَّهُ أَسْكَنَهُ بِجَوَارِهِ وَأَذَنَ لَهُ بِإِلْقَاءِ الْخُطْبِ الْمَنَاهِضَةِ لِلْإِيمَانِ فِي كَنِيسَةِ
أَنْطَاكِيَّةِ ، وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ مَعْرُوفًا وَمَشْهُورًا فِي سَائِرِ الْأَوْسَاطِ الْكَنِسِيَّةِ
الْأَمْرِ الَّذِي حَمَلَ دِيسْقُورُوسَ عَلَى تَوْجِيهِ رِسَالَتَيْنِ إِضَافِيَتَيْنِ إِلَى دَوْمَنُوسَ
يُعَاتِبُهُ بِلُطْفٍ وَأُخُوَّةٍ وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ مَنَعَ ثِيُودُورِيطُسَ مِنَ الْخُطَابَةِ الْمُنْحَرِفَةِ فِي
كَنِيسَةِ أَنْطَاكِيَّةِ ^(٣٤) إِلَّا أَنَّ دَوْمَنُوسَ لَمْ يَتَّخِذْ أَيَّ إِجْرَاءٍ لِلْحَدِّ مِنْ تَمَادِي
ثِيُودُورِيطُسَ فِي إِقْلَاعِ خُطْبَتِهِ الْمُضَلِّلَةِ الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ بِأَنَّ
دَوْمَنُوسَ كَانَ يُؤَيِّدُ آرَاءَ الْمُنْحَرِفِينَ وَيَعْمَلُ عَلَى نَشْرِهَا .

بُنَاءً عَلَى كُلِّ ذَلِكَ قُدِّمَتْ الشُّكُوى ضِدَّهُ لِلْمَجْمَعِ وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ
الْوَثَائِقِ الَّتِي تَدِينُهُ بِصَرَاحَةٍ ، قَدَّمَهَا قَرِيَاقُسُ قَسِيْسُ أَنْطَاكِيَّةِ ،

^(٣٤) رِسَالَتَا الْبَابَا دِيسْقُورُوسِ إِلَى دَوْمَنُوسَ رَئِيسِ أَسَاقِفَةِ أَنْطَاكِيَّةِ فِي أَعْمَالِ الْمَجْمَعِ

وافتح المداولة في قضيته القسيس يُوحنا الكاتب الأول فقال :
(إنَّ الفاضل قرياقس القسيس قدَّم إلى مجمعكم المقدَّس وثائق ،
سأقرأها الآن إذا وافقتم يا أصحاب القداسة على ذلك) (٣٥) .
فقال يوبيناليوس رئيس أساقفة أُورشليم والرئيس الثاني للمجمع (تُقبل
هذه الوثائق ولتُقرأ) ويشرع يُوحنا بالقراءة .

(مِنَ القسيس قرياقس إلى المجمع المسكوني المقدَّس مُحِبَّ المسيح ،
الملتئم بعناية الله في مدينة أفسُس ، ليقبل المؤمنون ويرفض المجدِّفون ، فقد
تعلَّمتنا منكم يا أصحاب القداسة هذه الأمور ، والآن نلتمس منكم أيُّها
القديسون القضاء على التَّجديف تأييداً لإيمان الذين يُحبُّون أن يتمجِّد
المسيح دائماً ، والأُمور التي تُريد عرضها بإيجاز هي .

أنَّ دومنوس أسقف أنطاكية مشكوك الذمة نتيجة لصدَّقته مع
ثيودوريطس أسقف مدينة قورش ، فقد أظهر منذ البداية ميوله نحوه مُؤيداً
ومُعتنقاً ضلاله صراحةً ، بدلاً من خشية الله ، والأفدح بأنَّه كان يُفاخر
بالتَّجديف على المسيح الرَّبِّ ، وفي الكنيسة كان يهتف لثيودوريطس
مُصَفِّقاً يكيل له المديح والإطراء بدون حساب ، وقد أقام له في الكنيسة
منزلاً يسكنه بدلاً من مدينته ، وكان يدعوه أباً دائماً ويُطوِّبه في
غيابِه) (٣٦) .

(٣٥) فيه ١٧٢ .

(٣٦) أعمال المجمع بالسُّريانية ص ١٧٣ - ١٧٧ .

وهكذا يمضي هذا القسيس في سرد وقائع كثيرة تؤكد انسياق دومنوس إلى جانب ثيودوريطس وإشباعه من المنحرفين حتى نهاية هذه الوثيقة الخطيرة ، وأخيراً يدفع قرياقس القسيس هذه الوثيقة إلى المجمع بتوقيعه ، داعماً أقواله بإيراد فُصولٍ من خُطْبِ دومنوس نفسه ويطلبُ قراءتها ، فأذن تلاميذ القسيس الثالث بقراءتها ، ويأخذ القسيس يُوحنا الكاتب الأول بقراءتها ^(٣٧) ومن ذلك يتبين ضلال دومنوس وتأييده صراحةً آراء ثيودوريطس وزُمرته ، الأمر الذي أحدث ضجةً سخط في المجمع فَهَتَفَ أعضاؤه : (أن هيبا لم يتوصّل إلى هذا القول ، فليكنُ المجدّف محروماً ، ليكنُ دومنوس محروماً ، أن هيبا ذاته لم يقل مثل هذا) ^(٣٨) .

ويستأنف القس قرياقس قوله : (أرجو أن تقرأ هذه الرسالة أيضاً) فيشرع يُوحنا بقراءتها ، وهي رسالة من دومنوس مُوجّهة إلى فلايانس أسقف القُسطنطينية وكُلّها تُؤيد ضلال المشاقين تأييداً صريحاً ^(٣٩) وتستولي على المجمع ثورة من السُخط عارمة لِمَا وَرَدَ في تلك الرسالة من آراء مُخالفة ، ويُقدّم يُوحنا القسيس الكاتب الأول وثائق أخرى وكُلّها تُؤيد انحراف دومنوس نحو العقائد الأثنيّة المتطرفة ، فيقول إسطفانوس أسقف أفسس (لتقرأ هذه الوثائق أيضاً وتُحفظ في ملفات المجمع) ويمضي يُوحنا

^(٣٧) فيه ص ١٧٧ - ١٧٩ .

^(٣٨) فيه ص ١٧٩ - ١٨٠ .

^(٣٩) فيه ص ١٨١ - ١٨٤ .

في قراءتها^(٤٠) وتعرض أمام المجمع مجموعة أخرى من الوثائق قدمها إكليروس أنطاكية ، ويأمر الرؤساء بقراءتها فيقرأها يوحنا ، واحدة واحدة . وإلى الآن لم نسمع صوت ديسقوروس غير مرة واحدة فقط حيث نبه إلى ما يُقرأ ، ويطلب إلى يوحنا الاستمرار في القراءة^(٤١) .

ويظهر أن البابا ديسقوروس كان يحرص الحرص كله على كرامة دومنوس باعتباره رئيس أساقفة أنطاكية ، وبناء على ذلك وجه إلى دومنوس رسالة أخوية أفعمها بالروح المسيحية العالية والآراء اللاهوتية الناضجة^(٤٢) وتلقى رسالة من دومنوس جواباً على رسالته هذه ، إلا أنه لم يشعر بالإطمئنان الكافي بل اتضح له أن دومنوس في الجانب الآخر^(٤٣) فوجه إليه رسالة ثانية لا تقل عن الأولى قوة ودقة وحرصاً على الإيمان واستقرار الكنيسة وسلامها^(٤٤) ويظهر أن كل ذلك لم يؤثر في قلب دومنوس بل استمر على عناده وراح يظهر التهرب من الحقائق ؛ وعليه رأى ديسقوروس أن الأشخاص والكرامات الإنسانية شيء والإيمان شيء آخر ، وعليه لم يرد ديسقوروس أن يبيع الإيمان والحرص على سلامة الكنيسة بشخص كائناً من كان ، وإن كان رئيس أساقفة أنطاكية ،

^(٤٠) فيه ص ١٨٥ - ١٩٤ .

^(٤١) فيه ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

^(٤٢) رسالة ديسقوروس إلى دومنوس في أعمال مجمع أفسس ص ٢٠١ - ٢١٠ .

^(٤٣) رسالة دومنوس إلى ديسقوروس في أعمال مجمع أفسس ص ٢١٠ - ٢١٥ .

^(٤٤) الرسالة الثانية لديسقوروس في نفس المصدر ص ٢١٥ - ٢١٩ .

فبعد أن قرأت رسالتاه هاتان في المجمع يعود ليقول :

(قد سمع المجمع المقدس العظيم ما كتبت إلى الأسقف التقي دومنوس ، رغبة مني في حفظ السلام في الكنيسة ، وأنتم تشهدون إنني لم أذهب إلى أبعد مما يُمليه الواجب ، فأرجو أن تقولوا كتابةً ، أيُّها الأفاضل ، إذا كنت قد كتبت ما يخالف العقيدة المستقيمة)^(٤٥) يقول المجمع : (أن ما قلته يُوافق عقائد الآباء ، هذه هي عقائد الآباء ؛ هذه تتفق والإيمان المستقيم ، هذه تتفق وإيمان الآباء ، إنَّها لتعاليم آباء نقية ، إنَّها تتفق ومبادئ المجمعين ، مَنْ أخفى هذه التعاليم ليس مؤمناً صالحاً ، وَمَنْ لا يُصرِّح بهذه العقائد أمام الملا ليس مؤمناً أميناً ، وَمَنْ يثلب هذه الآراء ليس مؤمناً حقيقياً ، وَمَنْ يكتب ضد هذه العقيدة فليس مؤمناً عادلاً)^(٤٦) .

يُجيب ديستقوروس : (عَلَمْنَا مِنْ تَأْيِيدِكُمْ ، أَيُّهَا الأفاضل ، أنَّ غيرَ إلهية مُستقرة في قلوبكم ، فهل تُوافقون أن تسمعوا ما كتبت دومنوس إليّ) ؟ :

وافق المجمع على قراءة رسالة دومنوس إلى ديستقوروس ، وشرع القسيس يوحنا بالقراءة ، وعند نهايتها يقول ديستقوروس : (ماذا تراءى لكم أيُّها الأتقياء أنرفض الفصول الاثني عشر التي وَضَعَهَا الوافر الطوبى أبونا كيرلس ؟) فيُجيب المجمع : (مَنْ يرفض تلك الفصول فليكن

^(٤٥) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسُّريانية ص ٢٢٤ .

^(٤٦) فيه ص ٢٢٤ .

محزوماً ، مَنْ لا يقبلها فليكن محزوماً (٤٧) .

إنَّ نصَّ الرِّسالة وبعض المناقشة المجمعية في هذه المنطقة محزوم ، وقد قدَّر الناشر النقص بزهاء أربع صفحات ، ومما يليه من القرارات يفهم أنَّ المجمع أصدر قراره بعزل دومنوس وإقصائه وفي مطلع الصفحة (٢٣٣ من أعمال المجمع) تَرَدُّ أربعة أسطر تحمل النُّطق بالحُكم على دومنوس ، إلَّا أنَّنا لا نعلم مَنْ مِنْ الأساقفة نَطَقَ بذلك الحُكم ، والأغلب أنَّ يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم هو الَّذي نَطَقَ بالحُكم باعتباره الرئيس الثاني للمجمع بدليل القرار الَّذي يليه نَطَقَ به تلاميوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا باعتباره الرئيس الثالث للمجمع طبقاً لِمَا تَعَوَّدنا أن نجد قراريهما مُتتالين دائماً على هذه الطَّريقة ، إذ ليس مِنْ المعقول أن ينطق بذلك الحُكم ديسقوروس لكونه طرفاً في المراسلة مع دومنوس وقد وَرَدَ قرار الحُكم على الطَّريقة التالية : (ينطبق عليه ما كَتَبَ الحكيم - مَنْ هَدَمَ سِيَّاجاً لدغته الأفعى - إنَّ ضلاله جعله غريباً عن كرامة الأسقفية والخدمة الكهنوتية كُلِّها) (٤٨) .

ويُبدلي الرئيس الثالث للمجمع تلاميوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا برأيه فيقول (أنَّ الرِّسائل التي قُرئت علينا الآن ، والتي كَتَبَهَا القديس ديسقوروس رئيس الأساقفة ، والرِّسالة التي كَتَبَهَا إلى قداسته دومنوس أسقف أنطاكية مُهمّة جداً ، أنَّ هذه الأمور لم تكن معروفة لدينا

(٤٧) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسُّريانية ص ٢٢٦ .

(٤٨) فيه ص ٢٣٣ .

سابقاً ، وقد عرفنا معناها بعد قرائتها وعرفنا ما يُضاد الجمع المقدّس الذي التأم هنا سابقاً ، وعليه فإننا نحكم على دومنوس بأنّه غريب عن عظيمة الكهنوت (٤٩) .

ويتعاقب الأساقفة على تأييد قرار عزل دومنوس ونسمع أصوات أحد عشر أسقفياً ، وأمّا ديسقوروس فلم نسمع ماذا تكلم كنتيجة لمحاكمة دومنوس ، ولا نشك أبداً أنّه اتفق مع زملائه الأساقفة بذلك ، وعليه لم نلمح أية بادرة هنا يُلام من أجلها ديسقوروس ، بل بعكس ذلك ، زوّدتنا رسالتاه بمعلومات أكيدة عن رُوحه السليمة وسعيه الحثيث المتواصل في حفظ سلام الكنيسة ، وهذا الموضوع سندرسه في استعراض آرائه الكنسيّة.

والنتيجة التي يجب التّصريح بها ، هي ، أنّ المحاكمات السبع التي مررنا بها بأمانة ودقّة ، تُوقفنا أمام الحقيقة وجهاً إلى وجه ، وهذه الحقيقة تُبرئ ديسقوروس ممّا ألصقَ به من التّهم الباطلة ، فقد رأينا فيه خلال هذه المحاكمات رجلاً هادئاً وحكيماً وحريصاً على حفظ الإيمان المستقيم من جهة ، وحفظ السّلام في الكنيسة من جهة ثانية ، وعليه ، تسقط التّهم والتّقولات التي حيكت ضده .

إنّ أقوال ديسقوروس التي استعرضناها أخذاً عن المناقشات الجمعيّة هذه ، تُظهر لنا أنّ شعوره كان شعور رئيس مسؤول عن أمانة ثمينة ولكن بتواضع وهدوء ، وتجرد عن أيّة نزوات بشريّة منحرفة ، وقد تكلم في كلّ

(٤٩) فيه ص ٢٣٣ .

مناقشة مرتين أو أكثر قليلاً ، لا شعوراً منه بالتحكّم والاستبداد في الرأي ، بل حفظاً لكرامة الرئاسة الأولى في المجمع ، كمسؤول أول في تلك المناقشات ، ولن يجد القارئ كلمة واحدة تُعبّر عمّا يُضاد روح الأسقفية من جهة ، وروح الإنجيل المقدّس من جهة ثانية ، وروح الرئاسة الأولى للمجمع من جهة ثالثة ، فالتاريخ الصحيح لا يُبرؤهُ ممّا ألصق به من تُهم فحسب ، بل يرفع من شأنه كرجل رسولي ناضل في سبيل الحقيقة المسيحية المطلقة .

(٥)

دراسة قضية فلايانس

رئيس أساقفة القُسطنطينية

لأهمية قضية فلايانس رئيس أساقفة القُسطنطينية نفرِد لها هنا نظرات خاصة لتعلُّقها بصميم إداة ديسقوروس أو تبرئته من التُّهمة التي أُصِفت به وهي سُلوكة سُلوفاً شاذاً في دراسة هذه القضية وإليك ذلك :

قُدِّمت لمجمع أفسس الثاني محاضر جلسات مجمع فلايانس الذي عقده في القُسطنطينية لمحاكمة أوطيخا ، اتضح للمجمع المسكوني أنّ مجمع فلايانس نادى من جديد بعقيدة نسطور التي شجَبَهَا مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م ، وقد اتضح ذلك للمجمع من التصريحات الكثيرة التي صدرت عن فلايانس وأساقفته ، حيث أيدوا تلك النظرية وعملوا على نشرها من جديد في الكنيسة وتغطية أعمال مجمع أفسس الأول المسكوني تغطية تامّة .

وتأكد للمجمع أيضاً أنّ فلايانس وأعضاء مجعته بإيقاظهم التعاليم النسطورية من جديد أرادوا القضاء على مبادئ أوطيخا القائل بالامتزاج والاختلاط ، والوحدة المشوشة في المسيح ، ولكنهم سقطوا في ورطة لا تقل عنها خطراً على سلامة الكنيسة وتعاليم المجامع الثلاثة المسكونية ، وذلك لأنهم راحوا يُجهِدون نفوسهم في دعم النظريات النسطورية دعماً

عَجَزَ عَنْهُ نَسْطُورُ نَفْسِهِ ، وَاسْتَجَدَّ آرَاءَهُمْ وَاضِحَةً فِي مَجْمَعِ أفسُسِ الثَّانِي
هَذَا ، أَثْنَاءَ دَرَاةِ قَضِيَّةِ أُوطِينَا ، وَعَلَى أُسَاسِ تِلْكَ الْآرَاءِ بَتَّ الْمَجْمَعِ فِي
مَصِيرِ فَلَإِيَانِسِ وَزَمِيلِهِ أُوسَابِيُوسِ أُسْقَفِ دُورِيلِيُومِ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ لِأَنَّهُمَا
كَانَا الدَّمَاغِينَ الْمَفْكَرِينَ لِمَجْمَعِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْفَلَإِيَانِي .

وَبُنَاءِ عَلَى اسْتِعْرَاضِ تِلْكَ الْآرَاءِ وَالتَّأَكُّدِ مِنْ مُخَالَفَتِهَا الصَّرِيحَةِ
لِتَحْدِيدَاتِ مَجْمَعِيِ أفسُسِ الْأَوَّلِ وَسَابِقِهِ مَجْمَعِ نَيْقِيَةِ الْمَسْكُونِي ، تَأَكَّدُ
الْمَجْمَعُ بِأَنَّ فَلَإِيَانِسَ وَجَمَاعَتَهُ خَطَرَ جَدِيدَ يُهَدِّدُ الْكَنِيسَةَ وَإِيمَانَهَا الْمَقَرَّرَ فِي
الْمَجَامِعِ الْمَسْكُونِيَّةِ السَّابِقَةِ إِذْ سَتَكُونُ سَبَباً لِبَثِ التَّفْرِقَةِ وَالتَّنَاحُرِ بَيْنَ
صُفُوفِ أَبْنَاءِ الْكَنِيسَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، لِذَلِكَ قَرَّرُوا وَضَعَ حَدٍّ لِهَذَا الْخَطَرِ
الْجَدِيدِ الْمَحْدَقِ بِصَمِيمِ إِيمَانِ الْكَنِيسَةِ عَامَّةً ، وَهَكَذَا فِي نَهَاةِ الْجُلُوسَةِ
الْأَخِيرَةِ رَآخَ ديسْقُورُوسِ ، بِصِفَتِهِ الرَّئِيسِ الْأَوَّلِ لِلْمَجْمَعِ يُعْلَنُ الْبَيَانَ
التَّالِي :

(إِنَّ مَجْمَعِ نَيْقِيَةِ الْمَقْدَّسِ الْعَظِيمِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي حَلَّتْ فِيهِ حَدَّدَ لَنَا
إِيمَاناً مُسْتَقِيماً سَالِماً مِنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وَرَسَمَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِيمَانُ الْوَحِيدُ
الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْلَنَ وَيُنْشَرَ فِي الْكِنَائِسِ ، وَفَرَضَ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ حَتْمِيَّةً أَنَّهُ
لَا يَسُوغُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقَرَّرَ أَوْ يُحَدَّدَ أَوْ يَرَسَمَ غَيْرَ هَذَا الْإِيمَانِ ، وَلَا يَعْتَنُقُ غَيْرَ
هَذِهِ الْعَقِيدَةِ النَّقِيَّةِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ غَيْرَ ذَلِكَ ، أَوْ يُخَطِّطُونَ لَوْضَعِ
عَقِيدَةٍ جَدِيدَةٍ أَوْ يُحَاوِلُونَ تَغْيِيرَ مَا قَدْ حَدَّدَ ، فَإِنَّهُمْ مُعَرَّضُونَ تَحْتَ طَائِلَةِ
عُقُوبَاتٍ شَدِيدَةٍ ، فَإِذَا كَانُوا أُسَاقِفَةً يُعْتَبَرُونَ غُرَبَاءَ عَنِ كِرَامَةِ الْأُسْقَفِيَّةِ ،
وَإِنْ كَانُوا كَهَنَةً يُعْتَبَرُونَ مُجَرَّدِينَ عَنِ الْخِدْمَةِ ، وَإِنْ كَانُوا عِلْمَانِيْنَ يُعْتَبَرُونَ

مفصولين عن الشَّرِكة المقدَّسة ، وبناء على النِّقاط الَّتِي تُلِيَّت الآن ، ظَهَرَ لهذا المجمع المقدَّس أنَّ فلابيانس الَّذِي كان أُسقفًا للقُسطنطينيَّة وأوسابيُّوس أُسقف دوريلِيوم قد حرَّفَا وغيرَا وشوَّها كثيرا مِنْ تلك الأُسُس المقرَّرة ، وصارا سبباً للشُّكوك والقلاقل في الكنائس المقدَّسة والمجتمعات الأرثوذكسيَّة ، وبذلك اتضح أنَّهُما سقطا برغبتُهُمَا تحت طائلة العُقوبات الَّتِي فرضها الآباء القديسون ، ونحن إذ نُؤيد ذلك نحكمُ بأنَّهُما أصبحا غريبين عن الكرامة الكهنوتيَّة والأسقفيَّة) .

ثمَّ طلب إلى آباء المجمع أن يدلُّوا بآرائِهِمْ في هذا الأمر الهام فقال (فليُدلِّ كُلُّ واحدٍ مِنْ الأساقفة القديسين الحاضرين برأيه ، وليوضح بصراحة ما يجب أن يُعلنَ بهذا الشأن ، مع العلم أنَّ كُلَّ قرار يُعلنُ سيرُفَعُ إلى ملكينا التَّقيين مُحجِّي المسيح) (١) .

فَيجيبه فلابيانس (إنِّي لا نسحبُ عنك) ويُعقَّب على ذلك إيلاريُّوس شماس كنيسة رُوما بقوله (هُنَاكَ جوابٌ ضد ما ذُكِر) الأمر الَّذِي يدلُّ على أنَّ فلابيانس ظلَّ مُتمسِكاً بآرائه مِنْ جهة وأنَّ هُنَاكَ اتفاقاً جديداً بينه وبين المندُوب الرُّوماني مِنْ جهة ثانية ، وقد فَهَمَ المجمع ذلك بوضوح وعلى هذا الأساس استمر في أعماله فأخذ الأساقفة يُدلُّون بآرائِهِمْ بصراحة وبجُرِّيَّة كاملتين وأوَّل مَنْ أعلن رأيه بعد ديسقوروس هو الرِّئيس الثَّاني للمجمع يوبيناليوس رئيس أساقفة أُورشليم فقال :

(١) أعمال المجمع بالشرِانيَّة ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(أن فلابيانس وأوسابيوس جعلاً نفسيهما غريبين عن الكهنوت والدرجة الأسقفية ، وعليه إنني أنا أيضاً - بناء على ما تقدّم - أحكم بما حكّم القديس الطاهر رئيس الأساقفة ديسقوروس واعتبرهما غريبين عن كرامة الأسقفية) .

ويتلوه أراسيسطراطوس أسقف كورنثوس بقوله (في حضوري وبناء على ما تأكدت أن فلابيانس وأوسابيوس ليسا مؤمنين بالإيمان المستقيم ولا يتفقان مع مجمع نيقية المقدس ولا مع المجمع الذي التأم في أفسس منذ مدة وجيزة ، فإنني أنا أيضاً أوافق على آراء الأساقفة القديسين المجتمعين ، واعتبرهما غريبين عن الكرامة الأسقفية) .

وأعلن أيضاً إسطفانوس أسقف إيروفليس قال (أوافق أنا أيضاً على العقاب الصادر منكم يا أصحاب القداسة على فلابيانس وأوسابيوس اللذين كانا أسقفين واعتبرهما متجاوزين على قوانين نيقية المقدسة ، وقد كانا صديقين والآن هما غريبان فأكرّر موافقتي على الحكم الصادر عنكم) .

وهكذا يُدلي بالموافقة المطلقة بقيّة الأساقفة ورؤساء الأديار ثمّ وقّعوا القرار بالاجماع^(٢) .

هنا ينتهي بيت القصيد في هذه القضية ، فلم نلمح في المجمع لا جُنوداً ولا جرّاباً ولا إكراهاً ، بل تقدّم سائر الأساقفة إلى توقيع القرار بحق

(٢) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسريانية ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

هذين الأسقفين بكلّ حُرِّيَّةٍ واطمئنان دون أن تُكره إرادة أيّ منهم ، أمّا فلايانس ورفيقه أوساييوس فلا يحتاج المجمع إلى توقيعهما لأنّهما محكّوم عليهما وليسا حاكمين نظير بقيّة الأساقفة ، وإذا كان المجمع لا يحتاج إلى توقيعهما فلماذا يُكرهان ؟ وبماذا يُكرهان ؟ إنَّ كُلَّ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ إِنَّمَا يتخطّى هذه الحقيقة الواقعة ، وسنبحث هذه القضية في موضوع (التّحقيق في سير المجمع ونظامه) .

بعد اتخاذ هذا القرار رَفَعَ المجمع رسالةً مِجْمَعِيَّةً إلى القيصر نيو دوسوسوس الثاني الذي أَمَرَ بعقد المجمع لبحث قضية فلايانس بالدرجة الأولى لكي يعرف النتيجة النهائيّة طبقاً لرغبته ، وإليك نصّ الرّسالة :

(إذا وصف الإنسان جلالته الطاهرة ، محبة المسيح ، بكونكم ينبوع التقوى والعقيدة النقيّة والإيمان ، لن يتعدى الحق ، ثمّ يقف حائراً لأنّه لا توجد كلمات لائقة تصلح لامتحاح لأعمق المحبة لله المرافقة لكم ، يا صاحب الجلالة المجيد الظافر ، فقد يتفجّر منكم - أيها الملك الجليل - ينبوع معرفة الله الحقّة لسائر رعاياكم ، ولا ينضب عطفكم إذ يجري كالينبوع المحيي الذي يُنعش الدنيا ، فأنتم مؤيدون دائماً بصولجان الملك ، ليس بقوة السّلاح ، بل بالقوّة المتحصنة بالله ، ففي ذلك حُزْمُ القوّة والمنعة ضد الأعداء ، وتحوزون هذه القوّة دائماً ، إذ يُجند ملك الملوك ضد أعدائكم قوّاته السّماويّة غير المنظورة مكافأةً ليقظتكم على الإيمان المستقيم ، أنّ هذا الصّلاح يصون صولجان ملككم فلن يلتوي ، ويجعلكم رُعباً للذين يقاومونكم . إنّ حزمكم الجبار لم يُنقذ الجنس البشري من

هجمات البرابرة فحسب ، بل أحرص الأصوات الصاخبة المضادة ،
فلتحقق رايتكم شامخة خفاقة ضد قوى الشر ، التي تُخضَّب سِهَام الضلال
بالسُموم القاتلة لترمي نفوس الودعاء بالضربات المميتة ، فلا تحرق الجسد
فحسب ، بل تُعرِّض النَّفس أيضاً للموت الزوأم ، ولقد أصبح معروفاً أنَّ
شوقكم اللاهب بحب المسيح حرَّك التقوى الساكنة فيكم لتغاروا للرب ،
وتقلدوا بحق سلاحاً وثرساً روحين طبقاً لقول النبي ، وتنهضوا لتأييد
الإيمان المستقيم السالم من كل عيب ، ضد أولئك الذين وقفوا بالمرصاد
لإثارة القلق والاضطراب ففضحت أعمالهم ، أنهم يُكلمون تلاميذ المسيح
كلاماً غريباً ويدسون لهم الضلال .

من أجل هذا كله وتلبية لكتاباتكم السامية فقد اجتمعنا هنا في مدينة
أفسس ، ساعين إلى حمى اللاهوتي يوحنا ، بالإضافة إلى آثار الآباء
القديسين الذين بسيف الروح قطعوا لسان نسطور الذي أعلن الحرب ضد
المسيح ، وكان قائد تلك الحملة المظفرة السعيد الذكر كيرلس الذي كان لنا
أباً وأسقفاً ، فعند ورود كتاباتكم الهادرة كالأبواق الصارخة تدعونا إلى
الجهاد في سبيل الإيمان بادرنا جميعاً من كل حدب وصوب إلى مدينة
يوحنا وتيموثاوس ، حتى إذا اكتمل عقدنا وانتهينا إلى هيكل الكنيسة
المقدسة المدعوة ماريًا ، شهادة على معرفتنا المقدسة الحقّة ، انصبنا
بأفكارنا متفرغين للتحقيق في تلك المشكلات ، فحضر ووقف في الوسط
الفاضل رئيس الدير أوطيخا ، ورفع إلينا احتجاجه كتابةً مُعزّزاً بختمه داعياً
المسيح أن يكون شاهداً على ضميره ، واعترافه ؛ فأكد أنه تلقى الإيمان

المقدّس الذي حدّده الآباء في نيقية ، وقد حفّظهُ منذ صباه ، بدون تبديل ولم يجد عنه قيد شعرة رغم ما حاق به مِنَ الأخطار والمصاعب ، بل رسخ في هذا الإيمان رُسوخاً كاملاً ، مُؤيداً إِيَّاه بما أقر سابقاً في مدينة أفسُس ، في ذلك المجمع المقدّس الذي ثبّت جميع الشرائع والنُظُم الدّاعية لتقرير العقيدة المستقيمة ، ففي ذلك نادى القسيس ، ولما كان معنا خُصُومه ، الذين أدانوه في العاصمة كان مِنَ الضّروري أن نُجري التّحقيق الدّقيق في كلّ ما جرى ، وقد جاءت أوامرُكم الجليلة تطلب إلينا ذلك ، فلمّا قُدّمت الإتهامات كُنّا نقرأها ولم نُحمِل شيئاً ممّا أدرج فيها ، لكي يُشرق الحق ويتألّق مِنْ خلال سُطورها .

إنّ بعض زُملائنا الذين التأموا في العاصمة سابقاً شَجَبُوا أصوات الحق الصّريجة وعزلوها كأنّها أصوات زيف ، وقد أثاروا افتراءات كثيرة مِنْ عندياتهم ، مُعتبرين أصوات الحق كأنّها هذيان ، وشَجَب بعضهم ما كانوا قد أعلنوه سابقاً مُعلنين أنّهم لم يتصرّفوا بِتَعَقُل ، الأمر الذي نضرب عنه صفحاً ، ونجتزئ عن الاسهاب بما قلّ مِنْ الكلام لئلاً نُوجد ثُقلاء .

وجدنا رئيس الدير أوطيخا يعترف بلسانه أمام مجمعهم حيث حضر بعد أن دُعِيَ ثلاث مرّات ، وطبقاً للوثيقة التي رَفَعَهَا إلينا الآن ، تأكّد لدينا أنّه مُتمسِك بعقيدة الإيمان المستقيم ، ولم يرض ادخال عقيدة جديدة أو غريبة عمّا حدّده الآباء القديسون الذين اجتمعوا في نيقية وفي أفسُس ، فأطرينا الإيمان المستقيم الرّاسخ فيه وحكمنّا أن يستمر في مُمارسة حُقُوقه الكهنوتية .

إنَّ ما فَجَّرَ دِمُوعنا ليس المحكُّوم عليه ظلماً فحسب ، بل الحاكم أيضاً ، المتهم الدَّاهية والحاكم العجيب ، إنَّهم لم يُصدِرُوا مُجرَّد حُكْم - لأنَّ الأمر كانت هيَّنة مُعالجته - بل حاولوا نشر الضَّلالة في طُرُق الله ، ليجتذبُوا بعض الودعاء ويُضلُّوهم عن مخافة الله ، وحاولوا أيضاً منذ البداية إلقاء داهية أُخرى ، وهي نشر تعاليم نسطور مُتحدِّين تشريعاتِكُم السَّامية والمجمع المقدَّس الملتئم سابقاً في أفسُس ، الَّذي حُدِّدَ بإرشاد الرُّوح القدس وهُدْيِهِ ، بأنَّ لا سلطان لأحد أن يضع إيماناً جديداً غير الإيمان الَّذي قرَّرَ في نيقية ، ولا سلطان لأحد أن يُضيف أو يُغيِّر ، ولا أن يُحرِّف ذلك الإيمان الرَّاسخ الَّذي لا يتغيَّر ، وقد حَكَمَ أيضاً على الَّذين يُقدِّمون على ذلك أن يكونوا غُرباء عن الأُسقفية إذا كانوا أساقفة ، ومُجرِّدين عن الدرَّجة الكهنوتية إذا كانوا كهنة ويمنعوا من الأسرار المقدَّسة إذا كانوا علمانيين .

إنَّ ذلك المجمع كان يُعلِّم ويفقه وكان ينطق بالرُّوح ، وكان مُكتظاً بأناس غزيري المعرفة والعلم والحكمة ، وأمَّا الَّذين يُماحكون بالكلام الباطل - الَّذي يكون غالباً لهدم سامعيه - على حد تعبير الرُّسول الحكيم بولس ، الَّذي نبَّه بشدَّة وقال . أمَّا الكلام الباطل فاعرض عنه كلام الَّذين يُزيِّنون الضَّلالة ، وكلمتهم كالأكلة ترعى ، الَّذين منهم فلايانس وأوسابيوس اللذان زاغا عن الحق ، فسقطا من الكهنوت ، وأصبحا غريبين عن الكرامة الأُسقفية فقد عُوقبا ونالا التَّجريد العام بالاجماع ، لأنَّهما تحديا ما قرَّرَ سابقاً في أفسُس ، وأصبحا مُبتدعين مُعلنين للضَّلالات الباطلة وبالإضافة إلى ذلك فقد هيَّجا أمواجاً عاتية على الكنائس ، وأثارا في ضمائر المؤمنين

قلقاً وشُكوكاً ، كأننا بهم لم يكونا يعرفون الداء جيّداً فحري أن يُقال لهما
احترقا بنار ضلالكما واكتويا بلهيب أراؤكما ، إنَّهما سياكُلان من ثمار
طرقهما ويشبعان من ضلالهما كما هو مكتوب .

أمّا نحن فقد حكمنا للتَّمسُّك بإيماننا المقدَّس المستقيم ، طبقاً للقرار
الذي اتخذهُ الآباء القديسون الملتئمون في نيقية ، وكذا مع الآباء الملتئمين
في أفسس ، قبلنا ، فتعلّمنا منهم قول الكتاب ” لا تنقل الحد الذي
وضَعَهُ آباؤك “ فلا يوجد محل للإضافة ولا للحذف أو التبدل .

نطلب إلى جلالتيكم الظّافرة أن تعطفوا على شيخوختنا التي أعيت
كثيراً في السفر على هذه الطُّرق البعيدة ، ومن أخطار البحر ، فأصبحت
جُسُومنا هزيلة ذليلة وخاصّةً بتأثير المناخ الرديء في أفسس ، وتأمروا بسفرنا
والعناية بنا ضد الزّمان الكئود ، فيبلغ كلُّ منّا إلى مدينته وكنيسته . وأنا
نرفع الأدعية من أجل جلالتيكم التّقية محبة المسيح (وقّع هذه الرّسالة جميع
الأساقفة) (٣) .

إنَّ مُجرّد تأمّل بسيط في منطوق هذه الرّسالة ، يعلم الجو الذي ساد
ذلك الجمع ، واهتمام الملك خاصّةً في المواضيع المطروحة للبحث ، ولو
وجد الملك أو أي مُنصّف في الكنيسة أي انحراف في أعمال الجمع لَمَا
كان بالإمكان الشُّكوت عليه ، ورفع قضية الأسقف فلايانس كما وقّعت

(٣) أعمال مجمع أفسس الثاني بالشريانية ٢٩٨ - ٣٠٣ .

د . ميخائيل الكبير ٢ : ١٨٠ - ١ : ١٨٣ .

على الملك دلالة كافية على نزاهة المجمع وسيره طبقاً لما وضع له ، ففي هذه الرسالة تتضح الحقائق التالية :

١. حَرَصَ الملك ثيودوسيوس الثاني على تأييد الإيمان المقرّر في المجمع المسكونية السابقة ، وتمسك أساقفة المجمع على الإيمان نفسه لا مراعاة لرغبة الملك بالذات ، بل تلبية لصوت الحق الذي دَرَجَ عليه أولئك الأساقفة ، وتأييداً للإيمان الذي حدّده الآباء المجمعيون السابقون بإلهام الروح القدس .

٢. إِنَّ الملك قرّر المحافظة على ذلك الإيمان لا بِقُوَّةِ السِّلَاحِ بل (بِالقُوَّةِ المتحصنة بالله) قُوَّةِ التَّقْوَى والثقة بالله .

٣. خطر الفكرة التي نادى بها فلايانس وأعوانه على الكنيسة عامة ، واهتمام المجمع بالإضافة إلى الملك استئصال تلك الفكرة وإزالة أخطارها .

٤. كان عزل فلايانس لتمسكه مع زمرة بالعتيدة المنحرفة المضادة لقرارات آباء نيقية وأفسس ، ولأنه وزميله أوسابيوس ” أثارا في ضمائر المؤمنين قلقاً وشكوكاً ” على حد تعبير الرسالة .

٥. وقّع القرار الأساقفة كلهم بالاجماع ، لا مراعاة لديسقوروس أو للملك بل تلبية لصوت الحق والضمير ، ولم يكونوا بحاجة إلى توقيع المحكوم عليهما ، لصُدور الحكم ضدّهما وبالتالي لم يكن هنا إكراه ولا إجبار ، بل لم يكن المجمع بحاجة إلى ذلك .

(٦)

قضية أوطيخا

قرّنا سابقاً أن نفرّد بحثاً خاصاً دقيقاً في قضية أوطيخا لأنّه يمسّ بكرامة الكنائس الشرقيّة الأرثوذكسيّة ، بالصميم ، مُستندين على أوثق المصادر التاريخيّة المعاصرة لتلك الفترة الشاذة ، وعلى ضوء تعاليم الآباء الأرثوذكسيين .

لا شك أنّ مبدأ أوطيخا كان أحد المبادئ المنحرفة التي أقلقت الكنيسة مُدّة من الزمن ، وليت الأمر توقّف عند هذا الحد في حينه فَطُوِيَت أخباره في بُطُون التاريخ كما طُوِيَت أخبار غيره من المبادئ المنحرفة وزال أثرها ، إلّا أنّ الأمر تجاوز تلك الحُدود وأدّى إلى اتخاذه ، (قميص عُثمان) ضد هذه الكنائس الأصيلة التي تمسّكت بالمبادئ القويمة منذ البداية ، فَتُهَمَّت باعتناق مذهب أوطيخا وما زالت تُتَهَم رغم شجبتها إيّاه شجباً كاملاً ومُطلقاً ، ورغم ما عن اعتبارها إيّاه إحدى البدع الخطرة منذ نُشوئه إلى الآن .

أمّا الحجّة باتهام كنائسنا باعتناق هذا المبدأ فإنّها تبرئة مجمع أفسس الثاني لأوطيخا وشجبه مجمع فلايانس وأصحابه ، والقول بوحدة المسيح الطبيعيّة والأقنوميّة بعد التّجسّد ، وبعد الاتحاد العجيب ، ولهذا السبب وحده نحن بحاجة إلى دراسة كاملة لقضية أوطيخا من ألفها إلى يائها لإزالة الالتباس الحاصل في قضية تبرئته من جهة ولتبرئة الكنيسة الأرثوذكسيّة

وتاريخها وآبائها ولاهوتيتها من تُهمة اعتناق مذهبه من جهة ثانية .
وسندرس ذلك في النقاط التالية :

١ . من هذا أوطيخا وهل للكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة علاقة به ؟؟

كان أوطيخا قسيساً ورئيس دير في أحد أديار القُسطنطينيّة اتخذ الوحدة النُسكيّة طريقاً لحياته الرُوحية والعلمية ، وذهبت له شهرة واسعة في أوساط مُثقفي العاصمة البيزنطيّة لمقدرته الفائقة في التعبير واجتذاب السّامع إلى خطابه وأسر القارئ إلى إنتاج قلمه ، الأمر الذي ألبّ حوله جمهرة من مُحبي العلم والأدب ، وخاصّة أولئك النفر القليل المتنفذ في البلاط الملكي ، ومما زاد في تأثر الجماهير بشخصيته صورة التقوى التي كان قد اتخذها غطاءً لنفس عميقة الغور تخفي دهاء وادعاء مُنقطع النظر وتُضمر عنقواناً هادئاً يعرف كيف يُسيطر على النفوس .

يظهر من سياق الحوادث أنّ ديره أصبح مُنتدى لذوي الميول الفكرية وحاز من الثّقة في النفوس ما لم يحزّه غيره من الأوساط الرُوحية والعلمية ويظهر أنّ أوطيخا كان يحرص الحرص كُله على الاحتفاظ بمكانته العلمية والرُوحية المرموقة ، ويسوؤه أن يُبرز غيره فكرة تُؤثر في الجماهير فتقضي على صيته وتزعزع مركزه الرّفيع ، وعليه عندما ظهرت فكرة التثنية المطلقة لدى نسطور وفرقتِه وحازت بعض التأييد في الأوساط الفكرية واللاهوتية قرّر مُقاومتها بطريقة تُناقض نهجها على خط مُستقيم^(١) وغايتها من تلك

(١) تاريخ زكريّا الفصيح ص ٩٩ .

المقاومة القضاء على الفكرة الجديدة من جهة والحفاظ على مركزه الفكري من جهة ثانية ، إلا أن هذه المقاومة لم تكن مقاومة علمية لاهوتية صرفة لوجه الله ، لذلك زلت به القدم إلى هوة سحيقة لا تقل خطراً عن الهوة النسطورية في عقيدة التثنية المتطرفة المطلقة .

كان أوطيخا بيزنطياً ، وعليه لم تكن له أية علاقة بالكنائس المسيحية المنتشرة في مصر أو سوريا أو ما بين النهرين أو أرمينيا . لا من الوجهة القومية ولا من الناحية الثقافية أو اللاهوتية ، ولذلك لم يكن بوسعه اكتساب عطف هذه المجموعات الهائلة من القوميات والثقافات المتباينة ، أو أن يثير إعجابها بما حازه من صيت علمي وأدبي وزوحي رُبع قرن كامل ، وعلى هذه الأسس لم يكن من المعقول أن يميل مفكرو هذه الكنائس ولاهوتيوها إلى آرائه وتعاليمه بأية حال من الأحوال ، لأنها لم تكن بمتناول يده ، كما كانت جماهير القسطنطينية مثلاً ، وخاصة أن فكرته متطرفة وبعيدة كل البعد عن تعاليم آباء هذه الكنائس المستقاة من المبادئ الرسولية ، فالقول بأن الكنائس الأرثوذكسية تأثرت بآراء أوطيخا واعتنقتها لا تسنده الطبيعة ذاتها فضلاً عن كونه مخالفاً لحقيقة مبادئها القومية كل المخالفة .

٢ . فكرة أوطيخا .

لما كانت فكرة التثنية المطلقة مُستغرقة في البعد عن مفاهيم العهد الجديد وتحديدات اللاهوتيين الثقات في القرون المسيحية الأربعة الأولى ،

هاجمها أوطيخا بفكرة تُناقضها على خط مُستقيم ؛ فكرة وحدة في المسيح غريبة عن مفاهيم الآباء الأرثوذكسين إمّا جهلاً منه بالتعبير اللاهوتيّة الصّحيحة كما أكّد المؤرّخون ^(٢) أو تَنطُعاً طمعاً في ابتكار تعابير جديدة تُثير إعجاب أصحابه المعجبين به ، ومُؤدّي فكرته (أنّ الإله المتجسّد لم يتخذ من العذراء جسداً بشرياً حقيقياً ، بل صاغة صياغة عَرَضِيَّة كما يَصُوغ الهواء الماء مطراً أو ثلجاً ، أو كما يُيلور القِر الماء صقيعاً ^(٣)) وبالتالي يتلاشى النَّاسوت في اللاهوت أو تلاشى كُلُّ منهما في الآخر فأصبح المسيح طبيعة واحدة مُؤلّفة من ذلك المزيج) .

إنّ هذه الفكرة إنّما هي بدعة مُتطرفة من جملة البدع التي تشجّبها الكنيسة ، شجّباً مُطلقاً ، وهي بحد ذاتها غريبة عن التعبير اللاهوتيّ الأصيل ، الذي دَرَج عليه لاهوتيو القُرُون الأربعة الأولى ، لأنّ (الوحدة) فيها قائمة على فكرة الامتزاج وتلاشي الخواص الطّبيعيّة بعضها في بعض ، الأمر الذي تُنكره الطّبيعة ذاتها ، إذ يستحيل امتزاج المادّي بغير المادّي ، أو تلاشي كُلِّ منهما في الآخر .

إنّ هذه الفكرة تُناقض على خط مُستقيم فكرة التثنية المطلقة المعتمدة على احتفاظ كُلِّ من قُوّتي الألوهة والإنسانيّة بخواصهما الطّبيعيّة (تلاقيتا) ولكنّهما بقيتا مُنفصلتين انفصالاً مُطلقاً وعبرَ عنهما بعقيدة كون المسيح (طبيعتين وأقنومين) ، إنّما أحدث (لقاءهما)

^(٢) فيه أيضاً ص ١٠٠ .

^(٣) فيه أيضاً ص ١٠٠ .

(فرصوفاً)^(٤) واحداً أو إن شئت فقل (وجهاً أو شبحاً) واحداً ، وهذه هي فكرة نسطور وزمرته .

وهي تُناقض فكرة الوحدة التي علّم بها لاهوتيو القرون الأربعة الأولى ، المعتمدة على احتفاظ كلٍّ من القوتين (الإلهية والإنسانية) بخواصهما الطبيعيّة الذاتيّة الكاملة ولكنهما اتحدا اتحاداً حقيقياً فأصبحتا (وحدة) مطابقة لقول الإنجيل (والكلمة صارَ جسداً) ويُعبّر عن هذه الفكرة بكون المسيح طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً وقوّة واحدة وبدون اختلاط ولا امتزاج من جهة وبدون انفصال أو تلاشٍ من جهة ثانية .

٣. أوّل مَنْ ناقش فكرة أوطيخا .

إنَّ أوّل مَنْ ناقش فكرة أوطيخا في مطلع عهدها هو أوسابيوس أسقف دوريليوم الموجود يومئذٍ في العاصمة ، وبينه وبين أوطيخا صداقة شخصيّة ، ويظهر أنّ مناقشته لهذه الفكرة لم تكن على أسس علميّة لاهوتيّة ، لذلك كان فاشلاً في اقناع أوطيخا على التراجع عن فكرته .

إنَّ أوسابيوس بذاته كان يتبنّى فكرة نسطور القاضية بالأثنيّة المطلقة ويظهر أنّه ناقش أوطيخا على هذا الأساس ، الأمر الذي لا يُمكن الوصول بواسطته إلى نتيجة إيجابيّة ضد فكرة تُناقض فكرته الخاصّة على خط

^(٤) يجب أن نُنبّه القارئ إلى أنّ الكلمة اليونانية *Prosopon* والتي تعني شخص ، دخلت اللغة العربية القديمة عن طريق اللغة السريانيّة . وكُتبت باللفظ العربي " فارصوفا " (الناشر) .

مُستقيم ، وعليه فقد ظلَّ أوسابيُّوس في وادٍ وأوطيخا في وادٍ ، فلم يلتقيا عند نُقطةٍ مِنَ النِّقاطِ .

إنَّنا نشعر ونحن ندرس الاجتماع بين أوطيخا وأوسابيُّوس أنَّ النزوات النَّفسيةَ لعبت دوراً هاماً في تقرير مصير ذلك الاجتماع ، فحالت دونَ تفاهُهما بل عطَّلت التَّقاءَهما عند نُقطةٍ واحدةٍ على الأقل ، فأوسابيُّوس يُريد جذب صاحبه إلى تشيةٍ مُتطرفةٍ لا يُقرها ولا يستسيغها مِنْ جهةٍ ، ولا تنطبقُ أيَّةُ نُقطةٍ مِنْ نِقاطِها على فكرته مِنْ جهةٍ ثانيةٍ ، وأوطيخا وهو ذلك الغطريس المتعلِّبُ يُؤلمهُ النُّزولُ مِنْ بُرْجِهِ العاجي ، حِفظاً لماءِ وجهه أمام المعجبين به المسخُورين بقابلياته مِنْ جهةٍ ، وكُرهاً بأصحاب فكرة التشية المطلقة مِنْ جهةٍ ثانيةٍ .

إنَّ شُعور أوسابيُّوس كان يصطدم بعقبات كثيرة بالنسبة إلى تمسُّك أوطيخا برأيه وتصلُّبه وتعنُّته في تعليمه ، فمعنى ذلك هو الحدُّ مِنْ نموِّ فكرة التشية المتطرفة ، لأنَّ مُثقفِي القُسطنطينيةِ يُؤلونهُ ثقةً مُطلقةً مُستسلمةً ، وبالتالي سيستمر هؤلاء المثقفون - بما فيهمُ رُهبان ديره الثلاثمائة - أبواقاً مدويةً ضد المبادئ الأثينية ، ويُمكنهمُ والحالة هذه خضدُ شوكة المبادئ التي نادى بها نسطور وأصحابه في الكنيسة المسيحية .

أمَّا شُعور أوطيخا ، فكان شُعوراً مُضاداً طبعاً ، فإنَّهُ يَتَمَثَّلُ الخزي الذي سَيَمُنِي به تجاه أصحابه والمعجبين به ، كما يتخيَّلُ انهيار الآمال التي رفع عمدها بدهائه وذكائه إن هو استسلم لمناقشة ، ولو ببعض النِّقاط ، بل هو يتصور أنَّ الشهرة الواسعة التي حازها بكِدِّه وجَلْدِهِ ستتلاشى بطرفة

عين ، إن هو تنازل لرغبات أوسابيوس ولو بشعرة واحدة ، لذلك بقي كلٌّ منهما حيث هو فلم يلتقيا .

هذه كانت المرحلة الأولى في مناقشة فكرة أوطيخا وهي مرحلة المحاوره الكلامية ، وأما المرحلة الثانية فإنها المرحلة القلمية وقد بدأها ثيودوريطس أسقف قورش ، فأصدر نقداً لاذعاً ضد أوطيخا ومبادئه ، مُستنداً هو الآخر على آراء التثنية المتطرفة شأنه شأن زميله بالعقيدة أوسابيوس أسقف دورليوم ، الأمر الذي رفضه أوطيخا رفضاً باتاً لأنه لم يتعدَّ ما سمعه من صديقه أوسابيوس .

أما الخطوة الثالثة التي اتخذت لمجابهة أوطيخا ، فكانت إقدام فلايانس رئيس أساقفة القسطنطينية على اتخاذ موقف جديد من أوطيخا يقضي في بادئ الأمر بالصبر والتريث خشية أن تنشب فتنة جديدة تُقلق سلام الكنيسة إن هو فتح باب الجدال في هذه القضية أو سواها ، وقد صرح بذلك لصديقه وحليفه أوسابيوس أسقف دورليوم ، وكان فلايانس يعتقد في بادئ الأمر ، أن تعليم أوطيخا لن يتعدى جدران ديره ، وسيموت بموت أوطيخا ، وأوطيخا شيخ فان ، إلا أن أوسابيوس برهن له أن آراء أوطيخا تسربت إلى خارج جدران الدير بواسطة المناقشات التي كان يعقدها أوطيخا في ندوته التعليمية التي يرتادها كثيرون من متعلمي العاصمة ، وعلى هذا الأساس سيكون لها نصيب كبير من الانتشار الواسع إن هو ترك لأوطيخا الحبل على الغارب .

ويظهر أن فلايانس أخذ يمعن في إثارة الفتن حول أوطيخا وآرائه

مُحاولاً إشعال نار جديدة يمتد لهيبتها إلى خارج أسوار القُسطنطينيَّة بل يُعمِّم الكنيسة كُلَّها ، وغايتهُ مِنْ ذلك القضاء على العُنْف بالعُنْف ، أو إطفاء النَّار بالزَّيت ، الأمر الَّذي أقلق القيصر نفسه ، وحدى به إلى الطلب إلى فلابيانس العودة إلى فكرة التَّهدئة والتَّريث ، كما ذكَّر في رسالتهِ الَّتِي أنفذها إلى المجمع ^(٥) .

٤ . فلابيانس يعقد مجمعاً في القُسطنطينيَّة ضد أوطيخا .

لم تفد كُلِّ المحاولات الَّتِي قامَ بها القيصر لإقناع فلابيانس للعدول عن فكرة إثارة الفِتْن للقساوسة على تعليم أوطيخا بل على أوطيخا نفسه ، بل رآح رئيس أساقفة العاصمة يرمي بآخر سهم له في هذه القضية ، فقرَّر عقد مجمع إقليمي مِنْ أساقفته للنَّظر في أمر أوطيخا على الصعيد الأسقفي ، مع أنَّه اتخذ القرار بحق أوطيخا مُسبقاً ^(٦) لإضفاء الشَّرعيَّة المطلقة على ذلك القرار .

عُقدَ هذا المجمع في القُسطنطينيَّة برئاسة فلابيانس وعضوية ثلاثين أسقفاً واثنين وعشرين رئيس دير ، ^(٧) وانتدب الملك ثيودوسيوس فلورنتينوس - أحد رجاله - لحضُور المجمع مُحافظَةً على النَّظام ^(٨) فدعى

^(٥) رسالة القيصر في أعمال مجمع أفسس بالشريانيَّة ص ٢٧٥ .

^(٦) رسالة أوطيخا في أعمال المجمع ص ٢٧٧ - ٢٨٣ .

^(٧) تاريخ زكريَّا الفصيح .

^(٨) أعمال المجمع ص ٢٧٧ وتاريخ زكريَّا وتاريخ ميخائيل الكبير - النص الشرياني .

أوطيخا للدِّفاع عن نفسه بواسطة يُوحنا وغريغور القسيسين ، وأندراوس
وأثناسيوس الشَّماسين ، ^(٩) واعتذر عن الحُضور بحجَّة الشَّيخوخة تارة
والمرض والسُّعال طوراً ، والتَّقليد النُّسكي مرَّةً أُخرى ^(١٠) .

في الجلسة الأولى تلى أوسابيوس أسقف دوريليوم - صديق أوطيخا
سابقاً - وثيقة الاتهام يُعلن فيها أنَّ أوطيخا يأتى الحُضور أمام المجمع
للجواب عمَّا يُنسب إليه مِنْ ضلال ، إلاَّ أنَّه لم يذكر أيَّة مادَّة مِنْ المواد
التي يجب أن يشجُب أوطيخا مِنْ أجلها ^(١١) .

وفي الجلسة الثانية يظهر أنَّ النقاش دار حول العقيدة التي يعتنقها
القوم ومدى اتفاقها أو اختلافها وعقيدة أوطيخا ، ولكي يُقابل الأساقفة
بين العقيدتين بِدِقَّة ونزاهة يظهر أنَّ المجمع أمرَ فُقِرَّت رسالتان للقديس
كيرلُس الأسكندري ، الأولى في التَّجسُّد والثَّانية إعلان الإيمان التي وضعت
أساساً لفض الخلاف بين كيرلُس ويوحنا الأنطاكي ، وشرَع الأساقفة
يُقابلون العقيدتين نُقطة فنُقطة .

فَعَلَّق باسيليوس أسقف سلوقيا على رسالتَي القديس كيرلُس بما يأتي :
(إذا قُرِئت مؤلفات القديس كيرلُس فَمَنْ يستطيع شَجْب آرائه ؟ وقد هدم

^(٩) أعمال المجمع بالسُّريانيَّة ص ٢٧٧ .

^(١٠) تاريخ زكريَّا الفصيح ومينخائيل الكبير .

^(١١) رسالة أوطيخا إلى المجمع - في أعمال مجمع أفسُس ص ٢٧٩ ومينخائيل الكبير

بِحكْمَتِهِ ضلال نسطور^(١٢) الموشك أن يطغى على الدُّنيا ، فقد كان ذلك (نسطور) يُقسِم ربنا وإلهنا ومُخْلِصنا المسيح إلى (فرضوفين) وإلى ابنين ، فأثبت (كيرلُس) في (الفرضوف) والابن ، والرَّبُّ والسَيِّدُ الأسمى ؛ بلاهوت كامل وناسوت كامل ، إننا نَعترف مُؤيدين كُلِّ ما كُتِبَ أو أُصدِرَ اعترافنا بالحقيقة المفعمة بالتَّقوى ؛ ونسجُد لربنا يسوع المسيح الواحد ، ونعترف بطبيعتين مُتحدتين في شخصِهِ ، الأولى كائنة قبل الدُّهور قبساً مِنْ مجد الآب ، والثانية اتخذها مِنْ أم بالولادة مِنْ أجَلِنَا وصَارَ إنساناً كاملاً ، وابن الإنسان ، وإلهاً كاملاً وابن الله ، رغبة منه في إحيائنا جميعاً فالَّذين يُضادون هذه التَّعاليم هُم أعداء البيعة^(١٣) .

وعَلَّقَ يوليُوس أسقف قو بما يأتي : (لا أحد مِنْ ذَوِي العقل السليم يُمكنه مُضادة الإيمان الَّذي حدَّدهُ الآباء القديسون الملتئمون في نقيَّة ، وأقرهُ الآباء المجتمعون في أفسُس ، أنَّا نَعترف بطبيعتين في فرضوف واحد ، ونؤمن بابن واحد ربنا يسوع المسيح الواحد ، فإذا انصاع أحد لإبليس فذهب مُخالفًا لِمَا تسلَّمناه مِنْ الآباء القديسين فليكنْ محزوماً)^(١٤) .

وأعلن أودوكسيوس أسقف البوسفور (أنَّ السَّعيد الذِّكر أبانا كيرلُس

^(١٢) مِنْ الغريب أن يتنكَّر باسيليوس أسقف سلوقيا لضلال نسطور في عبارته هذه مع أنَّ تعبيره هذا بالذَّات تعبير نسطوري صِرْف ، لأنَّ الاتحاد لدى كيرلُس ليس بـ (الفرضوف) بل بالطَّبيعة والأقنوم .

^(١٣) أعمال مجمع أفسُس بالسُّريانيَّة ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

^(١٤) فيه ص ٢٨٧ .

أوضح لنا بِدِقَّة - استناداً إلى تعليم مجمع نيقية المقدَّس - عن مجيء ربنا وفادينا ؛ وأعلن أنَّ الابن المتجسِّد هو إله قبل الدُّهور ، ولكي يُمزق صك خطايانا اتَّخذ جسداً كاملاً مِنْ أَجْلِ خِلاصِنَا (١٥) .

وقال سلوقوس أُسقِف أمصيا (نُؤْمِنُ نَحْنُ أَيْضاً بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الْكَلِمَةُ مِنَ الْآبِ ، نُورٌ مِنْ نُورٍ فِي طَبِيعَتَيْنِ بَعْدَ الْإِتِّحَادِ وَاتِّخَاذِ الْجَسَدِ ، مِنْ الْقَدِيْسَةِ مَرْيَمَ ، وَمَنْ قَالَ بِغَيْرِ ذَلِكَ نَعْتَبِرُهُ غَرِيباً عَنِ الْبَيْعَةِ) (١٦) .

إلى هُنَا كَانَ الْمَجْتَمِعُونَ يُعْلِنُونَ مَا يَعْتَقِدُونَهُ ، وَالْغَرِيبَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا مَا أَعْلَنُوهُ إِلَى تَعَالِيمِ الْقَدِيسِ كِيرْلُسَ ، الْأَمْرَ الَّذِي لَا تُقْرَأُ الْحَقِيقَةُ التَّارِيخِيَّةُ وَلَا صِيغَةُ الْإِيْمَانِ الْلَاهُوْتِيَّةِ ، فَإِنَّ هَذِهِ التَّعَابِيرَ نَسْطُورِيَّةً صِرْفَةً وَكِيرْلُسَ لَمْ يَقُلْ بِأَيَّةِ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ بِالطَّبِيعَتَيْنِ بَعْدَ الْإِتِّحَادِ فِي فِرْصُوفٍ وَاحِدٍ ، فَمِنْ الْمَوْكَدِ أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ مُبْتَعَدٌ وَهُوَ مِنَ التَّحْدِيدَاتِ الْمَحْرَفَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى هَذَا الْلَاهُوْتِي الثَّقَةِ ، وَلَيْسَ فِي تَعَابِيرِ كِيرْلُسَ الْلَاهُوْتِيَّةِ الْأَصِيلَةِ مَا يَشْتَمُّ مِنْه رَائِحَةُ الطَّبِيعَتَيْنِ فِي (فِرْصُوفٍ) وَاحِدٍ مُطْلَقاً ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ كَثِيراً مِنْ تَعَالِيمِ كِيرْلُسَ حُرِّفَتْ بَعْدَ رُقَادِهِ لِاتِّخَاذِ اسْمِهِ غِطَاءً يَتَسَتَّرُ وَرَاءَهُ تَلَامِيذُ فِكْرَةِ التَّشْبِيهِ الْمَطْلُوقَةِ ، وَلَا غَرُوبَ ، فَإِنَّ فِلَابْيَانِسَ وَمُعْظَمَ أَسَاقِفَتِهِ كَانُوا مِنْ غِلَاةِ الْاَثْنِيْنِيَّةِ الْمَتَطْرَفَةِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ .

إلى هُنَا لَمْ يُذْكَرْ شَيْءٌ عَنِ أُوطِيخَا أَوْ تَعْلِيمِهِ لَا مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ

(١٥) فِيهِ ص ٢٨٧ .

(١٦) فِيهِ ص ٢٨٨ .

بعيد مع أنّ وثيقة الاتهام قُرئت في الجلسة الأولى كما عرفنا . وقد يتبادر إلى الذهن أحد الأمرين ، إمّا أنّ فلايانس وأساقفته لم يُريدوا مناقشة أوطيخا إلاّ بحضوره ، وإمّا أنّهم لم يجدوا أمامهم نصّاً مسجلاً لآراء أوطيخا لمناقشته ، إلاّ أنّ الأمر ليس كذلك ، فإنّ وثيقة الاتهام التي قرأها أوسابيوس أسقف دوريليوم ، لم تكن تحوي أيّة نقطة من نقاط آرائه ،^(١٧) لوضعها على بساط البحث ونقدتها ومناقشتها ، والطلب إلى صاحبها إمّا رفضها فيما إذا كانت مخالفة لما يعتقدونه ، وإمّا تأييدها ، ليصدر قرار الحُكم الجمعي استناداً إليها .

هناك ملاحظة هامة في رسالة أوطيخا التي رَفَعَهَا إلى مجمع أفسس الثاني ، وهي قوله : ” أنّ قرار عزله أُعدّ مُسبقاً قبل التمام المجمع “ ،^(١٨) الأمر الذي يدل على أنّ المجمع الذي عقده فلايانس لم يكن إلاّ هيئة اجتمعت لإقرار ذلك الحُكم وإعلانه ، وبالتالي لم يلتزم المجمع ليعرض آراء أوطيخا ويُناقشها مُناقشة علميّة صحيحة طبقاً للأعراف اللاهوتيّة المستندة إلى تعاليم آباء المجمع الثلاثة المسكونيّة ، بل لكي يجد من نُفوذ أوطيخا إذا لم يستطع القضاء عليه قضاءً كاملاً ، ذلك النُفوذ الذي أخذ يتزايد ، وبات يُهدّد مذهب الأثنيّة المطلقة بالفناء الأكيد ، وإلاّ لأدرجت آراء أوطيخا أولاً في وثيقة الاتهام ثمّ في مناقشات المجمع ودُرست نقطة فنقطة ، وأشير إليها بالبنان لدى مُخالفتها ما يعتقدونه المجتمعون ، والحال أنّ

(١٧) عن رسالته في أعمال مجمع أفسس ص ٢٧٨ .

(١٨) فيه ص ٢٧٩ .

هذا كله لم يحدث ، فيكون أوطيخا صادقاً فيما ذكر أن آراءه لم تُدرج في وثيقة الاتهام وأن قرار عزله أُعدَّ مسبقاً ..

بعد أن أعلن بعض أعضاء المجمع آراءهم المعبرة عن عقيدة التثنية المطلقة شرع بعض الحاضرين بإيراد اسم أوطيخا وعرض بعض آرائه الظاهرة ، وأول تقرير قُدِّم للمجمع في هذا الصدد قدَّمه كاتب فلايانس باقتضاب فقال : (لم يقل أوطيخا اثنين ، لِمَنْ هو اثنين قبل الاتحاد بل هو يسجد لطبيعة واحدة للإله المتجسّد ^(١٩) ولو تحرّى هذا الكاتب تعليم أوطيخا بحقيقته ودقته ، لِمَا قُدِّم عنه هذا التقرير لأنه بعيد كل البعد عما ادَّعاه أوطيخا في أصل تعليمه) .

إننا نستنتج من هذا إحدى النتيجةين ، إمّا أن فلايانس وأساقفته لم يفهموا حقيقة تعليم أوطيخا ، وإمّا أنّهم لم يستعرضوها كما هي بمنطوقها الأساسي تعمّداً ، لا لأنهم لا يستطيعون مناقشتها والتدليل على ضعفها أو بطلانها ومناهضتها للتعاليم الأبوية الصحيحة ، بل لأنهم لم يجتمعوا للدراسة والتدقيق والتحقيق ، بل اجتمعوا لغاية واحدة - حسبما يبدو - وهي القضاء على شُمة أوطيخا والحط من كرامته أمام مؤيديه والمعجبين به ، فتزول ريحه ويتلاشى خطره ، ويصفو الجو لهم لنشر مبادئ الأثنينية المطلقة .

ويردّ الكاتب مرّة أخرى (أن أوطيخا يعترف بأنّ المولود إله كامل

(١٩) فيه أيضاً ص ٢٨٨ .

وإنسان كامل) (ولكن ليس له جسد من جسدنا) (^(٢٠) وهُنا شرع الكاتب يُورد بعض تعليم أوطيخا في الفقرة الثانية من الجملة ، إلا أنه أُورد الجملة يُناقض بعضها بعضاً ، فإذا اعترف أوطيخا أن المولود (إنسان كامل) كيف لا يكون (ذا جسد من طبعنا) ؟ فالكاتب هُنا والحالة هذه أخطأ التعبير عن الرأي الصحيح لأوطيخا .

وقدّم كاتب آخر تقريراً مُقتضباً آخر عن تعليم أوطيخا فقال : (قال أوطيخا ، حاشا لي أن أقول أن ربنا هو من طبيعتين ، أو أن أفحص طبيعة إلهي) (^(٢١) وهذا القول ليست فيه الدقة الكاملة لمذهب أوطيخا ، الأمر الذي يُؤيد أن المجمع لم تكن له غاية التحقيق في طبيعة هذه الفكرة الجديدة ، بل كانت له أهداف أخرى كما ذكرنا ، إذ كيف يعترف أوطيخا بالمولود إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً على حد تعبير الكاتب السابق ولا يعترف أنه من مبدئين قبل الاتحاد ؟ ولو قال أوطيخا (حاشا لي أن أقول أن ربنا هو من طبيعتين) لكان هذا أقرب إلى حقيقة تعليمه ، أمّا القول الأوّل فلم يقله أوطيخا وليس ذلك من مبادئه ، وبالتالي أن المجمع لم يكن ليهتم بتحري البدعة لاستئصالها بل كان يعمل على تثبيت آراء الثنية المتطرفة .

لم يحضر أوطيخا إلا في الجلسة السابعة ، ولا نعلم ماذا بحث المجمع في جلساته الست المتقدمة ، بعد عرض إيمان الأساقفة الأثيني الصريح ، والظاهر أنه كان يتشاغل بأُمور تافهة استعداداً لمُجابهة أوطيخا بما قرره

(٢٠) أعمال مجمع أفسس ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢١) فيه ص ٢٨٩ .

مُسبِقاً ، مُتظاهراً بالتَّمسُّك بالقانون الكنسي القاضي بدعوة المتهم ثلاث مرَّات ليجد مُبرراً لِمَا سبق فقرَّره دون الالتفات إلى وُجُوب البحث في النِّقاط المخالفة للإيمان ، وواضح أنَّ النِّقاط الَّتِي قَدَّمها الكاتبان لا تستحق البحث ولا تقوى على الدِّراسة لأَنَّها تافهة بکُلِّ معنى التَّفاهة .

والآن وقد عُقِدَت الجلسة السَّابعة ، وأوطيخا يمثُل أمام المجمع بشيخُوخته الفانية ، الَّتِي كان يخفي وراءها دهاء لم ينتبه إليه المجمع ، فأعيدت تلاوة وثيقة الاتهام ، وطلب إليه المجمع التَّصريح بأرائه فقدم صورة إيمانه مكتوبة ، فلم تُقبل هذه الصورة ولم تُقرأ في المجمع وسرَّت ضجَّة صاحبة اضطر مندوب القيصر إيقافها والطلب إلى أوطيخا مُجدِّداً بعرض اعترافه مُشافهةً ^(٢٢) فلم يفوزوا منه بطائل سوى قوله أَنَّهُ يعترف بالمسيح كلمة الله في طبيعة واحدة إلهية ^(٢٣) .

واستطاع المجمع انتزاع بعض الأجوبة مِنْ أوطيخا رغم تهرُّبه وتلؤنه ، وقد سُجِّلَت تلك الجلسة في محضر ، وعُرِضَت في مجمع أفسُس الثاني لمناقشتها . وإليك ذلك : طَلَبَ فلاييانس إلى أوطيخا أن يعترف أن جسد المسيح كان مِنْ طبعنا فأجاب : (بما إِنِّي أعترف به جسد الإله فلن أقول عن جسد الإله أَنَّهُ جسد إنسان . وقد قُلْتُ أن الجسد إنساني وأن ربنا تجسَّد مِنْ العذراء ، وإذا وَجَبَ القول أَنَّهُ مِنْ العذراء وَأَنَّه مِنْ طبعنا فهذه أيضاً أقولها ، يا سيِّدي ، إلاَّ أَنِّي لن أقول أن ابن الله الوحيد ،

^(٢٢) رسالة أوطيخا إلى مجمع أفسُس الثاني في أعمال المجمع ص ٢٨٠ .

^(٢٣) مجمع خلقيدونية بالعربية ص ٢٨ - ٣٣ .

ورب السماء والأرض ، مَنْ اعترف به رباً ومَلِكاً مع الآب ، والجالس معه في الجُد ، إِنَّهُ مِنْ طَبْعِنَا ، ولو قُلْتَ ذلك لأنكرت أَنَّهُ ابن إله (٢٤) .

ثُمَّ سألَهُ فلورنتينوس - أحد الأساقفة : (أتقول في ربنا أَنَّهُ مِنْ العذراء ، وَمِنْ طبيعتين بعد التَّجسُّد أم لا ؟) قال : (أَعترف أَنَّ ربنا هو مِنْ طبيعتين قبل التَّجسُّد ، أمَّا بعد الاتحاد فأعترف بطبيعة واحدة) (٢٥) .

وانبرى باسيليوس أسقف سلوقيا يسأله : (إذن لا تقول بطبيعتين بعد الاتحاد ، فَإِنَّكَ تعترف بالامتزاج والتَّلاشي) ولا نعلم بماذا أجاب أوطيخا على هذا السؤال لأنَّهُ لم يجب .

ثُمَّ قُرِئَتْ إحدى رسائل القديس كيرلس ، ويظهر أنَّها كانت تُعالج نظرية الوحدة في المسيح ، فقال أوسابيوس أسقف دوريليوم (هل يُسَلَّم أوطيخا بما تُلي الآن مِنْ تعاليم القديس كيرلس ؟ وهل يعترف أنَّ وحدة الطَّبيعتين صارت بفرضوف واحد وأقنوم واحد ؟) فلم يُجِبْ أوطيخا حتَّى سأله فلورنتينوس (أسمع يا رئيس الدير ماذا يقول مُتَهَمُكَ ؟) قال : (نعم مِنْ طبيعتين) .

ثُمَّ أعاد السؤال عليه أوسابيوس أسقف دوريليوم : (أتعترف يا سيدي رئيس الدير بطبيعتين بعد التَّجسُّد وهل تقول أنَّ المسيح مِنْ

(٢٤) أعمال مجمع أفسس ص ٢٨٩ .

(٢٥) فيه ص ٢٨٩ .

طبعنا ؟ (٢٦) .

لم ينتظر المجمع الجواب على هذا السؤال فقد أصدر فلايانس قرار
الإدانة باسمه لا باسم المجمع وإليك القرار :

” لقد ظهر من هذه المناقشات والتقارير أن أوطيخا الذي كان رئيس
الدير وقسيساً يعتنق بدعة والنطينوس وأفوليناريوس وهو متلبس بضلالهم ،
ولم ينجل من نصحننا وإرشادنا له ليُعود إلى الإيمان القويم ، وعليه ، وفيما
نحن نذرف الدمع عليه مُتهدين على هلاكه ، الكامل ، قررنا برنا يسوع
المسيح الذي أساء إليه (أوطيخا) بأن يكون غريباً عن رتبة الكهنوت
وعن الشركة معنا وعن رئاسة الدير ، كما نُحذّر جميع الذين يُحادثونه أو
يُتجمعون به ، بأنهم هم أيضاً مُعرّضون لنفس العقوبات ، فيما إذا لم
يُمتنعوا عن الصلّة به “ التوقيع (٢٧) .

مما لا شك فيه أن أوطيخا كان متلبساً ببدعة والنطينوس وأفوليناريوس
وماني ، ومما لا شك فيه أن بدعته كانت مُدعاة لتعكير صفو الكنيسة
وتعريض سلامتها للخطر إلا أن مجمع فلايانس لم يُناقش هذه البدعة من
قريب ولا من بعيد وكلّ ما في الأمر حِزص المجمع على استعراض فكرة
أعضائه الأثنيّة الأمر الذي من أجله بصورة خاصّة عُقد المجمع ، مُحاولين
حَمَل أوطيخا على الاعتراف بهذه الفكرة ، وعلى هذا الأساس دارت

(٢٦) فيه أيضاً ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢٧) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

مُناقشتِهِمْ كُلِّهَا كما رأينا .

أمَّا أوطيخا فهو ذلك الدَّاهية المشعلُ الَّذي يعرف كيف يتلاعب بالكلمات ، ويُحذِّر التَّعابير الَّتِي لا يفيد منها خِصمه بالمناقشة في قليل أو كثير ، وممَّا مررنا به مِنْ أجوبته رأيناه يحرص كُلَّ الحرص على الابتعاد بقدر الإمكان عن التَّصريح بفكرته الأساسيَّة .

إنَّنا نعتقد أنَّ ما ذكره أوطيخا في رسالته إلى المجمع الأفسسي كان صحيحاً مِنْ أنَّ وثيقة الاتهام الَّتِي تلاها أوساييوس أسقف دوريليوم في الجلستين الأولى والسَّابعة للمجمع لم تكن تحمِل أيَّة نُقطة مِنْ نِقاط فكرته ، وإلاَّ لَنُوقِشتْ بطريقة موضوعيَّة صريحة ، الأمر الَّذي لم يحدث في سائر جلسات المجمع ، ويكُون خِصمه أوساييوس - وصديقه سابقاً - والحالة هذه قد دار بعيداً جداً حول الموضوع دون أن يدخله دُخولاً فعلياً ، وأعظم شاهد على ذلك ، إعلان الأساقفة عقيدة الثنية المطلقة دون التَّطرق إلى مُقابلة هذه العقيدة بالعقيدة الَّتِي اجتمعوا لمعالجة بُسْطها ثمَّ دحضها .

والأسئلة الَّتِي أُلقيت على أوطيخا في الجلسة السَّابعة الَّتِي حَضَرَهَا سواء مِنْ قِبَل فلابيانس بالذَّات أو مِنْ قِبَل أساقفته لم تتعدَّ كونها إعلان الفكرة النَّسطورية ومُطالبة أوطيخا باعتناقها ، فجاءت أجوبة أوطيخا مطَّاطة تحمِل كثيراً مِنْ التَّأويل ، بل يُمكن الذَّهاب بها إلى أبعد ممَّا كانوا يتصورون ، حتَّى أنَّ بعض تصريحات أوطيخا عندما استُعرضت في مجمع أفسس الثاني قَبَلَهَا المجمع واعتبرها عقيدة أرثوذكسيَّة لا غبار عليها كقوله

مثلاً (أنني أعترف أن ربنا كان من طبيعتين قبل الاتحاد ، أمّا بعد الاتحاد فأعترف به طبيعة واحدة) فَهَتَفَ ديسقوروس والمجمع كُله (أننا نُسَلِّم بهذا أيضاً جميعاً) ^(٢٨) وقد عَقَّب باسيليوس أسقف سلوقيا على هذا بقوله لأوطيخا (ما لم تَقُلْ بطبيعتين بعد الاتحاد . فَإِنَّكَ تَقُولُ بالامتزاج والتَّلاشي) ^(٢٩) إِلَّا أَنَّ أوطيخا لم يُعَلِّقْ على هذه النَّاحِيَةِ بشيء ، لم يُؤَيِّدِهَا ولم يُنْكَرْهَا ، مع أَنَّهُ يَعْتَقِدُ حَقِيقَةً بالامتزاج والتَّلاشي ، لأنَّ الاتحاد في عَقِيدَتِهِ هو على هذا الأساس .

مِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ مَجْمَعَ فَلَبيانس كان يَعْتَبِرُ في جَمِيعِ جَلِساتِهِ أَنَّ عَقِيدَةَ الطَّبِيعَتَيْنِ في فِرْصُوفٍ وَاحِدٍ ، وَأَقْنُومٍ وَاحِدٍ بَعْدَ الاتِّحَادِ مُسْتَمَدٌّ مِنْ تَعَالِيمِ القَدِيسِ كِيرْلُسِ الأَسْكَندَرِيِّ مَعَ أَنَّ القَدِيسَ كِيرْلُسَ بَعِيدٌ عَنِ هَذِهِ العَقِيدَةِ كُلِّ البُعْدِ ، بَلْ تَتَبَرَّأُ مِنْهَا مُؤَلِّفَاتِهِ الأَصِيلَةُ الَّتِي انْتَشَرَتْ قَبْلَ مَجْمَعَ أَفْسُسِ الأَوَّلِ وَبَعْدَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ المَعْرُوفِ أَنَّ بَعْضَ الأَيْدِي دَسَّتْ أَفْكَاراً شاذَّةً في تِلْكَ المَوَلِّفَاتِ رَغْبَةً في اسْتِعْلَانِ اسْمِ القَدِيسِ كِيرْلُسِ تَغْطِيَةً لِتَرْوِيجِ عَقَائِدٍ لَمْ يَكُنْ للقَدِيسِ كِيرْلُسِ أَيَّةُ يَدٍ فِيهَا ، وَمِنْ المَعْرُوفِ أَنَّ أَيْدِي التَّزْوِيرِ سَطَّتْ على تِلْكَ المَوَلِّفَاتِ وعلى غَيْرِهَا فَشَوَّهَتْ مَعَالِمَهَا وَبَدَّلَتْهَا تَبْدِيلاً ، وَكَادَتْ تِلْكَ المَوَلِّفَاتِ المَشَوَّهَةَ تَقْلِبُ حَقَائِقَ كَثِيرَةً تَارِيخِيَّةً وَلاهُوتِيَّةً مِنْذُ نَهَايَةِ القَرْنِ الخَامِسِ ، إِلَّا أَنَّ مَلْفَانَ الكَنِيسَةِ الكَبِيرِ مارِ ساوِيرِيوسَ بِطَرِيرِكَ أَنْطَاكِيَةَ المَعْتَرِفِ (٥٣٨ م) عَمِلَ على تَلَافي تِلْكَ التَّزْوِيرَاتِ في

^(٢٨) أعمال مجمع أفسس بالسُّرْيَانِيَّةِ ص ٢٨٩ .

^(٢٩) فيه ٢٩٠ .

كتابه الجليل (فيلاليثوس)^(٣٠) الذي ألفه خصيصاً دفاعاً عن مؤلفات
القديس كيرلس وأظهر فيه ٣٣٠ موطناً من تصانيف الأئمة لحقتها يد
التزوير^(٣١) فتكون التعبيرات الأثنيائية المنسوبة إلى القديس كيرلس في هذا
المجال أو غيره من المجالات ليست لهذا اللاهوتي الثقة ، ونسبته إليها لا
تصح على الإطلاق .

(٣٠) نَقَلَهُ (شندا) إلى اللاتينية ونَشَرَ النِّص وَالترجمة سنة ١٩٢٩ أخذاً عن مخطوطة
من القرن ٨ .

(٣١) اللؤلؤ المنشور ص ٢٩٩ - طبعة حلب ١٩٥٦ .

(٧)

أوطيخا يستأنف دعواه

إلى القيصر وإلى أساقفة العالم

لم يقف أوطيخا ، بعد قرار عزله وتجريده من كرامته الكهنوتية ،
والحملات العنيفة التي أثرت ضده بل رَفَع ظلامته إلى القيصر ثيودوسيوس
برسالة ضافية شَرَحَ فيها أَنَّ الأساقفة الذين حاكموه أمام المجمع الإقليمي
إنَّما أرادوا حمله على اعتناق الفكرة الأثينية التي شَجَبَهَا مجمع أفسس
الأوَّل ، وأكَّد أنَّه برئ مما أُسِنَدَ إليه ^(١) ثُمَّ وَجَّه رسائل مُماثلة إلى كثيرين من
أساقفة العالم المسيحي ، ومنهم أساقفة الأسكندرية وتسالونيكي ورافينا
(إيطاليا) ^(٢) وزُوما ^(٣) وقد لاقت رسائله هذه آذاناً صاغية ، واعتقد
الجميع أنَّ فلابيانس وأساقفته إنَّما أيقظوا فكرة نسطور التي وأدها مجمع
أفسس الأوَّل برئاسة القديس كيرلس ، واستعد كثيرون للدِّفاع عن أوطيخا
ولإلقاء اللوم على فلابيانس ومجمعه .

إنَّ أشهر الأساقفة الذين دافعوا عن أوطيخا كان لاون رئيس أساقفة
زُوما ، فكتب إليه رسالة ضافية يُثني فيها على غيرته و (إيمانه) ويُؤكِّد

^(١) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

^(٢) مجمع خلقيدونية - الترجمة ص ١٤٤ .

^(٣) تاريخ زكريَّا وميخائيل الكبير .

اقتناعه أنّ فلابيانس وصحبه يعتنقون المبادئ النَّسْطُورِيَّةَ ويُدافعون عنها^(٤) كما كتب رسالةً أخرى إلى فلابيانس يطلب إليه العطف على أوطيخا^(٥).
أمّا القيصر ثيودوسيوس فقد ذهب إلى أبعد من ذلك ، فبالإضافة إلى مُحاولاته السَّابِقة في تهدئة عُنف فلابيانس الثَّائر ضد أوطيخا^(٦) جاء هذه المرّة يُنادي بعقد مجمع جديد لبحث القضايا من كافة أطرافها ، وقد رَغِبَ أن يكون المجمع مسكونياً امتداداً لمجمع أفسس السَّابق علماً منه أن القضية النَّسْطُورِيَّةَ الَّتِي شَجَبَهَا ذلك المجمع إنّما استيقظت الآن وكادت تطفئ على الكنيسة كُلِّها ، فأصدر مرسوماً مَلَكِيّاً إلى سائر أساقفة العالم يقضي بعقد مجمع مسكوني لإعادة بحث انتشار المبادئ النَّسْطُورِيَّةَ من جديد والعمل على مُعالجة الموقف الجديد النَّاتج عن يقظة تلك المبادئ ، ويطلب إلى الأساقفة أيضاً القضاء (على الضَّلال) والعودة إلى مبادئ مجمعي نيقية وأفسس الأوَّل^(٧) .

^(٤) مجمع خلقيدونية ص ٣٤ .

^(٥) فيه ص ٣٢ .

^(٦) رسالة الملك إلى مجمع أفسس الثَّاني - أعمال المجمع ص ٢٧٥ .

^(٧) أعمال مجمع أفسس . رسالة الملك إلى المجمع ص ٣٧٥ وإلى ديسقوروس

ص ٦ - ٣ .

(٨)

التَّحْقِيقُ فِي قَضِيَّةِ أُوطِيخَا

فِي مَجْمَعِ أَفْسُسِ الثَّانِي ٤٤٩ م

قرَّر القيصِر ثيودوسيوس عقدَ مَجْمَعِ مَسْكُونِي فِي أَفْسُسِ لِيَسَ لِدِرَاسَةِ قَضِيَّةِ أُوطِيخَا فَحَسَبَ بَلْ لَتَنْقِيَةِ الْجَوِ الْكَنْسِي مِنْ كَافَةِ الْمَشْكَلاتِ الَّتِي نَتَجَتِ عَنِ اصْطِدَامِ مَبْدَأِ أُوطِيخَا بِمَبْدَأِ الْاَثْنِيَّةِ الَّذِي كَانَ يَعْتَنِقُهُ فَلَابِيَانَسِ وَأَعْضَاءِ مَجْمَعِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ رِجَالِ الْكَنِيسَةِ الْكِبَارِ فِي كِرَاسِي أُسْقَفِيَّةِ أُخْرَى ، وَبِمَا أَنَّ أُوطِيخَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِاحْتِرَامٍ بَالِغٍ لَدَى نَفَرٍ مِنْ رِجَالِ الْبِلَاطِ ^(١) جَاءَتْ قَضِيَّتُهُ كَسَبَبٍ أَوَّلِيٍّ مِنْ أَسْبَابِ عَقْدِ الْمَجْمَعِ ، إِلَّا أَنَّ الْمَرْسُومَ الْمَلَكِيَّ الصَّادِرَ إِلَى أَسَاقِفَةِ الْعَالَمِ حَدَّدَ سَبِينَ اثْنِينَ مُهِمِينَ بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّوْصِيَةِ بِدِرَاسَةِ قَضِيَّةِ أُوطِيخَا دِرَاسَةً عَادِلَةً ^(٢) وَهُمَا الْقَضَاءُ عَلَى الضَّلَالِ وَتَأْيِيدِ الْإِيْمَانِ الَّذِي قَرَّرْتُهُ الْمَجَامِعُ الْمَسْكُونِيَّةُ السَّابِقَةُ وَخَاصَّةً بِمَجْمَعِ نِيْقِيَّةِ وَأَفْسُسِ ، وَذَلِكَ خَوْفًا مِنْ اسْتِمْرَارِ أَعْمَالِ الْعُنْفِ فِي الْكَنِيسَةِ وَافْسَاحِ الْمَجَالِ لِلْمُتَصِيدِينَ فِي الْمَاءِ الْعِكْرِ بِاسْمِ الْإِيْمَانِ لِإِحْدَاثِ الْفِتَنِ وَتَشْوِيْشِ الرَّأْيِ الْعَامِ الْكَنْسِي ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ أُصْدِرَ الْقَيْصِرُ ثِيودوسيوسَ الثَّانِيَّ بِالِاتِّفَاقِ وَوَالنَّطِينُوسَ مَلِكَ الْغَرْبِ مَرْسُومًا مَلَكِيًّا إِلَى

^(١) تَارِيخُ زَكَرِيَّا الْفَصِيحِ وَمِيخَائِيلِ الْكَبِيرِ .

^(٢) رِسَالَةُ الْمَلِكِينَ إِلَى دِيَسْقُورُوسِ فِي أَعْمَالِ مَجْمَعِ أَفْسُسِ ص ٣ - ٦ .

سائر أساقفة العالم يدعُوهم فيه إلى عقد ذلك المجمع في مدينة أفسس امتداداً لمجمع أفسس الأوّل الملتئم سنة ٤٣١ م .

لجئ هذه الدّعوة عدد مُحترم من أشهر أساقفة العالم واجتمعوا في مدينة أفسس وافتتح المجمع رسمياً في يوم السبت المصادف ١٠ آب سنة ٤٤٩ م . وقد وجّه الملكان رسالة إلى المجمع يشرحان الأسباب الموجبة لعقد ذلك المجمع ، وأوّل عمل قام به المجمع هو قراءة هذه الرّسالة كمرسوم ملكي بالإضافة إلى بقية الرّسائل والمراسيم الملكيّة الموجهة بصورة خاصّة إلى أساقفة مُعينين ، وإليك الرّسالة الموجهة إلى المجمع .

من الإمبراطورين القيصريين ثيودوسيوس ووالنتينوس الغالبين المشرقين بالظفر المعظّمين المبجلين دائماً .

إلى مجمع أفسس .

كُنّا نأمل أن تكون كنائس الله المقدّسة مصونة من كلّ اضطراب ، وأنتم ماضون في خدمتكم الكهنوتيّة المقدّسة العادية دون أن تتجشّموا هذا العناء المضني ، إلّا أنّ محب الله الأسقف فلايانس أخذ يبحث جديد في قضايا الإيمان ضد الفاضل رئيس الدير أوطيخا ، فعقد مجمعه للتحقيق ، ونحن طلبنا إلى هذا الأسقف محب الله مراراً أن يمنع الفتنة ، لأننا واثقون أنّ الإيمان الذي تلقيناه عن الآباء القديسين الملتئمين في نيقية والذي أقره مجمع أفسس كافٍ ، إنّنا طلبنا مرّات كثيرة إلى هذا الأسقف التّقي الامتناع عن إثارة هذه القضية تحاشياً من حدوث فتنة عامّة ، إلّا أنّه لم يدعن فرأينا أنّه لا مناص من عقد مجمعكم المقدّس لبحث أمر الإيمان أمام جمهرة

مِنَ الأساقفة القديسين المكرّمين ، فتعرض أمامه الأمور الطارئة فيبحثها ويستأصل الشرّ مِنْ شأفته ويبعد عن الكنائس المقدّسة جميع الذين يتمسّكون بضلال نسطور أو يؤيدونه ، ويأمر بتأييد الإيمان المستقيم بكلّ ثبات وبدون تردّد ، فرجاؤنا كلّه وقوّة ملكنا متعلّقان بالإيمان الرّاسخ بالله وبدُعائِكُم المقدّس .

أعطى في شهر حزيران في مدينة القُسطنطينيّة (٣) .

وبناء على مرشوم الملكين هذا راح المجمع يدرس قضية أوطيخا مِنْ جميع نواحيها الظاهرة الّتي اتضحت أمام المجمعين ، وأخذ يُناقشها بِدِقَّة على ضوء سِجِلْ جلسات مجمع فلايانس ، والوثيقة الإيمانيّة الّتي قدّمها أوطيخا إلى المجمع ، وبعد أن قرأ المرشوم الملكيّ الآنف ، وقبل عرض سِجِلْ أعمال مجمع فلايانس ، افتتح ديسقوروس الجلسة بالكلمة التّالية:

(لقد اتضحت لنا الإرادة السّامية الّتي أصدرها الملكان المؤمنان وأحطنا علماً بما دار في مجمع القُسطنطينيّة ، وهما يأمران بالتّمام هذا المجمع بعد أن قضت الضّرورة إلى ذلك فيجب التّقيّد بمقررات المجمع المقدّسة الّتي عُقدت سابقاً ، والقوانين الّتي شرّعتها ، والتّحديدات الّتي أصدرتها ، فلا يسوغ لنا أن نتحدّى كلّ ذلك ، فإنّ ملكنا مُحبّ المسيح أمر بالتّمام هذا المجمع على أثر ظُهور حَدْث طارئ لا لكي نُقرّر الإيمان الّذي قرّره الآباء سابقاً ، بل لكي نبحث الطارئ الجديد ومدى اتفاهه وما قرّره الآباء

(٣) عن أعمال مجمع أفسس ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

القديسون وعليه يجب أن يعرض الأمر الجديد الطارئ ، فنبحث فيما إذا كان يتفق ومبادئ الآباء القديسين أتريدون أن نُحرّف إيمان الآباء) .
قال المجمع (مَنْ يُحَرِّفُ فليكنْ محزوماً ، مَنْ يُزَوِّرُ فليكنْ محزوماً ،
سنحفظ إيمان الآباء) .

قال ديسقوروس (راحة لضمير الجميع ، وتأيداً للإيمان ، وقضاء
على الأحداث الطارئة أُويِدْ مبادئ آباء نيقية وأفسس) (٤) .

إذا تأملنا هذه الإفتاحيّة التي نطقَ بها ديسقوروس البابا الأسكندري
نعلم كُلاًّ الأهداف التي مِنْ أَجْلِهَا التأم هذا المجمع ونتأكد أنّ البحث لن
يتعدّى هذه الأهداف الثلاثة الواضحة في هذه الكلمة الإفتاحيّة الجامعة
المانعة .

وقبل أن تُعرض أعمال مجمع فلايانس ، دارت مُحاورة إيمانيّة هامة
جدّاً تُويِد تلك الأهداف الثلاثة التي وَضَعَهَا ديسقوروس كشرية عامة
للمجمع ، وكتوطئة للخُطوات التي سيسير عليها المجتمعون في دراسة قضية
أوطيخا أو أيّة قضية أُخرى ، والمحاورة دارت بين ديسقوروس مِنْ جهة
والمجمع مِنْ جهة ثانية . ونستخلص مِنْ هذه المحاورة تمسك آباء المجمع
بمبادئ المجامع السّابقة ، والإعراض عمّا سواها ، مِنْ أي مصدر كان ،
الأمر الذي يُويِد أنّه لم يبقَ موضع لا لعقيدة جديدة يأتيها أوطيخا ولا
لتفسيرات تأتي مِنْ خارج الخُدود ، ولأهمية تلك المحاورة ليَعُدُّ إليها القارئ

(٤) فيه ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

فقد سَجَّلنا بُنودها في موضوع (طابع المجمع) في بحثنا هذا .

يختم ديسقوروس تلك المحاوره بقوله (حِفْظاً لِلنَّظَامِ وَالوَاجِبِ لِتُقْرَأَ
الوثائق الخاصَّة بموضوعنا وكتابات مُحِبِّ الله رئيس أساقفة رُوما ؛ ولنبدأ
بقراءة الوثائق طَبَقاً لِرَغْبَةِ الْجَمِيعِ) (٥) .

فأنت ترى أنَّ ديسقوروس يأمر بقراءة (كتابات مُحِبِّ الله رئيس
أساقفة رُوما) ولا نعلم كيف استطاع البعض اتهامه برفض تلك الكتابات،
ولا أهميَّة لذلك الإتهام والأمر صريح هنا ، كما صرَّح به ديسقوروس مرَّة
ثانية أيضاً ، وأعلن يُوحنا القسيس الكاتب الأوَّل ما يلي :

(لقد أمر جمعكُم العظيم أن تُقرأ أعمال المجمع الملتئم في مدينة
القُسطنطينيَّة العاصمة الخاص بصُلب موضوعنا ، أنَّ مُحِبِّ الله أسقف
كنيسة القُسطنطينيَّة فلايانس قدَّم هذه المقرَّرات كما قدَّم صورة منها أيضاً
الفاضل القسيس رئيس الدير أُوطيخا ، فإنَّني سأقرأ كما أمرتُم) (٦) .

قرأ يُوحنا بعض الاعترافات الإيمانيَّة التي أدلى بها ثلاثة من أساقفة
المجمع وهُم : باسيليوس أسقف سلوقيا ، ويوليوس أسقف قو ،
وأودوكسيوس أسقف البوسفور ، سُجِّلت كتوطئة لمجمع فلايانس ، وكنهج
عام سارَ عليه المجمع في بلورة عقيدته ، وكُلَّ تلك الاعترافات تُعلن القول
بالطبيعتين والفرصُوف الواحد طَبَقاً لمبادئ نسطور ، وقد مرَّت بنا هذه

(٥) أعمال مجمع أفسس ص ٢٨٥ .

(٦) فيه أيضاً ص ٢٨٦ .

الاعترافات في بحث مجمع فلابيانس فليرجع إليها .

وإذ كانت تُقرأ الاعترافات المخالفة لإيمان مجمعي نيقية وأفسُس نهض الكاتب الذي يقرأ المحاضر في مجمع أفسُس الأوَّل - وكان حاضراً - فقال : (مِمَّا يُقْرَأ الآن نعلم أَنَّ القائلين بها إِنَّمَا يُعْلِنُونَ إِيمَاناً مُخَالَفاً لِإِيمَانِ الآبَاءِ ^(٧)) فقال أولمبيوس أسقف أُوزون : (إذا كانت هذه النَّظَرِيَّاتُ أساساً للإيمان فليكونوا محرومين أولئك الذين أعطوا مُقَدِّمَاتِهَا) .

وأردف يُوحَنَّا يقرأ اعتراف سلوقوس أسقف أمصيا ، وقد أوردناه في بحث مجمع فلابيانس ، وهو الاعتراف الذي يُعلن فيه القول بالطَّبيعَتين بعد الاتحاد ، وعلَّقَ عليه المجمع بقوله : (لا يَقُولَنَّ أَحَدٌ اثْنينَ عن ربنا بعد الاتحاد ، لا تقسمنَ غير المنقسم ، هكذا كان يقول نسطور ، - هكذا كان يعتقد نسطور ، أَنَّ هذا ليس أسقف أمصيا إِنَّهُ أسقف سينوف) ^(٨) .

وهنا ثارت غيرة الإيمان في قلب ديسقوروس فقال : (لماذا تلوُمُون نسطور هوذا كثيرون الآن هم نساطرة) .

وُجِّهت إلى أوطيخا ثلاثة اتهامات في غيابه في مجمع فلابيانس ،

^(٧) أعمال مجمع أفسُس ص ٢٨٧ .

^(٨) فيه ص ٢٨٨ . في تاريخ ميخائيل الكبير تَرَدُّ هذه العبارة بشكل نعتده الأصح ، فَعَبُوضُ (سينوفو) تَرَدُّ كلمة (سوحوفو) فيكون معنى الجملة الصَّحِيحُ (أَنَّ أسقف أمصيا ليس أسقفاً ، إِنَّهُ هَدَّامٌ) ميخائيل ١ : ١٨٩ .

قدّمها كاتب فلابيانس وكاتب آخر ، وقد أدرجناها في بحث ذلك المجمع مع التعليق الكافي عليها ، ولم يُعلّق مجمع فلابيانس عليها بأية كلمة ، إمّا لأنّه لم يهتم بها لتفاهتها ، وإمّا لأنّه لم يُردّ مناقشتها في غيابه ، ولكن الأغلب أنّه أهملها لاهتمامه بأمر اعتقدها أكثر منها أهميّة وهي إعلان آراء الأثنيّة ، كما رأينا ، ووُجّهت إليه أسئلة عند حضوره في الجلسة السابعة لمجمع فلابيانس ، وكان كلّ ذلك يُقرأ في مجمع أفسس الثاني ، والمجمع يُعلّق ما يعن له على بعضها ، مثال ذلك عندما قرأ باسيليوس أسقف سلوقيا الموجه إلى أوطيخا في مجمع فلابيانس حيث قال : (إذا كنت لا تقول بطبيعتين فإنك تعترف بالامتزاج والتلاشي) فأنكر باسيليوس قوله هذا فقال : (أن هذا القول الذي يُنسب إلى قوله ، أنا لم أقوله ولا أعلم فيما إذا قلت ذلك) .

علّق على ذلك يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم والرئيس الثاني للمجمع بقوله : (أن هذه الجملة حُرّفت تحريفاً والأظهر أن يوبيناليوس قال ذلك مُتهكماً ، لذلك أردف باسيليوس قوله : ” لا أذكر ولا أعرف فيما إذا قلتها “) .

وكان يُوحنا الكاتب الأوّل يقرأ سؤال أوسابيوس أسقف دوريليوم لأوطيخا وهو قوله : (أتعترف يا سيّدي رئيس الدير بطبيعتين بعد الاتحاد ؟ وهل تقول أن المسيح المتجسّد هو من طبعنا ؟) وهو السؤال الذي لم يتلقّ المجمع عليه الجواب ، لأنّ المجمع لطم أوطيخا على أثر هذا السؤال بالحكم المعد مسبقاً كما ذكر أوطيخا . فبقى هذا السؤال بدون

جواب . أن ديستقوروس علّق على السؤال بقوله مُوجهاً قوله إلى المجمع (أوقعت موقع الرّضى لديكم هذه الجملة فقال ” طبيعتان بعد التّجسّد ؟ “) قال المجمع (محزوم من يقول ذلك) فعقّب ديستقوروس على ذلك يقول (إنّي بحاجة إلى أصواتكم وأيديكم ، فمن لا يستطيع أن ينطق فليرفع يده) .

قال المجمع (من قال بطبيعتين فليكن محزوماً) .

من المؤسف حقاً أن الضّعف البشري كثيراً ما يُجبر بعض الناس إلى التّلون وإلباس كلّ حال لبوسها ، فبينما كانت تُعلن هذه الاعترافات في المجمع نجد بعض الأساقفة يُنكرون ما قالوه سابقاً أو يتراجعون عمّا اعترفوا به سابقاً وعليه فإنّ باسيليوس أسقف سلوقيا في وسط المجمع يُنكر ما كان قد أعلنه سابقاً في مجمع فلايانس ويتراجع عنه ولكن بصورة وقتية متأثراً بهيبة المجمع ، قال (إنّي أوافق على إيمان آباء نيقية القديسين ، الذي أيّده آباء مجمع أفسس ” الأوّل “ وإنّي لأشتم من الذين يعتقدون ضدّ تحديدات آباء نيقية وأفسس ، وأحرّم الذين يفصلون بين الطبيعتين والأقنومين والفرصوفين بعد الاتحاد ، ويقولون بطبيعتين في ربنا يسوع المسيح الواحد ، وإنّي ألوم وأشجب ما صرّحتُ به سابقاً ، حيث قلت أنّه من طبيعتين ، وذلك في المناقشة التي دارت في العاصمة القسطنطينية ، وأسجد للطبيعة الإلهية الواحدة للوحيد الذي تأنس وتجسّد)^(٩) .

(٩) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٩١ .

وفي هذا القول نَظَرٌ وتَأْمَلٌ ، فإنه ليس العقيدة الصَّحيحة الَّتِي قَرَّرَهَا مجمع أفسُس الأول ، إذ لم يُقَرَّر أنَّ للمسيح طبيعة واحدة إلهيَّة مُجَرَّدة ، بل طبيعة واحدة للإله المتجسِّد المتحدَّة مِنْ طبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج وبدون انفصال ولا تلاشٍ ، ولا يُعرف هل قيلت هذه الجُملة كما هي في المجمع أم طرأ عليها تحريف مِنْ النَّسَاخ ، والأظهر طرأ عليها تحريف وإلأَّ لِمَا سَكَّتَ عنها المجمع دونَ تعليق ، ومهما كان الأمر فإنَّ باسيليوس أُسقف سلوقيا هذا ، أنكرها مِنْ جديد في مجمع خلقيدونية (١٠) .

وجاء بعده سلوقوس أُسقف أمصيا يتنصَّل مِنْ قوله السَّابِق فأعلن ما يأتي :

(أُسَلِّمُ وَأُوافِقُ على ما قَرَّرَ مجعنا نيقية وأفسُس ، وأشجُبُ الكلمة الَّتِي أعلنتها سابقاً في مجمع القُسطنطينيَّة الجليلة الوارد فيها قولي - أنه يجب الاعتراف بطبيعتين في ربنا بعد الاتحاد ، وأحرِّمُ الَّذِينَ يقسمون ربنا يسوع المسيح إلى طبيعتين وأقنومين وفرصوفين بعد الاتحاد ، وأعتبرهم غُرباء عن البيعة) (١١) . وممَّا يُؤسَفُ له أنَّ سلوقوس هذا أنكر قوله هذا في مجمع خلقيدونية . كما فَعَلَ زميله باسيليوس أُسقف سلوقيا (١٢) .

ثمَّ ثَلَيْتُ التُّهْمَ الموجهة إلى أوطيخا في مجمع فلايانس كما ثَلَيْتُ الحُكْمَ الصَّادِرَ ضده مِنْ ذلك المجمع ، وقبل أن نُورد آراء الأساقفة في عقيدة

(١٠) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٣ : ١٩١ .

(١١) أعمال مجمع أفسُس الثاني ص ٢٩٢ .

(١٢) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢ : ١٩٢ .

أوطيخا بناء على اعترافاته المدونة في مجمع فلابيانس نُثِبَتْ فيما يلي رسالة أوطيخا المرفوعة إلى المجمع كأساس لإيمانه ، وهي الركن الأول الهام الذي عليه بنى مجمع أفسُس قراره بتبرئة أوطيخا مما نُسِبَ إليه ، وهي وإن لم تكن تحمل عقيدته بصورة صحيحة وواضحة إلا أن المجمع اعتبرها القول الفصل في عقيدة أوطيخا ، وإليك هذه الرسالة .

(إلى المجمع المقدس المسكوني ، مُحِب الله ، الملتئم في مدينة أفسُس الكاتدرائية .

من أوطيخا ورئيس الدير .

(أشكر الله القدوس في هذا النهار الذي فيه ارتفع شأن مخافة الله من أجلكم ، أحيط بجمعكم المقدس علماً بما دهاني ، الأمر الذي حدث ضد الإيمان المستقيم ، فلقد قرّ رأيي منذُ صباي أن أعتنق الخلوّة مع نفسي حتى المشيب ، فأكون بعيداً عن كلِّ مُعكر ، ولكن لم أترك أن أتمتع بهذه اللذة الفكرية العذبة ، إذ أقلق سكينه نفسي الخطر الداهم من الآخرين وإني طبقاً لتحديد جمعكم المقدس الأول الذي التأم هنا ، لم أعتنق غير الإيمان الذي حدّده الآباء القدّيسون في مدينة نيقية ، وقبل إيضاح ما دهاني ، أعلن بوضوح الإيمان المقدس الذي أتمسك به ، لراحة ضمائرکم أيّها القدّيسون ، ويشهد عليّ الله وقداسيتكم . إني بكلِّ قوّتي قاومت الهرطقة دائماً تأييداً للإيمان المستقيم ، إني أوّمنُ بإله واحد - وبعد أن قرّ إيمان آباء نيقية قال - وهكذا منذُ البداية تلقيت الإيمان عن أبويّ ، ففيه وُلدت ، تجرّدت لله فقَبَلتني رحمته ، وبهذا الإيمان وُسِّمْتُ في عمادي ،

فَعِشْتُ فِيهِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ، وَإِنِّي أُصَلِّي أَنْ أَقْضِي فِيهِ ، فَإِنَّ هَذَا الْإِيمَانَ قَدْ
أَيْدَهُ - كَمَا ذَكَرْتُ - الْمَجْمَعُ الْمَسْكُونِي الْمَقْدَسُ الَّذِي التَّامَ هُنَا ، وَالَّذِي
كَانَ مُدْبِرُهُ السَّعِيدُ الذِّكْرُ الْمَغْبُوطُ أَبَانَا الْأُسْقَفُ كِيرْلُسُ ، فَقَدْ حَدَّدَ - أَنْ
مَنْ يَزِيدُ عَلَى هَذَا التَّحْدِيدِ أَوْ يَعْتَقِدُ أَوْ يُعَلِّمُ ضَدَّهُ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْعُقُوبَاتِ
الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ التَّحْدِيدِ . إِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي أَنْفَذَ صُورَتَهُ إِلَى
كِتَابَةِ أَبُونَا كِيرْلُسُ الَّذِي تُوَيِّ مَعَ الْقَدِّيسِينَ ، إِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي أَحْمَلَهُ عَلَى
يَدَيَّ وَبِمُوجِبِهِ خَضَعْتُ لِلْمَجْمَعِ الْمَقْدَسِ ، فَتَقَيَّدْتُ بِتَحْدِيدَاتِهِ إِلَى الْآنَ ،
واعتبرت جميع الآباء القديسين الأرثوذكسيين - نظيركم أيها الأتقياء -
مؤمنين واتخذتهم لي معلمين ، وإني أُحَرِّمُ مَانِي وَوَالنَّطِينُوسَ وَأَبُولِينَارِيُوسَ
وَنَسْطُورَ وَجَمِيعَ الْهَرَاطِقَةِ ، حَتَّى سِيمُونَ السَّاحِرِ . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ أَنَّ جَسَدَ
رَبِّنَا وَإِهْنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ .

وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَعِيشُ فِي هَذَا الْإِيمَانِ قَانَتَا مُصَلِيًّا ، وَجَّهَ إِلَيَّ الْإِتِهَامَ
أُوسَابِيُوسُ أُسْقَفُ دُورِيلِيُومَ فَقَدْ رَفَعَ وَثِيْقَةً ضَدِّي إِلَى الْفَاضِلِ الْأُسْقَفِ
فَلَابِيَانَسَ ، وَإِلَى الْأَسَاقِفَةِ الْآخَرِينَ ، الْمَوْجُودِينَ حِينْتِي فِي الْعَاصِمَةِ ،
لِأَغْرَاضِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ ، فَدَعَانِي صَاحِبُ بَدْعَةٍ إِهَانَةٍ لِي ، وَلَمْ يُدْرَجْ نُقْطَةً
وَاحِدَةً مِنَ الْبَدْعَةِ الْمَرْعُومَةِ فِي وَثِيْقَتِهِ ، لَكِي يُفَاجِئَنِي لَدَى التَّحْقِيقِ مَعِي ،
فَتَأْخُذَنِي الرَّهْبَةَ وَيَعْصَانِي الْكَلَامَ ، وَفِي زَحْمَةِ الْمَجْمَعِ آثَارَ الضَّجَّةِ الْكُبْرَى
وَقَدَّمَ وَثِيْقَةَ التَّجْرِيمِ وَإِلَى جَانِبِهِ مُنْتَقِمَ آخَرَ - يَقْصِدُ بِهِ فَلَابِيَانَسَ - وَلَمْ
يَكُنْ أَرْقَ مِنْهُ قَلْبًا وَلَا أَكْثَرَ رَحْمَةً ، وَقَدْ ظَنَّ إِنِّي لَنْ أَحْضَرَ لِإِخْلَادِي إِلَى
الْعُزْلَةِ فِي الدَّيْرِ وَلِذَلِكَ أَصْدَرَ الرَّئِيسَ الْجَلِيلَ قَرَارَ عَزْلِي مُسْبِقًا لِاعْتِقَادِهِ

بعدم حُضوري ، وقد تأكّدت ذلك منّ الجليل القائد ماغنوس الذي عينه
مَلِكنا المؤمن مُحب المسيح ليصُد عنيّ الخطر الذي كان يُهدّد حياتي ،
علمت ذلك لما جئتُ منّ الدير إلى العاصمة حيث أكّد لي - القائد
الجليل - أنّ حُضوري إنّما هو بدون جدوى ، لأنّ قرار عزلي قد أُعدّ قبل
التّحقيق ، وقد اتضح لي الأمر بعد ذلك ، غير إنّنيّ مثّلت أمام المحكمة ،
- المجمع - للدّفاع عن عقيدتي . إنّنيّ قدّمت صورة إيماني مكتوبة ووقّعتها
على أنّها الإيمان الذي حدّده الآباء القديّسون في نيقية وأقرّه مجمع أفسس
الأوّل المقدّس ، إلّا أنّه رفض ولم يقرأ ، وثار في المحكمة صخبٌ شديد
وتلاطم الاضطراب ، وكان كثيرون يتزاحمون حولي بفظاظة ويجأرون
بأصوات غريبة يُريدون حملي على التّعجيل في الجواب ، وقد يتضح بعض
ذلك منّ القرارات المدونة في السّجل كيف كان الحُكام يُحمّلون عليّ ،
وأمرت أن أدلي بصورة إيماني شفويّاً قلتُ إنّنيّ أوّمنُ بإيمان الآباء القديّسين
الذين اجتمعوا في نيقية الثلاثمائة والثمانية عشر ، وأثبتته مجمع أفسس
المقدّس ، وكان يطلب إليّ أن أعلن غير الإيمان الذي حدّد في نيقية
وأفسس ، أمّا أنا قد تهيبّت أن أتجاوز التّحديد الذي أقرّه المجمع المقدّس
الملتئم هنا سابقاً بإرادة الله وما حدّده الآباء القديّسون الملتئمون في نيقية
بشأن الإيمان ، لكنّي أرجو أن يُعرف ذلك في مجمعكم المقدّس ، إنّنيّ
مُستعدّ لِمَا ستقررونه يا أصحاب القداسة .

وفي حين كُنْتُ ماضياً في تقرير الإيمان فوجئت بقرار العزل الذي كان
قد أُعدّ مُسبقاً ضدّي ، فقرأتُ القرار جرياً مع الأهواء ، وأدرجت في

السِّجِلُ الكَلِمَاتِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَتَلَّتْهَا اتِّهَامَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَخَاصَّةً
عِنْدَمَا كُنْتُ أُعْلِنُ اعْتِرَافِي طَبَقاً لِتَحْدِيدَاتِ آبَائِنَا الْقَدِّيسِينَ فِي نَيْقِيَةِ وَالْآبَاءِ
الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي أْفَسُسَ ، وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ يُحْرَفُ قَبْلَ تَسْجِيلِهِ
كَمَا جَرَى ذَلِكَ التَّحْرِيفُ عَلَى بَقِيَّةِ الْقَرَارَاتِ وَرَغْماً عَنِ التَّمَاسِي وَأَمْرٍ
مَلِيكِنَا الْمُؤْمِنِ مُحِبِّ الْمَسِيحِ لَمْ تَصْدُرْ كَلِمَةٌ خَيْرٌ وَاحِدَةٌ عَنِ الْفَاضِلِ
الْأُسْقَفِ فَلَإِيَّانِ الْأَمْرِ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الْإِسْتِغَاثَةِ بِقَدَاسَتِكُمْ ، وَلَمْ
يُخْجَلْ حَتَّى مِنْ شَيْبَتِي أَنَا الَّذِي أَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي مُقَارَعَةِ الْهَرَاطِقَةِ نِضَالاً
عَنِ الْإِيمَانِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَكِنْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ يُخْصُ
الْإِيمَانَ مُنْفَرِداً وَلَا يَعْتَرِفُ لِذِي الْحَقِّ فِي الدِّفَاعِ عَنْ حَقِّهِ ، أَصْدَرَ عَلَى
الْحُكْمِ ، وَفَصَلَنِي عَنِ الْكَنِيسَةِ عَلَى زَعْمِهِ وَجَرَّدَنِي مِنَ الْكَهَنُوتِ كَمَا ظَنَ ،
وَمَنْعَنِي عَنِ الْإِشْتِرَاكِ فِي الْأَسْرَارِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَعَزَلَنِي تَعَسُفاً عَنِ رِئَاسَةِ الدَّيْرِ
وَأَسْلَمَنِي لِلْفُغْوَاءِ الْمَعْدَّةِ فِي دَارِ الْأُسْقَفِيَّةِ وَفِي الشُّوَارِعِ لِهَذَا الْغَرَضِ لِأَهْجَامِ
كَهْرَطُوقِي ، وَبُجْدَفِ وَمَانُوقِي ، وَلَوْ لَمْ تُنْقِذْنِي عِنَايَةَ اللَّهِ وَتَصُونِي إِلَى الْيَوْمِ
لَا سَتَعَطَافِ قَدَاسَتِكُمْ هَلَكْتُ ، إِنَّهُ أَشْهَرُ الْحُكْمِ ضِدِّي وَقُرِيءٌ فِي مُخْتَلَفِ
الْمَجْتَمَعَاتِ وَفِي تَذَكَرَاتِ الْقَدِّيسِينَ فُورِ صُدُورِهِ ، وَرِمَانِي بِالْحَرَمِ مَعَ جَمِيعِ
الَّذِينَ يَتَصَلُّونَ بِي أَوْ يُكَلِّمُونِي ، وَجَعَلَنِي غَرِيباً عَنِ الشَّرِكَةِ مَعَ اللَّهِ ، وَلَمْ
يَتَرَدَّدْ مِنْ إِجْبَارِ رُؤَسَاءِ الْأَدْيَارِ عَلَى التَّوْقِيعِ عَلَى الْحُكْمِ الصَّادِرِ ضِدِّي غَيْرِ
مُنْتَظَرٍ بِمَجْمَعِكُمُ الْمُقَدَّسِ ، إِذْ لَا يَوْجَدُ قَانُونٌ يَسْمَحُ بِهَذَا حَتَّى ضِدَّ الْهَرَاطِقَةِ
كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ لَدَيْكُمْ يَا مُحِبِّي اللَّهِ . حَتَّى أَنَّهُ أَرْسَلَ تِلْكَ الْقَرَارَاتِ إِلَى
الْمَشْرِقِ وَإِلَى أَقْطَارِ أُخْرَى وَحَمَلَ كَثِيرِينَ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ وَالرُّهْبَانِ الْأَتْقِيَاءِ

تَعْسُفًا لِيُوقَعُوهَا دُونَ مُحَاكِمَةٍ ، إِذْ كَانَ الْوَاجِبُ يَقْضِي بِأَنْ يَكْتُبَ إِلَى
رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، هَذِهِ الْقَرَارَاتُ الَّتِي قَرَأْتَهَا ، وَبِالْكَادِ
نَجُوتَ ، فَسَجَلْتَهَا فِي هَذِهِ الْوَثِيقَةِ لِتَكُونَ مَعْرُوفَةً لَدَى الْجَمِيعِ ، وَإِنِّي
أَقَدِّمُهَا إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ السَّائِكَةِ فِيكُمْ ، وَقَدْ طَلَبْتُ إِلَى الْمَلِكِ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ أَنْ
تَكُونُوا حُكَّامًا فِي قَضِيَّتِي أَنْتُمْ أَيُّهَا الْأَطْهَارُ الْأَتْقِيَاءُ ، يَا مَنْ تَشْمَتُونَ مِنْ
الظُّلْمِ وَالتَّعْسُفِ ، فَأَطْلُبُ الْآنَ إِلَى قَدَاسَتِكُمْ بِأَنْ تَتَصَوَّرُوا الظُّلْمَ وَالضَّرْرَ
الَّذِينَ لِحَقَائِي ، وَبِمَا بَجَحْتُمْ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْاضْطِرَابِ فِي كَنَائِسِ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَالشُّكُوكِ الَّتِي نَتَجَتُ عَنْ ذَلِكَ لِلْكَثِيرِينَ ، وَبِحِكْمَتِكُمْ مَحَبَّةِ
الْمَسِيحِ تَفَرِّضُونَ التَّأْدِيبَاتِ الْكَنِسِيَّةَ عَلَى الَّذِينَ سَبَّوْا ذَلِكَ ، فَتَسْتَأْصِلُونَ
الْكُفْرَ وَالنِّفَاقَ مِنْ شَأْفَتِيهِمَا ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ خَضَعْتُ مِنْذُ الْبَدَايَةِ لِحُكْمِ
غِبْطَتِكُمْ ، وَإِنِّي أَشْهَدُ بِالْإِيمَانِ الْمُسْتَقِيمِ أَمَامَ الْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي شَهِدْتُ أَمَامَ
بِيلاطسِ الْبُنْطِيِّ ، إِنِّي أُوْمِنُ وَأَعْتَقِدُ وَأَقْرِبُ طَبَقًا لِلْإِيمَانِ الَّذِي سَلَّمَهُ الْآبَاءُ
الَّذِينَ اجْتَمَعُوا فِي مَدِينَةِ نَيْقِيَّةِ وَالَّذِي أَيَّدَهُ وَأَقَرَّهُ الْآبَاءُ الْقَدِّيسُونَ فِي مَجْمَعِ
أَفْسُسِ الْأَوَّلِ ، وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ يَعْتَقِدُ بغيرِ هَذَا الْإِيمَانِ فَإِنَّ هَذَا أَحْرَمَهُ طَبَقًا
لِتَحْدِيدِهِمْ) .

التوقيع - أوطيخا رئيس الدير

إِنِّي أُوْمِنُ طَبَقًا لِمَا كَتَبْتُ فَوْقَ بَحْطِ يَدِي هَذِهِ الْوَثِيقَةَ وَسَلَّمْتُهَا (١٣)
بَعْدَ أَنْ قُرِئَتْ هَذِهِ الْوَثِيقَةُ عَلَى آبَاءِ الْمَجْمَعِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى سِجْلِ أَعْمَالِ
مَجْمَعِ فَلَيبَانَسِ قَالَ دِيسْقُورُوسُ :

(١٣) أعمال مجمع أفسس بالسُّريانيَّة ص ٢٧٧ - ٢٨٣ وميخائيل الكبير ١ : ١٧٩

(الآن بعد أن فهمَ كُلُّ شيءٍ لِيَقُلَّ كُلٌّ مِنَ الأَساقفةِ القَدِّيسينِ
المُجتمعين هُنا ماذا فَهَمَ عن إيمانِ أُوطيخا رئيسِ الديرِ وماذا يَحْكُمُ
بشأنه ؟) .

إنَّ أوَّلَ مَنْ بَرَّأ أُوطيخا مِنَ الحُكْمِ الصَّادرِ ضدهِ مِنْ مجمعِ فلاييانس
كان يوبيناليوس رئيسِ أساقفةِ أُورشليمِ والرَّئيسِ الثَّاني للمجمعِ حيث
قال :

(بما أَنَّهُ ” أُوطيخا “ صرَّحَ مرَّاتٍ كثيرةً أَنَّهُ أرثوذكسي طَبَقاً لِمَا قَدَّمَهُ
مِنَ الأقرارِ فَإِنِّي أَحْكُمُ وَأَطْلُبُ استمرارهِ في ديرهِ وفي درجتهِ) .
قال المجمعُ (أَنَّ هذا الحُكْمَ عادِلٌ) .

ثمَّ انبرى دومنوس أسقف أنطاكية فقال : (بما إِنِّي سابقاً ، بُناءً على
ما بلغني المجمع المقدَّس الَّذي التأمَ في العاصمةِ بشأنِ الفاضِلِ رئيسِ الديرِ
أوطيخا قد وَقَّعتْ على وثيقةِ عزلهِ ، غيرِ إِنِّي تأكَّدتُ بُناءً على الوثيقةِ الَّتِي
قَدَّمها الآنَ أَنَّهُ يقبلُ الإيمانَ الَّذِي حدَّدَهُ الآباءُ القَدِّيسونَ الثَّلَاثُمائةُ
والثَّمانيةُ عشرَ ، والمئةُ والخمسونَ أسقفاً المُجتمِعونَ يوماً في أفسُسَ ، أوافقُ
أنا أيضاً مع قداستِكُمْ أن تُعادَ إليهِ (إلى أُوطيخا) كرامةِ القُسُوسِيَّةِ
ورِئاسةِ الأُخوةِ الَّذينَ تحتَ رِئاستِهِ) .

وقال يُوحنا أسقف ماسانا (كما أَنَّ شيئاً لم يحدثْ ، فليتمتع
الفاضِلُ القسيسُ أُوطيخا رئيسِ الديرِ بإيمانِ آباءِ نيقيةِ القَدِّيسينِ وآباءِ
أفسُسَ الأطهارِ ، وليستمر في كرامتِهِ الكهنوتِيَّةِ ورِئاسةِ ديرِ الأُخوةِ

كالسابق (.

وهكذا وافق باسيليوس أسقف سلوقيا وجميع الأساقفة القديسين إلى
برصوم رئيس الدير ، وأخيراً ختمَ ديسقوروس هذه المناقشة بقوله :

(في الوقت الذي أُصادق على آراء آباء هذا المجمع المقدس
المسكوني ، الصّادر بحق الفاضل رئيس الدير أوطيخا ، أضّم رأيي على
آرائكم أن يستمر هذا (أوطيخا) في رتبة قسيس ورئيس دير كما كان
سابقاً)^(٢١) .

(٢١) أعمال مجمع أفسس بالشرائية ص ٢٩٣ - ٢٩٥ .

نتائج دراسة قضية أوطيخا

بعد أن استعرضنا عقيدة أوطيخا الأساسية والنقاط التي عُرِضَتْ في مجمع فلابيانس ضده ، والنقاط الواردة في وثيقته إلى مجمع أفسس الثاني ، نقف مُستغربين مِنْ أمر هذا الرَّجُل ، فبينما يُعلن تعليماً يُخالف إيمان مجمع أفسس الأوّل بقوله بالامتزاج والاختلاط ، يُخالف الأثنينية المتطرفة ، ومع هذا كُلّه لا تظهر آراؤه هذه لا في مجمع فلابيانس ولا في مجمع أفسس ، والغريب في الأمر أيضاً ، أنّه لم يُصرِّح بعقيدته الأساسية لا أمام مجمع فلابيانس ولا ذكّر شيئاً عنها في وثيقته المقدّمة إلى مجمع أفسس الثاني ، وبالتالي أنّه كان يُبطنُ عكس ما كان يُظهر ، ويظهر للمُتتبع المدقق أنّ أوطيخا ، إمّا أنّه كان جباناً لا يقوى على إظهار فكرته الأساسية ، وإمّا أنّه كان ضعيف الحجّة المنطقية واللاهوتية في إثباتها ، وإمّا أنّه كان مُراوغاً مكاراً يُظهر شيئاً ويُبطنُ شيئاً آخر ، والحقيقة أنّ أوطيخا كان مجموعة تشمل هذه الصفات كُلّها ، فخدع نفسه وخدع الكنيسة فترة مِنْ الزّمن بتلونه وحيازته وجهين مُتناقضين ، وكبّد رؤساء الأساقفة أتعاباً ، وجُهوداً فارغة لا معنى لها .

أنّ أوطيخا بعكس أصحاب الآراء الشّاذة الذين وقفوا أمام الجامع فصرّحوا بما يعتقدونه بكلّ صراحة ، أو قلّ بكلّ وقاحة وصلافة ، فأريوس مثلاً وقف في وسط مجمع نيقية هو وأصحابه رغماً عن عظمة هذا المجمع

وهيبته ، وقف يُدلي برأيه كأنه يُقرّر درساً من الدُّروس وكذلك قُلَّ عن أصحاب مكدونوس في مجمع القُسطنطينية المسكوني ، ومثلهم نسطور وأصحابه دُرِسَتْ آثارِهِمْ طَبَقاً لِمَا أثبتوه في مؤلفاتهم ، ولم يُنكرها لحظة واحدة إلا على مضمض نسطور مثلاً لما رأى ما حاق بالكنيسة من انقسام وما ثار فيها من شُكوك ، يظهر أن ضميره وبخه مرّة واحدة فقط فقال : (لثدع مريم والدة الإله ولينته الشقاق) أمّا أوطيخا فعلى نقيض هؤلاء جميعاً ، فإنّه لم يُصرّح بأرائه بوضوح لا أمام مجمع فلايانس ولم يتطرق إليها في وثيقته المقدّمة إلى مجمع أفسس الثاني ، بل استمر مُتذبذباً غامض العبارة يدور بعيداً جداً حول ما يُريد التّصريح به ، وهذا وجه الغرابة في الرّجل .

علمنا أنّ آراءه الظّاهرة عرّضها جُزئياً في مجمع فلايانس ، فلم تتعدّ إنكاره الأثنيّة المتطرفة وتصريحه بالوحدة في المسيح دون الإفصاح عن طابع تلك الوحدة ولم يتطرق بقليل أو بكثير إلى فكرة الامتزاج والاختلاط والتّلاشي التي كان يُبطنها ، فالتهم الأوّل وهو كاتب فلايانس قال (أنّ أوطيخا لم يُقلّ اثنين لمن هم اثنان ، بل هو يسجد لطبيعة واحدة للإله المتجسّد) ولكنّه لم يُوضح هذه الطّبيعة الواحدة التي كان يقول بها أوطيخا ، هل هي من طبيعتين حفظت كلّ منهما خواصها أم هي نتيجة لتفاعل مزجي بين تلك الطّبعتين ، كما أنّ أوطيخا لم يكن حاضراً ليُوضح ماذا كان يرمي بقوله (هو يسجد لطبيعة واحدة للإله المتجسّد) ويقيني أنّه لو كان حاضراً لِمَا صرّح أيضاً .

وقال المتهم نفسه مرّة ثانية (أنّ أوطيخا يعترف بأنّ المولود إله كامل وإنسان كامل ، ولكن ليس له جسد من طبعنا) من الواضح أنّ القسم الأوّل من هذه العبارة يقول به فلايانس ومجمعه بكلّ اطمئنان ، كما تقول به سائر النظريات اللاهوتيّة الصّحيحة ، أمّا القسم الثّاني منها فإنّه يُخالف معتقدات الكنيسة المسيحيّة جميعاً وهو قوله (ولكن ليس له جسد من طبعنا) إلاّ أنّ أوطيخا لم يؤيد هذه النّقطة ولم ينفها لدى حضوره ، وهذا وجه الغرابة فيه ، أو الأغلب لم يُلَقِ عليه هذا السؤال إلاّ عندما كان فلايانس بالذّات يستجوبه ، ولكنّه تملّص أيضاً .

أمّا الإتهام الثّالث فقد وقع من كاتب آخر حيث قال (أنّ أوطيخا يقول ، حاشا لي أن أقول أنّ ربنا هو من طبيعتين أو أن أفحص طبيعة إلهي) أنّ أوطيخا نفى أنّه يقول عن الرّب أنّه ليس من طبيعتين ، فقد صرّح بهذا أمام مجمع فلايانس بوضوح على أثر السؤال الذي ألقاه عليه أوسابيوس أسقف دوريليوم ، فصمّت حتّى سأله فلورنتينوس (أسمع يا رئيس الدير ماذا يقول متهمك ؟) قال أوطيخا بكلّ صراحة (نعم من طبيعتين) .

وكذلك قلّ عن الإجابة التي أدلى بها أمام مجمع فلايانس ، حيث ناقشه فلايانس بالذّات فإنّها كانت مُبهمة غامضة ، ومع ذلك لم تكن لتُغيّر من آرائه الخاصّة التي عرّفت ، ومما فهّمه فلايانس من عقيدته أنّه لا يقول فقط بالتثنية التي يُنادون بها .

ومرّة واحدة فقط وردت قضية الامتزاج والاختلاط في مجمع فلايانس

وذلك في السؤال الذي وجَّههُ إلى أوطيخا باسيليوس أسقف سلوقيا ، حيث قال له (إذا كُنْتُ لا تقول بالطَّبعين بعد الاتحاد فهل تعترف بالامتزاج والتَّلاشي) إلاَّ أنَّ أوطيخا لم يُعلِّق بشيء على هذه العبارة فلم يُؤيدها ولم ينفِها ، الأمر الذي يُظهِر غرابته الفكرية وتذبذبهُ النَّفسي ، مع أنَّه كان يقول بهذا القول في عقيدته الأساسيَّة .

أمَّا في مجمع أفسُس الثاني فلم تجرِ مُناقشة بينه وبين أعضاء المجمع ، ولا بين المجمع نفسه وبين أعضاء مجمع فلابيانس الحاضرين في الاجتماع ، فإنَّ المجمع اكتفى بالوثيقة الإيمانيَّة الَّتِي قدَّمها أوطيخا ، فجرى عليها دراسته اللازمة ، وعلى أساسها أصدر حُكمه القاضي بتبرئة أوطيخا ، أمَّا أعضاء مجمع فلابيانس فلم ينظروا إلى هذه الوثيقة مُطلقاً .

في وثيقة أوطيخا الإيمانيَّة المقدَّمة إلى المجمع ثمانِي نقاط هامة ، كانت الأسباب الأساسيَّة في تبرئته ولا بد أنَّ المجمع لاحظها مُلاحظة دقيقة ، فقال كلمته النَّهائيَّة فيها ، والنِّقاط الثَّمانِي الَّتِي أوجبت تبرئة أوطيخا في مجمع أفسُس الثاني هي :

١ . أعلن أوطيخا قائلاً (إنِّي لا أعتنق غير الإيمان الَّذِي حدَّدهُ الآباء القديسون في نيقية) .

٢ . يُثِير أوطيخا في نُفوس أعضاء المجمع مشاعر العطف بأسلوب كتابته البَّارع فيقول : ” وقبل إيضاح ما دهاني أعلن بوضوح الإيمان المقدَّس الَّذِي أتمسَّك به ، لراحة ضمائرِكُم أيُّها القديسون ، ويشهد عليَّ اللهُ وقد استكُم إنِّي بكلِّ قُوَّة قاومت الهراطقة دائماً

تأييداً للإيمان المستقيم “ . إنَّ هذه العبارة كان لها الوقع البعيد ،
والأثر العميق في نفوس أعضاء المجمع فإنه يضرب على وتر
الضُمائر قبل كلِّ شيء ثمَّ يستعد ليعلن بوضوح الإيمان المقدَّس
الَّذي يتمسك به أمّا مُقاومته الهراطقة فأمر كان معروفاً على ما
يظهر لدى الجميع ، فقد ذكَّرتهم أنَّهم هم بالذات يشهدون على
صحتِهِ ، ويُعزِّز ذلك بجملة سابقة (يشهد الله على ذلك) الأمر
الَّذي أكَّد للمجمع أنَّ أوطيخا أرثوذكسي لا عُبار عليه .

٣ . يُقرِّر أوطيخا قانون إيمان آباء نيقية بحذافيره ، الأمر الَّذي لم يدع
مجالاً للشك بأنَّ عزله كان في غير محله ، بل إنَّما كان عزلاً ظالماً
تعسفياً ، وخاصَّةً حيث عاد أوطيخا فضرب على أوتار النفوس
الحسَّاسة يُثير فيها العطف على قضيتِهِ ، فإنه يُتابع قوله (وهكذا
مُنذ البداية تلقيت الإيمان عن أبويّ ففِيهِ وُلِدت ، وتجردت لله
فَقَبَلتني رحمته وبهذا الإيمان وُسِّمتُ في عمادي ، فعِشت فيه إلى
هذا اليوم وإنيّ أصليّ أن أقضي فيه) أي شك تترك هذه العبارة
في النفوس الحسَّاسة ذات المشاعر الرُّوحِيَّة العميقة الَّتِي كانت
لدى أولئك الأساقفة الشُّيوخ القديسين في أنَّ أوطيخا مؤمنٌ
صَادق تلقى الإيمان مُنذ الصبِيّ عن أبوين مؤمنين ، ونمى وترعرع
فيه ، وفيه عاش إلى ذلك اليوم ويُصليّ أن يموت فيه ؟؟ وطبعاً
كان شُعور أولئك الأساقفة أنَّ أوطيخا يُؤمنُ بإيمان البيعة ، فقد
وُلِدَ فيه ودافع عنه وهو يرجو أن يموت فيه ، ولم يبقَ شك لدى

تلك النفوس أن الإيمان الذي يُعلنه إنما هو إيمان نيقية من ألفه إلى يائه وخاصةً عند انتقالهم إلى النقطة التالية :

٤ . (فإنَّ هذا الإيمان قد أُيدَهُ - كما ذكرت - المجمع المسكوني المقدس الذي التأم هنا ، والذي كان مُدبره السعيد الذكر المغبوط أبونا الأسقف كيرلس) .

لم يكن في الإيمان الذي أعلنه أوطيخا أي غموض منذ السطور الأولى لوثيقته ، حيث أعلن أنه لا يعتنق غير إيمان آباء نيقية ، وإيمان نيقية شريعة المسيحية الأولى ، وتأكد كل شيء لدى الأساقفة عندما ضم إلى تلك الشريعة تأييد مجمع أفسس الأول ، وزاد الأمر وضوحاً ورُسوخاً ذكر القديس كيرلس حجة المسيحية غير مُنازع ، وعلى هذا الأساس اعتقد الأساقفة اعتقاداً جازماً أن أوطيخا متمسك بإيمان المجمعين المسكونيين إلى أقصى حدود التمسك .

٥ . يُفاخر أوطيخا بكونه متمسكاً بكلِّ النُظم المقررة في دينك المجمعين ، ويذكر أن هناك عُقوبات صارمة ضد من يُخالف تلك النُظم ، ويُشيد بها إشادة اعتزاز وإيمان فيقول (فقد حدّد - المجمع - أن من يزيد على هذا التّحديد أو يُعلم ضده يُعرض نفسه للعُقوبات المنصوص عنها في ذلك التّحديد ، إنَّه الإيمان الذي أنفذ صورته إلى كتابة أبونا كيرلس) ثمَّ يُفاخر أنه يحمل كلَّ ذلك بين يديه فيقول (إنَّه الإيمان الذي أحمله على يديَّ وبموجبه

خضعت للمجمع المقدس فتقيدت بتحديداته إلى الآن) .

٦ . ولما كان أوطيخا مُتهدماً باتباع آراء الهرطقة المشهورين أمثال ماني ووالنطينوس وأفوليناريوس جاء ينفي ذلك في وثيقته الإيمانية ، فُحرّم هؤلاء الهرطقة صراحةً ، الأمر لا يدع شكاً بأنه برئ بما أُلصقَ به فيقول (إني أحرّم ماني ووالنطينوس وأفوليناريوس ونسطور وجميع الهرطقة حتى سيمون السّاحر ، والذين يقولون أنّ جسد ربنا وإلهنا نزل من السماء) ، وقد ذكر أنه صرح بذلك أمام مجمع فلايانس .

٧ . ذكّر أوطيخا أنّ وثيقة الاتهام التي كتبها وتلاها أوسايوس أسقف دوريليوم في الجلسة الأولى للمجمع لم يُدرج فيها كاتبها نقطة واحدة من البدعة المنسوبة إليه ولا بد أن هذه الوثيقة بالذات عُرضت في مجمع أفسس الثاني ، ويظهر أنّها لم يكن لها نصيب من الأهمية لعدم ذكرها صراحةً في المجمع لخلو سجل أعماله منها ، وبالتالي يكون أوطيخا صادقاً بما أورده بشأنها من جهة ، ويكون مجمع فلايانس حالياً من نقاط هامة يدين بموجبها الرّجل من جهة ثانية .

٨ . الأمر المهم الأخير الذي لاحظته المجمع في وثيقة أوطيخا هو قرار الحكم الذي تلي على أوطيخا بصورة فجائية دون الانتهاء من مناقشة آرائه ، وقد ذكّر أوطيخا في وثيقته أنّ القرار أُعدّ قبل التّحقيق في أمره ، أعدّه فلايانس لإصداره حالما تم الصفة

القانونية بالنسبة إلى الدعوة الموجهة إليهم ، والقانون الكنسي ينص بوجوب توجيه الدعوة ثلاث مرات متوالية ، فإذا لم يحضر المتهم دون عذر شرعي قاهر يصدر الحكم بحقه غيابياً وهكذا ظهر أن الحكم أُعدَّ لإصداره على هذا الأساس ، لأنَّ فلايانس وجماعته كانوا يعتقدون أنَّ أوطيخا لن يحضر وسيتعلَّل بتقليده النسكي المعروف . غير أنَّ أوطيخا حضر المجمع بعد أن دُعِيَ للمرة الثالثة ، للدِّفاع عمَّا اتُّهمَ به ، وعلى هذا الأساس صدر قرار الحكم المعد سابقاً ، بعد محاكمة صورية ليس بين بُنودها ما يُوجب ذلك الحكم .

والأمور المهمة التي لاحظها المجمع الكيفية القاسية التي قُوبِلَ بها في مجمع فلايانس لدى حضوره ، فرغماً عن التماسه لم تصدر كلمة خير واحدة من فلايانس ، رغم الشَّيخوخة الفانية التي كان أوطيخا يتمتع بها والجُهود التي بذلها سابقاً في الخدمة والتي يعرفها فلايانس حق المعرفة ، وكان قبلاً قد وصف كيف كان الجو في المجمع لدى دُخوله حيث قال (وثار في المحكمة - يقصد المجمع - صخبٌ شديد وتلاطم الاضطراب ، وكان كثيرون يتزاحمون حولي بفضاظة ويجأرون بأصوات غريبة يُريدون حملي على التَّعجيل في الجواب) الأمر الذي لا يليق بمجمع أساقفة كما لا يليق بأية محكمة عادية ، وقد اتضح من هذه الأمور أنَّ أوطيخا إنَّما قابل جواً غير ذي رُوح مسيحية أو على الأقل غير ذي صفات إنسانية كريمة . وهذا ما أثار اشفاق الأساقفة العميق عليه ، وكان السبب المهم في إصدار حُكم

التبرئة بحقه .

والآن نعود إلى مجمع أفسس الثاني لندرس الأساس الذي عليه بُنيت تبرئة أوطيخا ، وأعادته إلى مركزه الكهنوتي الرَّاهن ، وهنا يتبادر إلى الذهن هذا السؤال وهو :

هل أصدر المجمع قرار التبرئة بحق أوطيخا على أساس بدعته الأصلية؟ علمنا أن بدعة أوطيخا الأصلية لم تكن مدار بحث وتحقيق لا في مجمع فلايانس ولا في مجمع أفسس الثاني ، وعليه لا يمكن اعتبار حكم التبرئة مبنياً عليها ، واتضح لنا من النقاط التي استعرضناها ، أن التبرئة صدرت على أساس اعتراف أوطيخا مراراً وتكراراً أنه يؤمن بإيمان مجمعي نيقية وأفسس الأول ، وأنه يتمسك بهذا الإيمان تمسكاً مطلقاً ، فلم يذكر تعليمه الأصلي لا من قريب ولا من بعيد ، ولم يقف أمام أي مجمع للدفاع عن ذلك التعليم إنما جاءت تصريحاته الشفوية والكتابية خالية من كل ما أُسند إليه من تُهم ، وقد صدر قرار حكم التبرئة بحقه على أساس (من كلامك تبرر ومن كلامك يُحكّم عليك) .

فأية لائمة يمكن توجيهها إلى مجمع أفسس الثاني والحالة هذه ؟ فإذا كان هذا المجمع قد بسطت أمامه القضية على النحو الذي ذكرناه ، فبماذا تُريده أن يحكم؟؟ إذا اعترف المتهم أنه يُنكر مبادئ الهرطقة الذين اتهم بإتباع آرائهم ، ولم تقم أية بينة شفوية أو كتابية على عكس ذلك ، فهل يجوز شرعاً دمه بها؟؟ وإذا كان هذا الرَّجُل قد اعترف مراراً وتكراراً بأنه يعتنق مبادئ المجمع المسكونية الشرعية ، وقدم الأدلة الكافية على

صِدْقِ قَوْلِهِ ، فَهَلْ يُجُوزُ شَرْعاً أَنْ تُنْفَى عَنْهُ هَذِهِ الصِّفَةُ ؟؟ وَإِذَا كَانَ
أَوْطِيخَا لَمْ يُصَرِّحْ بِعَقِيدَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ لَا فِي دِفَاعِهِ الشَّفْوِيِّ وَلَا فِي كِتَابَاتِهِ ، وَلَمْ
يُقِمِ الدَّلِيلَ عَلَى تَلَبُّسِهِ بِهَا ، فَهَلْ يُجُوزُ شَرْعياً إِيصَاقُهَا بِهِ ؟؟

وَعَلَيْهِ لَا يُجُوزُ أَنْ يُلَامَ مَجْمَعُ أَفْسُسِ الثَّانِي لِتَبَرُّةِ أَوْطِيخَا لِأَنَّ حُكْمَ
التَّبَرُّةِ صَدَرَ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ بِأَحْكَامِ الْمَجَامِعِ الْمَسْكُونِيَّةِ ، وَهَذَا مَا كَانَ
يُدْفَعُ عَنْهُ الْمَجْمَعُ فِي كُلِّ ظُرُوفِهِ ، بَلْ إِنَّمَا الْمَجْمَعُ اجْتَمَعَ لِتَأْيِيدِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ
وَالدَّفَاعِ عَنْهَا ، وَرَفَضَ كُلَّ مَا سِوَاهَا رَفْضاً مُطْلَقاً كَمَا عَلِمْنَا سَابِقاً . وَعَلَى
هَذَا الْأَسَاسِ الصَّرِيحِ الْوَاضِحِ ، لَا يَكُونُ الْمَجْمَعُ مُوَافِقاً عَلَى بِدْعَةِ أَوْطِيخَا
الْأَصْلِيَّةِ بِإِنْكَارِهِ حَقِيقَةَ التَّجَسُّدِ الْإِلَهِيِّ ، وَالْإِعْتِقَادِ بِالْإِمْتِزَاجِ وَالْإِخْتِلَاطِ
وَالْتَّلَاشِيِّ ، فِي طَبِيعَتِي الْمَسِيحِ ، بَلْ أَسَاسُ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِإِيمَانِ الْمَجَامِعِ
الْمَسْكُونِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَيَعْتَقِدُ اعْتِقَادَ الْآبَاءِ الْأَرْثُوذَكْسِيِّينَ ، وَخَاصَّةً مَبَادِيئَ
الْقَدِيسِ كِيرْلُسِ الْأَسْكَندَرِيِّ .

أَمَّا أَنَّ أَوْطِيخَا ظَهَرَ زَيْفَهُ ، وَبَانَتْ مُرَاوِغَتُهُ ، وَاتَّضَحَ خِدَاعُهُ بَعْدَ نَهَايَةِ
أَعْمَالِ الْمَجْمَعِ ، فَالْمَجْمَعُ لَيْسَ مَسْئُولاً عَنْ ذَلِكَ ، إِنَّمَا الْمَسْئُولُ أَوْطِيخَا
بِالذَّاتِ ، وَالْمَجْمَعُ بَرَاءٌ مِنْ عَقِيدَتِهِ الْمُنْحَرِفَةِ ، وَقَدْ سَمِعْنَا الْقَدِيسَ دِيسْقُورُوسَ
بِالذَّاتِ يَشْجُبُهَا شَجْباً صَارِماً عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ رَأْيِهِ فِي مَبَادِيئِ أَوْطِيخَا
الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ مُدَّةٍ قَالَ (إِذَا كَانَ أَوْطِيخَا يَعْتَقِدُ بِهَذِهِ الْمَبَادِيئِ
الْمُنْحَرِفَةِ ، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْحَرَمَ فَحَسَبَ ، بَلْ يَسْتَحِقُّ الْإِحْرَاقَ أَيْضاً) وَهَذَا
أَمْرٌ مَشْهُورٌ عَنْ دِيسْقُورُوسَ ، فَيَكُونُ دِيسْقُورُوسُ وَالْحَالَةُ هَذِهِ ، وَالْكَنِيسَةُ
كُلُّهَا ، وَآبَاءُ الْمَجْمَعِ ، بَرَاءٌ مِنْ أَوْطِيخَا وَبِدْعَتِهِ ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ

لا يُمكن اعتبار ديسقوروس والمجمع والكنيسة مُوافقين على بدعة أُوطيخا ، بل بالعكس أنّهم يشجّبونها شجْبُهُمْ لجميع البدع التي مزّقت جسم الكنيسة المسيحيّة .

إنّ عقيدة الوحدة عند أُوطيخا تُخالف عقيدة الوحدة لدى ديسقوروس ومجمع أفسُس الثاني ، النَّاسج على منوال مجمع أفسُس الأوّل والكنائس الشرقيّة الأرثوذكسيّة مُخالفة صريحة ، فعقيدة أُوطيخا الأساسيّة تُنادي بالامتزاج والاختلاط والتّلاشي ، وانعدام الخواص الطّبيعيّة في لاهوت المسيح وناسوته ، بينما التّعليم اللاهوتي الصّحيح لدى هذه الكنائس ولاهوتيها هو التّعليم باتحاد سرّي عجيب في لاهوت الرّب وناسوته ، بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تلاشٍ ، مِنْ جهة ، وبدون انفصال مِنْ جهة ثانية ، ويسوؤها كثيراً أن تقول بالأثينيّة بعد الاتحاد العجيب لا في الطّبيعة ولا في الأقنوم ، على غرار قول القديس راؤولا الرّهاوي (يُقلقني جدّاً القول بالثنية بعد الاتحاد) وعليه ، تشجّب الكنائس الأرثوذكسيّة عقيدة الوحدة المعلنة طبقاً لمبادئ أُوطيخا وتُعلنها بدعة مُتطرفة شأنها شأن بقيّة البدع .

وخلاصة القول أنّ (المُنوفيزيتيّة) أو الأوطاخية الملتصقة بالكنائس الأرثوذكسيّة لا أساس لها مِنْ الصّحة والواقع ، لأنّ هذه تعني (الامتزاج والاختلاط والتّلاشي) ، بينما عقيدة هذه الكنائس تُخالف هذا القول مُخالفة صريحة ، وهي التي عبّر عنها بعض المعتدلين بلفظة الوحدة (التياندريكيّة) أي بدون اختلاط ولا امتزاج ولا إحالة ولا تلاشٍ ، ولا انفصال ، بعد الاتحاد . هذه هي عقيدة مجمع أفسُس الأوّل والثاني ،

والقديس كيرلس الأسكندري ، حُجَّة الأرثوذكسيَّة ، والكنائس الأرثوذكسيَّة ، دافعت عنها بكلِّ ما لديها مِنْ قُوَّة رُوحِيَّة إلى يومنا هذا .

بقي أمر آخر يجب أن ندرسه طبقاً للنُّصوص التاريخيَّة الَّتِي بين أيدينا ، وخاصَّةً أعمال مجمع أفسس الثاني ، وهو كَيْفِيَّة سُلوِك ديسقوروس في هذا المجمع بالنسبة إلى قضيَّة أوطيخا بالذَّات ، وقد تتبَّعنا هذه القضيَّة في هذا المجمع في جميع مراحلها ، طبقاً لأعمال المجمع نفسه ، لم نجد ديسقوروس في هذا المجمع إلاَّ كأيِّ رئيس لمجمع كهذا ، ومنها ظهر لنا أنَّ سُلوِك ديسقوروس كان طبيعياً كرئيس أوَّل للمجمع ، لا شائبة فيه .

بعد أن تُليَ مرسُوم القيصريين الموجه إلى المجمع نسمع ديسقوروس يلفظ البيان الافتتاحي الَّذِي أظهر فيه رغبة القيصريين في التمام المجمع وأسبابه وأهدافه ، وممَّا قال (فيجب الاحتفاظ بتحديدات المجمع المقدَّسة الَّتِي عُقدت سابقاً ، والقوانين الَّتِي شرَّعتها ، والمقررات الَّتِي أصدرتها ، فلا يسوغ لنا أن نتحدَّى كُلِّ ذلك ، ... لا لكي نُقرِّر الإيمان الَّذِي قرَّره الآباء ، بل لكي نبحث ما طرأ جديداً ، ومدى اتفاهه وما قرَّره الآباء القدِّيسون) .

إنَّ افتتاحية ديسقوروس هذه تُظهر ولا شك ، تمسُّكِهِ الوثيق بعقيدة الإيمان المقرَّرة في المجمع ، وتصميمه الثَّابت على الدِّفاع عنها ، وعدم افساح المجال لأيِّ كان أن يتحدَّها ، ونحن نرى ، كما يرى كُلُّ مُنصِف ، أنَّ هذه البادرة مِنْ ديسقوروس هي الأساس الوحيد الَّذِي بني مجمع أفسس الثاني أعماله عليه ، ولا أدل على ذلك مِنْ سؤاله الهام في نهاية هذه

الكلمة الافتتاحية حيث قال للآباء (هل تُريدون أن نُحرّف الإيمان ؟) فيُجيبه الجمع بكامله (مَنْ يُحرّف فليكنْ محزوماً) ويعود ديسقوروس مرّة أخرى فيقول (راحة لضمير الجميع ، وتأيداً للإيمان وقضاء على الأحداث الطّائرة أُويّد مبادئ الآباء ، آباء نيقية وأفسس) .

انهم ديسقوروس باتخاذ خطوات فردية تعسفية في الجمع ، وهل الخطوات التي نتبّعها الآن يُمكن وصفها بأنّها تعسفية بأيّة حال من الأحوال ؟ وإذا عُدنا إلى المحاورة الإيمانية التي دارت بينه وبين الجمع ، لرأينا فيه زكناً راسخاً من أركان الإيمان ، الأمر الذي تأكّده الجمع فهتّف له بحياة طويلة ولقّبهُ بـ (حامي الإيمان) .

وعندما باشر الجمع أعماله وشرّع يُوحنا الكاتب الأوّل يقرأ أعمال مجمع فلابيانس ، رأينا ديسقوروس صامتاً في بادئ الأمر ، ولما أعلنت اعترافات بعض أعضاء مجمع فلابيانس المخالفة للإيمان لم نسمعه يتكلّم ، بل سمعنا الكاتب الذي كان يقرأ محاضر مجمع أفسس الأوّل يقول (ممّا يُقرأ الآن نعلم أنّ القائلين بها إنّما يُعلنون إيماناً مخالفاً لإيمان الآباء) ولم يتكلّم ديسقوروس أيضاً ، بل تكلم أولمبيوس أسقف أوزون فقال (إذا كانت هذه النظريات أساساً للإيمان فليكونوا محزومين أولئك الذين أعطوا مقدماتها) وهنا أيضاً لم يُعلّق ديسقوروس بشيء حتى تابع يُوحنا قراءته ، وأعلن التصريحات المخالفة التي لفظها بعض أعضاء مجمع فلابيانس ، الحاوية إعلان عقيدة نسطور بحدافيرها وهنا لم يتمالك ديسقوروس من القول (اصمّثوا قليلاً لنسمع تجاديف أخرى ، لماذا تلومون نسطور ،

هوذا كثيرون الآن هم نساطرة) .

وبعد تلاوة وثيقة أوطيخا الإيمانيّة يطلب ديسقوروس إلى آباء المجمع إبداء آرائهم في عقيدة أوطيخا ، بناء على وثيقته ، وأوّل أسقف يعلن رأيه ، كان يوبيناليوس أسقف أورشليم ، ثمّ تلاه الأساقفة الآخرون حتّى النهاية ، مؤيدين ما قاله يوبيناليوس ، وأخر الكلّ نسمع ديسقوروس يختتم المناقشة بقوله (في الوقت الذي أُصادق على آراء المجمع المقدّس المسكوني الصّادرة بحق الفاضل رئيس الدير أوطيخا ، أضُمّ أنا أيضاً رأبي على آرائهم) .

هذا ما سمعناه من ديسقوروس بحذافيره ، في قضية أوطيخا ، وهل في هذه الأقوال الهادئة الحكيمة ما يشتّم منه رائحة العسف والتّحكّم ؟ فأبي رئيس لمؤتمر عظيم مثل مجمع أفسس الثّاني يقول أقلّ ممّا قاله ديسقوروس ؟ وإذا كانت هذه الكلمات هي التي حملت بعض النّاس من جعل ديسقوروس مُحازباً لأوطيخا ، فلنقرأ السّلام في النقد العلمي الصّحيح .

إنّنا لا نرى أيّ مُوجب مُطلقاً لتوجيه أيّة تُهمة لرجل رسولي مثل ديسقوروس لا من جهة العسف والظلم ، ولا من جهة التّحزّب لأوطيخا ، لأنّ ذلك ظهر بطلانه كما رأينا ، لأنّ تبرئة أوطيخا - كما أشرنا سابقاً - مبنية على وثيقته الإيمانيّة التي استعرضناها ، وعلمنا الأسباب الحقيقيّة للتّبرئة .

فيكون ديسقوروس إذن ، بريئاً ، والحالة هذه من كل ما أُلصِقَ به من
العسف والتَّحَكُّمِ ومن المحازبة الإيمانيَّة لأوطينا .

التحقيق في نزاهة المجمع ونظامه

طعنا بنزاهة هذا المجمع المقدس الذي لم يلتزم إلا امتداداً لمجمع أفسس الأول الملتزم سنة ٤٣١م أثبتت نقولات كثيرة حول وجود الحكام الموفدين من قبل القيصر ثيودوسيوس الثاني ، للمحافظة على النظام ، لا للتدخل في مناقشات المجمع أو حمل أعضائه أو بعضهم على السير في اتجاه معين ، فيجب التحقيق في ذلك على ضوء المصادر التاريخية التي بين أيدينا ، وخاصة أعمال المجمع بالذات ، للوصول إلى نتيجة يقبلها العقل ويؤيدها المنطق ، ويعززها التاريخ الصحيح .

منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م والملوك هم الذين يُنادون بعقد المجمع المسكونية كما هو ثابت ، ولما كان الملوك المسيحيون في تلك العصور يعتبرون نفوسهم المسؤولين الرئيسيين في خدمة الإيمان وتأييده ، ولما كانت المجمع المسكونية تُعقد لهذه الغاية بصفة خاصة ، كان من الطبيعي أن يهتم هؤلاء الملوك في حفظ النظام فيها ومراقبة نزاهتها مراقبة دقيقة ، وتوفير الجو الهادئ المناسب لأعضائها ، وقد بذل هؤلاء الملوك كل ما بوسعهم في توفير كل ذلك ، بالوسائل التي وجدوها ناجعة ومناسبة طبقاً لظروف المجمع نفسه ؟ فإن قسطنطين الكبير الذي نادى بالتسامح مع نيقية المسكونية ، ضد أريوس ، حضر أهم جلسات المجمع بالذات وأضفى هبة الملك وجلاله على مجمع الأساقفة العظيم إلا أنه لم يتدخل في أي أمر من

أُمور المناقشات الإيمانيَّة في المجمع ، وكذلك ثيودوسيوس الأوَّل حضر بعض جلسات مجمع القُسطنطينيَّة المسكُوني سنة ٣٨١م ، وثيرودوسيوس الثاني ذاته عيَّن مندوباً عنه في مجمع أفسُس الأوَّل ٤٣١م هو القوميس كنديديان ، وعيَّن مندوباً لحفظ النظام في مجمع فلابيانس في القُسطنطينيَّة ، ومِن المؤكَّد أنَّ الملوك أو مندوبهم لم يتدخَّلوا بصورة مُطلقة في مناقشات هذه المجمع بأية حال مِنَ الأحوال .

هذا كُلُّه معرُوف في كيفيَّة سلُوك الملوك وبالنسبة إلى المجمع ، ولم نجد نقداً واحداً يُوجِّه إلى نزاهة تلك المجمع ، ويظهر أنَّ ذلك النقد وُجِّه بصورة مقصُودة إلى نزاهة مجمع أفسُس الثاني ، وزيدت فيه عناصر مِنَ الإشاعات الكثيرة ، أهمها الادعاء أنَّ ثيودوسيوس الثاني فرض على المجمع جواً مِنَ الإرهاب والقسوة انحيازاً منه إلى جهات كنسيَّة مُعيَّنة ، ولم تتوان هذه الأوساط عن إشراك البابا ديسقوروس في أعمال العُنف الإرهابيَّة هذه ، وخاصَّةً الجلسة الختاميَّة مِنَ جلسات المجمع ، والتَّوقيع على قراراته ، وقد ذهبت تلك الأوساط إلى أبعد مِنَ ذلك ، فقالت أنَّ نفراً مِنَ الأساقفة لم يُوافقوا على القرارات فأرغموا على التَّوقيع بِقُوَّة السَّلاح ، إذ أُغْلِقَت أبواب الكنيسة وسلَّطت الحِرَاب على أعناقهم وأرغموا على التَّوقيع ، والَّذين رفضوا نُفوا ، ومِن جُمليتهم فلابيانس أسقف القُسطنطينيَّة الَّذي يدَّعي أنَّ ديسقوروس رَكَلهُ بِرِجلِهِ في قاعة المجمع نفسه ، ونُفيَ لدى رفضه التَّوقيع وأذيق مُرَّ العذاب في طريق النفي ، حتَّى أنَّه توفَّى بعد وُصُوله بثلاثة أيَّام .

هذه أُمور تتنافى طبعاً مع أبسط الأخلاق الإنسانيَّة ويستحيل أن

يقبلها العقل السليم ، ناهيك عن أن المراجع التاريخي لا تسعفها بتأكيد واحد ، وإذا رغبتنا اليوم تصفية الجو الكنسي المسيحي عامّة ، استعداداً لتفاهم شامل بين الكنائس المتنافرة ، يجب أن يُعاد النظر في مثل هذه الأمور وما يُشابهها ، بطريقة نزيهة ومعتدلة طبقاً لما تُوحيه إلينا الرُّوح المسيحيّة المستمدّة عن تعاليم الرّب يسوع المسيح ، واستناداً على العقل السليم والمنطق والتّاريخ الصّحيح ، وإلاّ لبقى كلّ طرف حيث هو ، فتُصبح هذه الحركات المسكونيّة جعجة بدون طحين ، أو تستمر ذرّاً للرّماد في العيون ، الأمر الذي هو بعيد كلّ البعد عمّا تفرضه علينا رُوح الرّب .

إنّنا آلينا على أنفسنا في بحثنا هذا ، أن نقوم بتحقيق شامل في هذه القضية استناداً إلى أوثق المصادر التاريخيّة وأهمها محاضر جلسات الجمع بالذّات وهي أوثق مصدر لهذه الحوادث ، ونعتقد أنّه لا يُمكن الطعن بنزاهة تلك المحاضر لوجود نُصوصها الأصليّة في البترولوجيا اليونانيّة ، وبين يدينا النص السّرياني القديم الذي بحثنا مصادره سابقاً ، الأمر الذي أكّد لنا صحته ونزاهته المطلقة .

قبل الدّخول في تفاصيل التّحقيق في هذه القضية التاريخيّة الهامة ، نقول ، أنّ العقل السليم يرفض رفضاً باتاً قضية تسليط الحراب على رؤوس الأساقفة في الجمع ، بغية إجبارهم على التّوقيع بقوّة السّلاح ، ولو حدث الأمر على هذه الصورة لِمَا كان جزاء الذين رفضوا التّوقيع مُجرد النّفي فقط ، بل لكان أكثر من ذلك ، لأنّنا إذا عُدنا إلى مثل هذه الحالة في

بقية المجامع السابقة وجدنا المخالفين يُعاقَبون بِعُقُوبَاتٍ أَدَبِيَّةٍ فقط أعظمها النَّفي ، دونَ التَّهديدِ بالسَّلاحِ أشباه أريوس ونسطور وغيرهما مِنَ الَّذِينَ حَكَمَتْ عَلَيْهِمُ المَجَامِعُ المَسْكُونِيَّةُ بِالْعُقُوبَاتِ الأَدَبِيَّةِ .

هذا مِنْ جِهَةٍ ، وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ ، عَلِمْنَا أَنَّ المَجْمَعِ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ مُقَرَّرَاتٌ إِيمَانِيَّةٌ ، تَحْتَاجُ إِلَى مُوَافَقَةِ المَخَالِفِينَ فِي المَجْمَعِ ، بَلْ كَانَ هُنَاكَ اسْتِعْرَاضٌ لِحُجُوجِ بَعْضِ الأَسَاقِفَةِ عَلَى شَرِيعَةِ الصَّوَابِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَحْدِيدَاتِ المَجَامِعِ السَّابِقَةِ ، وَخَاصَّةً بِمَجْمَعِ أفسُسِ الأَوَّلِ ، الَّذِي أَغْضَبَ بَعْضَ الجِهَاتِ الكَنِسِيَّةِ المَعْتَنِقِينَ نَظْرِيَةَ الأَثِينِيَّةِ المَتَطْرَفَةِ ، وَالمَجْمَعِ بَحْثَ فَقطِ قَضَايَا هؤُلاءِ الأَسَاقِفَةِ وَمَدَى اِخْتِلَافِهَا وَمُقَرَّرَاتِ مَجْمَعِ أفسُسِ الأَوَّلِ وَتَحْدِيدَاتِهِ الإِيمَانِيَّةِ بِاعْتِبَارِهِ امْتِدَاداً لذلِكَ المَجْمَعِ ، بُنَاءً عَلَى مَا عَرَفْنَاهُ مِنْ غَايَةِ المَجْمَعِ الوَارِدَةِ فِي المَراسِيمِ المَلَكِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنِ القِيصَرِينَ ثِيودوسيوسِ الثَّانِي وَوَالنَّطِينُوسِ مَلِكِ العَرَبِ ، تَلِكِ المَراسِيمِ الَّتِي صرَّحَتْ مِرَاراً وَتَكَرَّرَ أَنَّ غَايَةَ المَجْمَعِ كَانَتْ فَقطِ تَأْيِيدِ تَحْدِيدَاتِ الإِيمَانِ المَقْرَّرَةِ فِي نِيقِيَّةِ وَأفسُسِ الأَوَّلِ ، وَالقَضَاءِ عَلَى الفِتْنِ النَّاجِمَةِ عَنِ اسْتِمْرَارِ الأَسَاقِفَةِ مُتَشَبِّهِينَ فِي العَقَائِدِ الَّتِي شُجِبَتْ فِي مَجْمَعِ أفسُسِ الأَوَّلِ ، أَمْثَالِ ثِيودوريطسِ أُسقفِ قُورَشِ ، الَّذِي مَنَعَتْ تَلِكِ المَراسِيمِ حُضُورَهُ المَجْمَعِ إِلاَّ بَعْدَ مُوَافَقَةِ المَجْمَعِ نَفْسِهِ ، وَظُهُورِ غَيْرِهِ مِنَ الأَسَاقِفَةِ يَعْمَلُونَ عَلَى تَجْدِيدِ تَلِكِ الفِكرَةِ وَنَشْرِهَا مِنْ جَدِيدٍ فِي الأَوْسَاطِ المَسِيحِيَّةِ وَخَاصَّةً فِي سُورِيَا وَمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ، أَمْثَالِ هِيَا أُسقفِ الرِّهَا وَدُومَنُوسِ رَئِيسِ أُسَاقِفَةِ أَنْطَاكِيَّةِ ، وَفَلَابِيَانِسِ رَئِيسِ أُسَاقِفَةِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ خَاصَّةً أُوسَابِيُوسِ أُسقفِ دُورِيلِيُومِ الَّذِي كَانَ

محور الحركة في تسيير هذه الأعمال التي أصبحت فتنة حقيقية تُهدد هُدوء الكنيسة واستقرارها كما أنّها تُهدد صُلب الإيمان الذي حدّده مجمع أفسس الأوّل ، وعليه ، لما كان المجمع يبحث قضايا هؤلاء الأساقفة بُناء على كتبهم وخطبهم ورسائلهم وتصريحاتهم ، وتسمع ما سُجّل في حقهم من وثائق صحيحة مُؤيدة بشُهود عدول ، ويصدّر الأحكام خضداً لشوكة التّعالم المناهضة لتعاليم المجمع المسكونيّة ، لم تكن حاجة لتوقيع هؤلاء الأساقفة على المقرّرات الصّادرة بحقهم ، بل أنّ التّوقيع كان فقط من قبل بقيّة الأساقفة الذين منهم تكوّن المجمع ، وهؤلاء كانوا فقط من المناهضين للفكرة الأثنيّة المتطرفة ، فإنّ فلايانس والحالة هذه لم يُطلب إليه التّوقيع ، ولم يكن المجمع بأية حاجة إلى توقيعه ، وبالتالي لم تكن أية حاجة لإجباره على التّوقيع بِقُوّة السّلاح أو بدوئها ، لا هو ولا أصحاب الفكرة المناهضة للإيمان بأية حال من الأحوال ، فتكون والحالة هذه فكرة إجبار فلايانس بِقُوّة السّلاح على التّوقيع غير موجودة من أساسها .

وما عدا ذلك يُمكن استعراض رُوح المجمع نفسه طبقاً للوثائق التّاريخيّة التي بين أيدينا ، وإليك ذلك :

قبل كلّ شيء بين أيدينا نص الخطاب الذي ألقاه في المجمع القوميس هلفيديوس الذي عينه القيصر للمحافظة على النّظام في المجمع ، وفي هذا الخطاب نقاط هامة جدّاً تخصّ هذا الموضوع ، وإليك الخطاب منقولاً بأمانة ودقّة عن محضر جلسات المجمع في النص السّرياني :

قال هلفيديوس القوميس ما نصّه :

” أنّ الشَّيْطَان ، وهو مصدر الشُّرُور ، لا يكف عن إثارة الحرب ضد الكنائس المقدَّسة ، وسيكون الملك لا يخاف الله فيما إذا لم يُقاوم ذلك المهاجم ، وهو مُتأكد ، أنّ هناك مَنْ يُدافع عن مملكته ، إذا تجرّد للدِّفاع عن الإيمان ، ولن يندم إذا أقدم على ذلك ، فإنَّه مُنذُ البداية قد دُلَّلت أمامه صِعب كثيرة بالتَّقوى وليس بِقُوَّة السِّلاح ، ولذلك فقد شَجَبَ تحدي نسطور ، الَّذي وُجِدَ لخدمة الله فانقلب أباً ومُعَلِّماً للضلال ، وكأنيّ به قد أخذ الكهنوت لخدمة الشَّيَاطِين ، وليس لخدمة التَّقوى ، غير أنّ ذلك (الشَّيْطَان) محكوم عليه في المكان المعد له في العالم الآخر ، وقد حُفِظَ للعذاب الأبدي ، الَّذي لا يُمكنه الإفلات منه ، وهو الَّذي سَكَبَ في هذا (نسطور) كُلاًّ ضلاله ، فاجتذب إليه الكثيرين .

إنَّ الملك الجليل قد جاء بكم كآباء وحُكَّام ، تقضون على الفتنة التي ثارت الآن ، طالباً إليكم أن تجد المشكلات حلاً لديكم ، حلاً يكون مُقوِّماً له ولرعاياه ، أمّا ما أمرنا به الملك الجليل ، وكُتِبَ إليكم ، هو ما سأوضحه لكم الآن ، مِنْ أُمُور تُحَصُّ مخافة الله ، وهي بمُتناول أيديكم . عدلاً .

اليوم رب الكلّ ، الإله الكلمة والمخلص يُسلم نفسه إليكم للمُحاكمة ، فإذا حكمتم ، فإنَّه يُوافق على حُكمكم ، وسيُشرق مجده في الأحكام الصَّادرة عنكم ، وذلك إذا وجدكم بالعدل تحكّمون ،

فإنه يُكرمكم ويعترف بكم أمام الآب ، ولكنه إذا وجد بعض الناس يبعدون عن ضمائرهم حق مخافة الله فيستعينون بمن يُحسنون صناعة الكلام أكثر من استعانتهم بتعاليم الآباء القديسين هؤلاء سيكونون معرضين لعاقبين ، عقاب الله وعقاب الملك ، فخير لهم لو لم يولدوا ، لأنهم لا يؤمنون إيماناً مستقيماً بمجد من تواضع من أجلنا ، كما آمن به اللص والعشار والكنعانية . وسأقرأ الآن الأوامر الصادرة من صاحب الجلالة الإمبراطورية ملكنا المؤمن التقي “ (١) .

إن في هذا الخطاب أربع نقاط هامة تُوضح غاية الجمع بأكملها ، وتُعلن الطريقة السليمة التي يجب أن تُعالج بها المشكلات المطروحة ، وأولى هذه النقاط هي غاية الملك من عقد الجمع ، وتجرده لقطع دابر الشر والفساد ، وقمع حركات الضلال الناتجة عن التعاليم المخالفة لتعاليم الجامع المسكونية السابقة ، أمّا طريقة تلك المعالجة فقد وردت في قول هلفيديوس (سيكون الملك لا يخاف الله فيما إذا لم يُقاوم ذلك المهاجم وهو مُتأكد أن هناك من يُدافع عن ملكه إذا تجرّد للدفاع عن الإيمان ... فإنه منذ البداية قد دُلت مصاعب كثيرة بمخافة الله وليس بقوة السلاح) .

وهنا تتضح غاية الملك من عقد الجمع وهي القضاء على الشر والفساد ، ولكن لا بقوة السلاح بل بمخافة الله ، وعليه لا يمكن أن يكون السلاح واسطة لقمع الشر الذي يراه الملك شراً وخطراً على سلامة الكنيسة ، فإنه مؤمن الإيمان كله أن مخافة الله هي التي دُلت أمامه

(١) أعمال مجمع أفسس بالشرقية ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

مصاعب كثيرة طبقاً لِمَا نَطَقَ به هلفيديوس .

والنقطة الثانية ، تنبيه الأساقفة إلى عِظَمِ المسؤولية التاريخية الملقاة على عواتقهم في دراسة المشكلات الراهنة وينحصر ذلك في قول هلفيديوس للأساقفة (أنَّ الملك الجليل قد جاء بكم آباءً وحُكَّاماً تقضون على الفتنة ... طالباً إليكم أن تجد لديكم هذه المشكلات حلاً يكون تقويماً له ولرعاياه) .

في هذه الكلمات تنحصر الطريقة التي رَغِبَ الملك بها حلاً للمشكلات ، والطريقة هي (التَّقْوِيم) لا طريقة العُنْف ، والهوس النفسي الإنساني ، والتَّقْوِيم هذا يكون عاماً للملك ورعاياه . وعلى هذا الأساس يقول لهم هلفيديوس (اليوم ربُّ الكلِّ الإله الكلمة المخلص ، يُسَلِّم نفسه إليكم للمُحاكمة ، فإذا حكمتم فإنه يُوافق على حُكمكم وسيُشرق مجده في الأحكام الصَّادرة عنكم وذلك إذا وجدكم تحكّمون له بالعدل) وهنا تتضح الطريقة الوحيدة في مُعالجة المشكلات ، إنَّها طريقة العدل فقط ، وهي التي تُرضي وحدها الرّب الذي وضع نفسه بالذَّات للمُحاكمة ، وعليه فأيّة طريقة أخرى قد تُعالج بها تلك المشكلات تكون مرفوضة من قِبَل الملك من أساسها ، ولا يُمكن والحالة هذه أن تسود الجمع غير طريقة العدل ، والعدل فقط .

أمَّا النقطة الثانية فإنَّها حالة المخالفين ، ولم يَشِرْ هلفيديوس في خطابه أنَّهم سيُعاملون بالقسوة أو بِقُوَّة السِّلاح ، بل تَرَكَ الأمر للعقاب الإلهي والعودة إلى صوت الضمير ، ذلك رغماً عن أنه يعرفهم أنَّهم سيطرَحون

عن ضمائرهم مخافة الله ، فيقول (ولكن إذا وجد بعض الناس يبعثون عن ضمائرهم بحق مخافة الله فيستعينون بمن يُحسنون صناعة الكلام أكثر من استعانتهم بتعاليم الآباء القديسين ، هؤلاء سيكونون معرضين لعقابين ؛ عقاب الله وعقاب الملك ، فخير لهم لو لم يولدوا) .

إنَّ في هذه العبارة تهديداً بعقوبتين ، بعقوبة من الله ، وعقوبة الملك ، وهي طبعاً ليست قوَّة السَّلاح أو الإهانة بل بفرض عُقوبات أدبيَّة كما حدث في الجامع المسكونيَّة السابقة ، إذ عُوقِبَ المحكوم عليهم من قبل الجامع ، عاقبهم الملوك ليس بقوَّة السَّلاح بل بعقوبات أخرى بالإضافة إلى العقوبات الرُّوحية لعدم إذعائهم للحق المتمثل في قرارات المجمع المسكوني .

وأصدر الملك ثيودوسيوس الثاني مرسوماً إلى القوميس هلفيديوس يُعيِّنه فيها مع حارس البلاط أولوغوس من قبله للمحافظة على النظام ، طبقاً لما قام به الملك نفسه بتعيين مندوب من قبله وللغرض نفسه في مجمع أفسس الأوَّل ، وتوضح غاية تعيين هذين المندوبين من المرشوم نفسه وإليك المرشوم منقولاً عن السُّريانيَّة .

إلى هلفيديوس الجليل قوميس المجمع المقدَّس :

” نُحيطُكُمْ علماً بأنَّ سبب التَّام مجمع أفسس الأوَّل كان ضلال نسطور وتجديفه على الله ، وبُناء على ذلك نال العقاب الذي يستحقه من الآباء القديسين الذين اجتمعوا ، وبما أنَّ الآن أيضاً ثارت فتنة جديدة ضد الإيمان المقدَّس ، فقد أمرنا أن يلتزم هذا المجمع المقدَّس الثاني في مدينة

أفسس ، وقد عزمنا على استئصال الشرِّ كُلِّه ، حتَّى إذا ما قضينا على تعليم الضلال من كلِّ مكان ، يُمكننا أن نحافظ على استقامة إيماننا بالتقوى ، ويكون ذلك تقويماً لأعمال الخير للبشر ، ولذلك فقد اخترناك أيُّها الكريم وأولوغوس الجليل الحاكم وحارس البلاط لخدمة الإيمان باعتباركما كاملين في العدل متمسكين تمسكاً مُطلقاً بالتقوى ، ويُمكنكما تطبيق أوامرنا تطبيقاً حقيقياً ، في ما سيبحثه المجمع المقدس في أفسس ، وأننا لو اثقون بأنكما لن تسمحا بحدوث شيء من العنف من أيِّ من الجانبين ، فإذا وجدتما أحداً يُحاول إثارة العنف والتشويش تعطيلاً للإيمان المقدس عاملاه بحذر وعرفان ، ولتسير جميع الأمور طبقاً للنظام ، فإنكما في قلعة المناقشة فاجتهدا أن تُبحث المواضيع بدقَّة وبالسرعة الممكنة ، من قِبَل المجمع المقدس ، وعرفانا “ .

” لما كان الذين حاكموا الفاضل رئيس الدير أوطيخا حاضرين ، فليكونوا صامتين ، فإنَّ نظام المحاكمة يقضي بالألَّا يتكلَّموا بل ينتظرون الاتفاق الاجماعي الذي سيتم بين الآباء القديسين الآخرين لأنَّ الأمور التي حوكم من أجلها تُدقق الآن ، فلا يسوغ لأيِّ كان أن يُحرِّك ساكناً قبل أن ينتهي البحث في تثبيت الإيمان المستقيم ، وقد خصصنا لمساعدتكما جنوداً وهم على أتم استعداد لكي تستعينوا بهم بالإضافة إلى همتكما ، فيمكنكما تنفيذ ما أمرتما به ، وما هو أعظم من جميع الفضائل الطاعة لله أكثر من الطاعة للبشر ، عرفانا كلِّ شيء قد يحدث “ (٢) .

(٢) أعمال مجمع أفسس الثاني بالسُّريانيَّة ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(كُتِبَ فِي شَهْرِ آيَار)

أَنَّ هَذَا الْمَرْسُومَ يَحْمِلُ النِّقَاطَ التَّالِيَةَ :

النُّقْطَةُ الْأُولَى - إحاطة هلفيديوس بأسباب عقد الجمع ، وقد وَرَدَ في قول الملك (نُحِيطُكُمْ عِلْمًا أَنَّ سَبَبَ التَّامِّ بِمَجْمَعِ أَفْسُسِ الْأَوَّلِ كَانَ ضَلَالٌ نَسْطُورٌ ... وَبِمَا أَنَّ الْآنَ أَيْضًا ظَهَرَتْ فِتْنَةٌ ضِدَّ الْإِيمَانِ الْمُقَدَّسِ فَقَدْ أَمَرْنَا أَنْ يَلْتَمِمْ هَذَا الْمَجْمَعُ الْمُقَدَّسُ الثَّانِي فِي مَدِينَةِ أَفْسُسِ) إِذْنًا ، أَسْبَابُ عَقْدِ الْمَجْمَعِ هِيَ الْقَضَاءُ عَلَى الْفِتْنَةِ الثَّائِرَةِ ضِدَّ الْإِيمَانِ الْمُقَدَّسِ وَإِعْدَادُ وَسَائِلِ الْقَضَاءِ عَلَيْهَا .

وَالنُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ - تُوضِحُ طُرُقَ الْقَضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَقَدْ وَرَدَتْ فِي قَوْلِ الْمَلِكِ - (وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى اسْتِئْصَالِ الشَّرِّ كُلِّهِ ، حَتَّى إِذَا مَا قَضَيْنَا عَلَى الضَّلَالِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، سَنُحَافِظُ عَلَى اسْتِقَامَةِ إِيْمَانِنَا بِالتَّقْوَى ، وَيَكُونُ ذَلِكَ تَقْوِيمًا لِأَعْمَالِ الْخَيْرِ لِلبَشَرِ) أَنَّ طَرِيقَةَ الْقَضَاءِ عَلَى الْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ هِيَ طَرِيقَةُ رُوحِيَّةٍ صِرْفَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَرَارِ الْمَلِكِ هَذَا ، لَا تَتَعَدَّى التَّقْوَى ، وَتَقْوِيمِ الْأَعْمَالِ الْخَيْرِ لِلبَشَرِ ، وَلَا نَجِدُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَهْدِيدًا بِاسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ لِلْقَضَاءِ عَلَى مَا كَانَ الْمَلِكُ يَعْتَقِدُهُ شَرًّا ، وَبِالتَّالِيِ إِنَّهُ لَمْ يُقَرَّرْ بِأَنْ يُقَاوَمَ الشَّرُّ بِالشَّرِّ بَلْ قَرَّرَ الْقَضَاءُ عَلَى الشَّرِّ بِالْخَيْرِ .

وَالنُّقْطَةُ الثَّلَاثَةُ - هِيَ غَايَةُ تَعْيِينِ هَلْفِيدِيوسَ وَزَمِيلِهِ ، وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْغَايَةُ فِي قَوْلِ الْمَلِكِ (وَلِذَلِكَ فَقَدْ اخْتَرْنَاكَ أَيُّهَا الْكَرِيمُ وَأُولُوغُوسَ الْجَلِيلِ الْحَاكِمِ وَحَارِسِ الْبَلَاطِ لِحُدُومَةِ الْإِيمَانِ بِاعْتِبَارِكُمَا كَامِلَيْنِ بِالْعَدْلِ

تمسكاً مُطلقاً ، بالتَّقوى) إذن ، غاية تعيينيهما كانت (حراسة الإيمان) وهما جديران بذلك باعتبارهما كاملين بالعدل متمسكين تمسكاً مُطلقاً بالتَّقوى) وعليه لم تكن الغاية إذن إرهاب أعضاء الجمع أو حملهم بِقُوَّة السِّلَاح على الاذعان لأوامر جهة مُعيَّنة في الجمع ، وإتباع آراء مُعيَّنة إطلاقاً ، وحراسة الإيمان طبقاً للمرشوم تفترض استتباب الهدوء والنظام ، وعلى هذا الأساس يُواصل المرشوم قوله (ويُمكنكم تطبيق أوامرنا تطبيقاً حقيقياً ففي ما سيبحثه الجمع المقدَّس في أفسُس ، فلن تسمحوا بحدوث شيء من العُنف من أيِّ من الجانبين ، فإذا وجدتم أحداً من الجانبين يُحاول إثارة العُنف والتشويش تعطيلاً للإيمان المقدَّس عاملاً بالحذر وعرفاناً ، ولتسرَّ جميع الأمور طبقاً للنظام ، فإنكما في قاعة المناقشة فاجتهدا أن تُبحث الأمور بِدِقَّة وبالسُرعة الممكنة من قِبَل الجمع المقدَّس ، وعرفاناً) .

إنَّ المطلِّع على هذه الكلمات يتأكَّد أنَّ أوامر الملك لهذين المندوبين كانت واضحة تمام الوُضوح وهي تحمل كافة أطراف المهمة الموكولة إليهما ، وبعكس ما يُشاع كانت مهمتهما عدم افساح المجال لأي عمل من أعمال العُنف والتشويش .

إنَّ مهمة المندوبين كانت تطبيق أوامر الملك والمحافظة على النظام وعدم السماح بأي عمل يُعطِّل الإيمان المقدَّس ، ولم يُطلق أيديهما في استعمال أي نوع من أنواع القُوَّة ، فإذا بدا الشرُّ يُعاملان مُسبِّبهُ بحذر ويُعرِّفان الملك ، ومعنى هذا أنَّه لم تكن لهُما أيَّة صلاحية باستعمال القُوَّة مُحافظةً على كرامة الأساقفة والجمع عامَّةً ، كما أنَّ الملك أمرٌ بصراحة أن

تسير أعمال الجمع طبقاً للنظام ، وهذه الأمور كلها تنفي كل صفة من صفات العنف في الجمع .

والنقطة الرابعة - هي المختصة بكيفية مُعاملة الأساقفة الذين أصدرُوا الحُكم على أوطيخا ، وهذا هو بيت القصيد في الموضوع ، فإنَّ أمر الملك لا يتعدى احتفاظِهِمْ بالهدوء والانتظار ، أثناء مُناقشة هذه القضية دون استعمال أي نوع من أنواع القُوَّة ، أو إطلاق أيَّة حركة تمس بكرامتِهِمْ الأُسقفية ، قال الملك (فلا يسوغ لأيِّ كان أن يُحرِّك ساكناً قبل أن ينتهي البحث في تأييد الإيمان المستقيم) .

إنَّ هَمَّ الملك كان في هذه النَّاحية تأييداً للإيمان المستقيم طبقاً لِمَا يختم به أمره هذا ، فلو سمح بحدوث شيء من العنف أو التَّشويش ، لكان في ذلك أعظم الخطر على صيانة الإيمان ، وعليه فقد أمرَهُمْ بالهدوء افتراضاً منه بأنَّ بعضهم كانوا ينوون القيام ببعض أعمال من شأنها تعطيل أعمال الجمع ، وفعلاً نفَّذوا أمر الملك فلم نسمعَهُمْ يتكلَّمون إلاَّ لِمَا ، فإنَّ اثنين منهم تنصَّلا عمَّا كانا قد قرَّراه سابقاً في قضية الإيمان ، وهما باسيليوس أُسقِف سلوقيا وسلوقوس ، وكذلك دومنوس أُسقِف أنطاكية الَّذي كان قد وقَّع على عزل أوطيخا سَحَبَ توقيعه مُعتذراً واتفق مع بقية الأساقفة على تبرئته كما رأينا .

وهناك نقطة خامسة يجب استعراضها وهي قول الملك (وقد خصَّصنا جنوداً وهُم على أتم استعداد لكي تستعينوا بهم ، بالإضافة إلى حصافتكما فيمكنكما ما أمرتُما به) أنَّ هذه هي النقطة الحسَّاسة المهمَّة في الموضوع ،

وَمِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ يَظْهَرُ أَنَّ الْجُنُودَ احْتَفَظَ بِهَمُّمْ فِي مَنْطِقَةِ خَاصَّةٍ لَا لِاسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ بَلْ لِحِفْظِ وَرَدَعِ مَنْ قَدْ تَسَوَّلَ لَهُ نَفْسُهُ إِحْدَاثَ أَيِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعُنْفِ أَوْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ ، كَمَا يَظْهَرُ وَاضِحاً مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ أَنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّعُ قِيَامَ بَعْضِ الْمَشَاغِبِينَ إِثَارَةَ الْفِتْنِ ، وَخَلَقَ الْفَوْضَى فِي الْمَجْمَعِ لِهَدْمِ الْوُصُولِ إِلَى غَايَاتِهِ فِي حِفْظِ الْإِيمَانِ وَتَأْيِيدِ مُقَرَّرَاتِ الْمَجَامِعِ السَّابِقَةِ ، وَعَمَلُهُ هَذَا يُعْتَبَرُ عَمَلاً شَرْعِيّاً مِنْ أَعْمَالِ حِفْظِ النَّظَامِ وَرَدَعِ الْمَشَاغِبِينَ مِنْ اتِّيَانِ آيَةِ حَرَكَةِ تُسَيِّئُ إِلَى سِيرِ الْمَجْمَعِ وَحُرِّيَّةِ الرَّأْيِ فِيهِ .

وَالْأَمْرَ الَّذِي يُؤَكِّدُ لَنَا قَصْدَ الْمَلِكِ هَذَا ، هُوَ عِبَارَتُهُ الْبَارِزَةُ لِلْمَنْدُوبِينَ لَدَيْهِ وَهِيَ قَوْلُهُ (وَأَنَّا لَوَاتِقُونَ بِأَنَّكُمْ لَنْ تَسْمَحَا بِحُدُوثِ شَيْءٍ مِنْ الْعُنْفِ مِنْ أَيِّ مَنْ الْجَانِبِينَ فَإِذَا وَجَدْتُمَا أَحَدًا يُحَاوِلُ إِثَارَةَ الْعُنْفِ وَالتَّشْوِيشَ تَعْطِيلًا لِلْإِيمَانِ الْمَقْدَسِ عَامِلَاهُ بِحَذَرٍ وَعَرْفَانًا) إِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ تُؤَيِّدُ مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ ، فَالْمَلِكُ حَذَّرَ تَحْذِيرًا مُشَدَّدًا مَنْدُوبِيَهُ بِحِفْظِ النَّظَامِ وَأَمَرَ كَذَلِكَ بِعَدَمِ اسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ بَلْ يُعَامَلُ حَتَّى مُثِيرِ أَعْمَالِ الْعُنْفِ بِحَذَرٍ ، ثُمَّ يَرْفَعُ أَمْرَهُ لِلْمَلِكِ ، فَالآنَ وَالْحَالَةَ هَذِهِ لَمْ يَبْقَ أَيُّ شَيْءٍ فِي أَنَّ الْجُنُودَ الَّذِينَ وُضِعُوا لَمْ يُتَدَبَّرُوا إِلَّا لِمُسَاعَدَةِ الْمَنْدُوبِينَ الْمَلِكِيِّينَ ، بِحِفْظِ النَّظَامِ وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِأَيِّ كَانَ إِلَّا بِالْحَذَرِ وَرَفَعِ أَمْرَهُ لِلْبَلَاطِ .

وَيَخْتَمُ الْمَلِكُ مَرْسُومَهُ بِعِبَارَةٍ ثَمِينَةٍ جَدًّا تَدُلُّ عَلَى فِكْرَتِهِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي اتِّخَاذِهِ تِلْكَ الْإِجْرَاءَاتِ فِي الْمَجْمَعِ وَهِيَ قَوْلُهُ (وَمَا هُوَ أَعْظَمُ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ طَاعَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ الطَّاعَةِ لِلْبَشَرِ) الْأَمْرَ الَّذِي يُؤَيِّدُ أَنَّ الْمَلِكَ قَامَ بِمَا قَامَ بِهِ طَاعَةَ اللَّهِ وَحِفْظًا لِلْإِيمَانِ .

هذه الأمور وأكثر منها تُؤيد لنا النزاهة المطلقة التي اتسم بها المجمع ولم نجد أية نقطة من نقاط العنف أو القوّة في سير جلساته ، بل لم يظهر أي دليل على ذلك بل بالعكس كانت كرامة أعضائه جميعاً مصونة إلى أبعد حُدود الصيانة وفي جميع الجلسات كُلّما كان يُذكر أيّ من الأساقفة يسبق اسمه بعبارة (مُحب المسيح) أو (التّقي) أو (الفاضل) وما إلى ذلك من النُّعوت الخاصّة بالأساقفة ، وعليه يجب أن نُسقط من الحساب التّاريخي كُلّ ما وُجّه من التّهم إلى هذا المجمع أو إلى رئيسه الأوّل ديسقوروس .

(١١)

ديسقوروس في المجمع الخلقيدوني

ونفيه إلى غنغرة

إنَّ نفي ديسقوروس هو الحدث الأهم الذي تمخَّض عنه مجمع خلقيدونية الملتئم سنة ٤٥١م ونحن ليس من أهدافنا بحث أسباب انعقاد ذلك المجمع أو دراسة أعماله أو استعراض نتائجه إلاَّ بالمدى الذي يتعلَّق بالبابا ديسقوروس الأسكندري ، ولكن إذا جُرِّدَ هذا المجمع ممَّا يتعلَّق بديسقوروس فهل يبقى هناك شيء آخر؟؟

أمَّا أهدافنا في بحثنا هذا فتتحصّر في النقطتين التَّاليتين وهما :

١ . هل نُفي ديسقوروس مُذنباً أم نُفي بريئاً ؟

٢ . هل حَدَّ النفي من عمله الرَّسولي أم زاده قُوَّة وصلابة ؟

إنَّ النفي بحد ذاته هو أضعف عقاب يُعاقب به أصحاب العقائد ، فإنَّ هؤلاء بالنسبة إلى خُصُومِهِم العقائديين قد يستحقُّون أحياناً الموت الأكيد ، وقد يكتفي خُصُومِهِم أحياناً بالنفي إذا تغلَّبت الإنسانيَّة فيهم على اللا إنسانيَّة ، وقصديهم من ذلك حصر (الجُرثومة) أو العقيدة التي يعتبرونها هدماً في جزيرة نائية خوفاً من العدوى .

كما أنَّ النفي من جهة ثانية هو أحقر عقاب يُوجَّه إلى أصحاب

الفكر السّامية ، بل هو أحقر جدّاً مِنْ أن يُرهب أولئك المجاهدين في سبيل مبدأ قد يعتدونه على الأقل صائباً ، أو ربما يؤمنون به سامياً أو خالداً ، فلا يُصبح النفي حينئذٍ فاصلاً بينهم وبين تلامذتهم ومُريديهم .

فأي شيء كان النفي بالنسبة إلى ديسقوروس؟؟

هو اليوم الثامن مِنْ تشرين الأوّل سنة ٤٥١م ونحن في زحمة المجمع الخلقيدوني الملتئم في كنيسة الشّهيدة أوفيمياً ، وفي صدر الكنيسة جلس الملك مرقيان وزوجته بلخاريا ، وإلى جانبهما الأيمن ديسقوروس رئيس أساقفة الأسكندرية ، ويوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم وقونطلوس نائب أنسطاس أسقف تسالونيكى ، وبطرس أسقف كورنثوس ، وأساقفة مصر والليرون وأساقفة فلسطين ، وعن يسارهم جلس نواب الأسقف الروماني فسقسينوس الأسقف والقسيسان لوكينسونوس ، وبونيقاتيوس ، وأناطوليوس أسقف القُسطنطينيّة ومكسيموس أسقف أنطاكية ، وتلاسيوس أسقف قيصريّة كبدوكيا وإسطينانوس أسقف أفسس ، وأساقفة المشرق وآسيا الصُغرى وتراقيا ^(١) ، وجلسَ في وسط الكنيسة تسعة عشر قاضياً مدنياً عينهم الملك للإشراف على أعمال المجمع وحفظ النظام فيه ، كما عين أربعة رؤساء أساقفة ليرأسوا الجلسات بالتناوب مع القضاة المدنيين .

قلنا أنّه ليس مِنْ أهدافنا بحث أعمال المجمع الخلقيدوني إلاّ بالنسبة إلى

(١) ميخائيل الكبير ١ = ١٨٧ وما نُسي ٦ : ٥٩٧ .

ما يتعلّق بالبابا ديسقوروس الأسكندري ، وبناء على ذلك نجد ديسقوروس أمام المشكلات التّالية في ذلك المجمع :

١ . الثّواب الرّومانيّون يتهمون ديسقوروس بعقد مجمع مسكوني .

في مُفتتح الجلسة الأولى طلب الثّواب الرّومانيّون جُلوس ديسقوروس في صف المتهمين بحجّة أنّه عقّد مجعاً مسكونيا دون تخويل من رئيس أساقفة روما^(٢) وحدثت مُحاورة صورّيّة بينهم وبين الرّؤساء والقضاة المدنيّين ممّا يُستشف منه أنّ الأمر كان مُبيّناً ومُتفقاً عليه ، لِضعف تلك المُحاورة وعدم استنادها إلى أصول تاريخيّة أو كنسيّة رسوليّة ، وإلّا لم يُقلّ لهم أحد من الرّؤساء أو القضاة المدنيّين أنّ ديسقوروس لم يعقد مجعاً مسكونيا ، ومتى كان رئيس أساقفة روما أو غيره من أساقفة العالم المسيحي له سلطان مُطلق على الكنيسة المسيحيّة عامّةً ليعقد مجامع مسكونيّة أو يُخول من يشاء بالقيام بذلك ، ومع ذلك لنعبر أنّ في تلك المناقشة الاتهام الأوّل ضد ديسقوروس رئيس أساقفة الأسكندرية .

وتحقيقاً لهذه النّقطة نعود إلى الورا سنتين فقط (٤٤٩ م) ليُخبرنا التاريخ الصّحيح من الذي عقّد مجمع أفسس الثّاني ، وباسم من صدرت الدّعوة لالتّمام ذلك المجمع .

إنّ رسائل القيصر ثيودوسيوس الثّاني الموجهة إلى أساقفة العالم المسيحي بالتعاون مع والنطينوس ملك الغرب تُوضح وتؤيد أنّ القيصر

(٢) مينحائيل ١ : ١٨٧ وما نسيي ٦ : ٥٨١ .

ثيودوسيوس بالذات كان صاحب الفكرة الأولى لعقد ذلك المجمع^(٣) وقد علمنا سابقاً أنّ ديسقوروس لم تكن له أية يد في عقد ذلك المجمع لا هو ولا غيره من أساقفة العالم ولم يكن ديسقوروس إلاّ أحد الأساقفة الذين وُجِّهت إليهم الدّعوة كما وُجِّهت الدّعوة نفسها إلى سائر أساقفة العالم ومن جُمِلتِهم الأسقف الرُّوماني بالذات فأرسل نوابه كما هو معروف ، وقد تأكّدنا سابقاً أنّ ديسقوروس كان خالي الذّهن تماماً عن رغبة القيصر هذه^(٤) ومن المؤكّد أيضاً أنّ ديسقوروس لم يُنصّب نفسه رئيساً لذلك المجمع ، بل إنّما نُصّب بُناء على مرشوم القيصر الذي أثبتناه سابقاً^(٥) ولم يكن هو الرّئيس الوحيد للمجمع بل طبقاً للمرشوم الملكي عيّن يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم رئيساً ثانياً كما عيّن تلاميوس رئيس أساقفة قيصرية كبدوكيا رئيساً ثالثاً^(٦) .

أمّا صلاحية عقد المجمع المسكونية فلم تكن لأيّ من الأساقفة مُطلقاً ، وطالما لا يجوز لأيّ أسقف هذا الحق فليس له أيضاً حق التفويض لغيره بالقيام بهذه المهمّة المسيحية العامّة ، وإلاّ لما عُقدت المجمع المسكونية السّابقة بأمر القياصرة كما هو معروف وثابت ، فإنّ مجمع نيقية

(٣) أعمال مجمع أفسس الثاني بالشّرطانية ص ٣ - ٦ وص ٢٦٧ .

(٤) في موضوع (هل لديسقوروس يد ؟ هنا) .

(٥) ميخائيل الكبير ١ = ١٧٨ وما نُسي ص ٦ .

(٦) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٦ - ٨ .

نادى بعقدِه الملك قُسطنطين الكبير سنة ٣٢٥ م^(٧) ودعا إلى عقد مجمع القُسطنطينيَّة المسكُوني الثاني سنة ٣٨١ م الملك ثيودوسيوس الأوَّل^(٨) وعَقَدَ مجمع أفسُس الأوَّل سنة ٤٣١ م بأمر القيصر ثيودوسيوس الثاني^(٩) وكذلك نادى بعقد مجمع أفسُس الثاني القيصر ثيودوسيوس الثاني نفسه سنة ٤٤٩ م كما يُؤيد المرشوم الملكي الآنفُ الذِكر الموجه إلى سائر أساقفة العالم ومنهُم ديسقوروس كما علمنا سابقاً ، وقد عُقِدَ هذا المجمع امتداداً لمجمع أفسُس الأوَّل كما أثبتنا سابقاً أيضاً .

وإذا كان البابا الرُّوماني صاحب الحق الشرعي المطلق في عقد مجمع مسكُوني لماذا لم يُنادِ بعقد مجمع لكي ينتقم من ديسقوروس حال إرفضاض المجمع الثاني في أفسُس ؟ ولماذا طلب بالحاح شديد إلى القيصر ثيودوسيوس الثاني عقد مجمع مسكُوني جديد للنَّظر في عدم قراءة (طومسه - رسالته) في مجمع أفسُس الثاني ؟ إنَّ هذا القيصر نُقِلت إليه تلك الرَّغبة ولم يرَ مُوجباً إلى ذلك فكتب أجوبة على رسائل والنطينوس ملك الغرب وأُمّه ، وزوجة ثيودوسيوس بالذَّات وأخته بلخاريا اللذين نقلوا إليه رغبة البابا الرُّوماني بعقد المجمع ممَّا قاله هذا القيصر جواباً على تلك الرِّسائل (أنَّ مجمع أفسُس الثاني صرَّف الأمور بمخافة الله المطلقة والإيمان الحق المستقيم ، ولم يتعدَّ قوانين الآباء بشيء ، وقد تأكَّدت ذلك بعد

^(٧) ميخائيل الكبير ٢ = ١٢٤ .

^(٨) ميخائيل الكبير ١ = ١٥٦ .

^(٩) ميخائيل الكبير ١ = ١٧٤ و ١ = ١٧٦ .

التَّحْقِيقُ الدَّقِيقُ ، وَحَسَنًا تَفْعَلُونَ إِذَا كُنْتُمْ لَا تُقْحِمُونَ نَفُوسَكُمْ فِي هَذَا
الْأَمْرِ ^(١٠) إِذَنْ ، لَوْ كَانَ الْبَابَا الرُّومَانِي صَاحِبَ الْحَقِّ الشَّرْعِيِّ فِي عَقْدِ
مَجْمَعِ مَسْكُونِي لِمَا تَرَدَّدَ فِي عَقْدِهِ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَحَالَمَا ارْتَقَى مَرْقِيَانُ عَرْشَ الْمَمْلَكَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ سَنَةَ ٤٥٠ م وَجَّهَ إِلَيْهِ
الْبَابَا الرُّومَانِي رِسَالَةً يُهْنِئُهُ وَزَوْجَتَهُ بَلْخَارِيَا وَيَطْلُبُ إِلَيْهِمَا عَقْدَ مَجْمَعِ
مَسْكُونِي ^(١١) فَوَافَقَ مَرْقِيَانُ عَلَى ذَلِكَ ^(١٢) وَلَكِنْ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ إِحْدَى
رِسَائِلِ رَيْسِ أَسَاقِفَةِ رُومَا إِلَى الْقَيْصَرِ مَرْقِيَانُ يَظْهَرُ أَنَّ قَدَاسَةَ الْبَابَا عَدَلَ
عَنْ رَغْبَتِهِ فِي عَقْدِ الْمَجْمَعِ فَطَلَبَ إِمَّا تَأْجِيلَ عَقْدِهِ أَوْ إِغْيَاءَ الْفِكْرَةَ
نَهَائِيًّا ^(١٣) إِلَّا أَنَّ مَرْقِيَانُ قَدْ نَفَّذَ قَرَارَهُ هَذَا فَأَرْسَلَ الدَّعْوَةَ إِلَى أَسَاقِفَةِ الْعَالَمِ
الْمَسِيحِيِّ وَمِنْهُمْ الْبَابَا الرُّومَانِي ، فَلَمْ يَرَ بَدَا مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ اعْتَذَرَ عَنْ
الْحُضُورِ لِشَيْخُوخَتِهِ وَاكْتَفَى بِإِرْسَالِ نُوَابٍ عَنْهُ ^(١٤) .

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يُتَهَمُ دِيسْقُورُوسُ بِعَقْدِ مَجْمَعِ
مَسْكُونِي ؟ وَكَيْفَ يَدَّعِي صِلَاحِيَّةَ عَقْدِ الْمَجَامِعِ الْمَسْكُونِيَّةِ أَحَدٌ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ
كَائِنًا مَنْ كَانَ ؟ وَإِذَا كَانَ لَا يَمْلِكُ حَقَّ عَقْدِ الْمَجَامِعِ فَكَيْفَ يَدَّعِي حَقَّ
تَخْوِيلِ غَيْرِهِ بِذَلِكَ ؟

^(١٠) مِيخَائِيلُ الْكَبِيرُ ١ = ١٨٣ و ٢ = ١٨٤ .

^(١١) أَعْمَالُ مَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ - التَّرْجُمَةُ الْعَرَبِيَّةُ ص ٧٢ - ٧٤ .

^(١٢) مِيخَائِيلُ الْكَبِيرُ ٢ = ١٨٤ .

^(١٣) أَعْمَالُ مَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ - التَّرْجُمَةُ الْعَرَبِيَّةُ ص ٧٢ - ٧٤ .

^(١٤) أَعْمَالُ مَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ - التَّرْجُمَةُ الْعَرَبِيَّةُ ص ٧٥ .

أساقفة العالم الذين كتب إليهم يشكو (ظلامته)^(١٨) وفي مُقدمتهم
قداسة البابا الروماني الذي وجّه رسالة إلى فلايانس يُوصيه خيراً في (مُحب
الله رئيس الدير أوطيخا)^(١٩) وكتب إليه شخصياً يُثني على (إيمانه)
وينعي على خُصومه عقيدتهم النَّسْطُورِيَّة وهذه مُقتطفات من تلك الرِّسالة.

(إلى الابن الحبيب أوطيخا القس رئيس الدير ... من لاون الأسقف
... لقد علمنا من رسالتك أن بعض ذوي الأهواء المنحرفة قد أيقظوا بدعة
نسْطُور من جديد ، وسُررنا لغيرتك ومُقاومتك إيَّاهم ، ولا نشك أبداً أن
الله الَّذي حباننا الإيمان الواحد سيُعضدك في جهادك ، أمّا نحن ، فبعد أن
بلغنا رياء المناصرين لبدعة نسْطُور نرى الواجب يدعونا إلى القضاء على
هذا الشر ، والله العلي القدير يحفظك يا ابني)^(٢٠) .

فأنت ترى أن الخدعة التي انطلت على مجمع أفسس الثاني في قضية
أوطيخا انطلت على الكثيرين من أساطين المسيحية في عصره وفي
مُقدمتهم البابا الروماني الأمر الَّذي دعاه إلى كتابة ما كتب إليه ، وحمله
على القول (أن الله الَّذي حباننا الإيمان الواحد) وهل يُمكن اتهام البابا
الروماني باعتناقه مذهب أوطيخا وهو يُوجه إليه هذه الرِّسالة يُثني على
(إيمانه) ويشجُب (إيمان) خُصومه ؟ طبعاً لا يُمكن الاعتقاد بذلك لأنَّهُ
من المؤكد أن أوطيخا نقل إلى الأسقف الروماني نفس العقيدة التي قدّمها

^(١٨) أعمال مجمع خلقيدونية - الترجمة العربية ص ١٤٢ .

^(١٩) أعمال مجمع خلقيدونية - الترجمة العربية ص ١٤٤ .

^(٢٠) فيه أيضاً ص ٣٤ .

إلى مجمع أفسس الثاني فانتزع بها الثبرئة من الحُكم الصّادر بحقه من مجمع
فلابيانس .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية أنّ إيمان ديسقوروس صريح ومعروف
وقد أعلنه بكلّ قوّة في زحمة المجمع الخلقيدوني فقال : (لديّ شهادات من
الآباء القديسين أناسيوس وغريغوريوس وكيرلس وفي مواطن كثيرة أنّه لا
يجب أن يُقال طبيعتين بعد الاتحاد ، بل يجب أن يُقال طبيعة واحدة للإله
المتجسّد ، وإني سأخرج مع الآباء فيما إذا نفي هذا الإيمان وإني راسخ
على إيمان الآباء ولن أحمّد عنه قيد شعرة ، وليست شهاداتهم لديّ شيئاً
عابراً ، بل هي مسجّلة في كتاب) (٢١) .

وعندما طُلب إليه في مجمع خلقيدونية إعلان إيمانه رسمياً أعلنه بوحدة
الطبيعة للإله المتجسّد مُشبهاً تلك الوحدة بالوحدة المتكونة بين الحديد
والنّار إذا أُهْب الحديد بالنّار ، وأعلن أنّ اللاهوت لم يُفارق النَّاسوت
لحظة واحدة ، إلّا أنّه اتحد معه بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تلاشٍ (٢٢) .

وقد شجّب ديسقوروس أوطيخا وعقيدته صراحةً وبكلّ قوّة أمام
المجمع الخلقيدوني ، حيث استطلع أعضاء المجمع رأيه في ذلك فسألوه (إذا
أنكر أوطيخا الإيمان الذي سجّله ووقع عليه بخط يده وقدمه إليك فما
حُكمك عليه ؟ أجاب على الفور) إذا أنكر أوطيخا ذلك الإيمان يكون

(٢١) تاريخ ميخائيل الكبير ٣ : ١٨٩ .

(٢٢) أعمال مجمع خلقيدونية ص ١١٧ .

قد انحرف عن إيمان الكنيسة الحق ، فلن أحكم عليه بالعزل فحسب ، بل أقول أنه مُستوجب الإحراق ، أؤكد رُسُوخي على الإيمان الأرثوذكسي الذي تمسك به الكنيسة الواحدة الجامعة الرُسُولِيَّة ، فلا أوطيخا ولا غيره يُمكنه أن يُزعزعي عن الإيمان الذي تلقيته عن آبائي (٢٣) .

وإذا أردنا الاطلاع على الإيمان الصَّحيح الذي كان يُنادي به ديسقوروس نعود إلى رسالتيه اللتين أنفذهما إلى دومنوس رئيس أساقفة أنطاكية (٢٤) هناك يظهر بَعْدَهُ عن عقيدة أوطيخا التي تشجُبها الكنيسة شجباً مُطلقاً .

وهنا أيضاً تسقط التُّهمة الثانية التي وُجِّهت إلى ديسقوروس ، وسنعلم فيما يأتي أنَّ المجمع الخلقيدوني لم يستطع طعن ديسقوروس في إيمانه .

٣ . أعضاء المجمع الخلقيدوني يتهمون ديسقوروس بالاستبداد

والعُنف في مجمع أفسُس الثاني .

إنَّ هذا الاتهام قد درسناه سابقاً وعلماً علم اليقين أنه لا ينطبق على واقع الحال ، ولكن عند قراءة أعمال مجمع أفسُس الثاني في مجمع خلقيدونية وردت اعترافات كثيرة لبعض الأساقفة الذين حضروا ذلك المجمع مع ديسقوروس ظهر أنَّها لا تتفق وما كان المجمع يُريد تقريره بشأن الإيمان ، فما كان مِنْ أولئك الأساقفة إلاَّ وأسرعُوا إلى إنكارها ومما قالوه

(٢٣) أعمال مجمع خلقيدونية ص ٩٩ .

(٢٤) أعمال مجمع أفسُس ص ٢٠١ : ٢٢٣ .

(أننا لم نقل ذلك ، مَنْ قال ذلك ؟) ويظهر أن نسخة قرارات مجمع أفسس الثاني التي كانت تُقرأ كانت النسخة الخاصة بديسقوروس ، ولكي يجدوا مطعناً جديداً في أحد أنواع استبداد ينسبونه إلى ديسقوروس بعدم التسليم بصحة تلك النسخة أنكروا ، ليبرهنوا أن ديسقوروس قد زور أيضاً أعمال مجمه ليجمع له مؤيدين من الأساقفة ، وليبرروا نفوسهم من الاعترافات التي أدلوا بها سابقاً ، وهنا شعر ديسقوروس بما يريدون . على أثر سؤال رؤساء المجمع بيد مَنْ كُتبت هذه القرارات ؟ (كل أسقف كان يكتب نسخته كاتبه ، فإذا كانت القرارات التي سجلها كاتبي لا تروق لكم هوذا بقية الأساقفة لديهم نسخ كاملة سجلها كتائبهم ، فإن يوبيناليوس أسقف أورشليم لديه نسخته ، وكذلك تلاميذ أسقف قيصرية كبدوكيا ، فاعترفوا بذلك) ، ثم نبه إلى وجود نسخ أخرى لدى بقية الأساقفة أمثال السيوس نائب أسقف كورنثوس وغيره ، وقال : لماذا تريدون الاعتماد فقط على نسختي ؟ وتوالت الأصوات تُنكر أموراً كثيرة سُجّلت عليهم في مجمع أفسس الثاني فما كان من ديسقوروس إلا أن يقول (إذا كانوا يُنكرون كل هذه الاعترافات الصريحة المعروفة فليقولوا إذن ، إننا لم نكن موجودين) (٢٥) .

وإذا تابعت السير مع هؤلاء الأساقفة في هذه المناقشات الحادة بينهم وبين البابا ديسقوروس في زحمة المجمع الخلقيدوني تعلم مدى التّجني على الحق الذي قام به أولئك الأساقفة طمعاً في إظهار ديسقوروس في مظهر

(٢٥) تاريخ ميخائيل الكبير أو ٢ : ١٩٠ .

الرَّجُل الصِّلْف العَاتِي ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَجِد لِكُلِّ سَوَالِ جَوَابَهُ (٢٦) .

واستيقظت مِنْ جَدِيدِ قَضِيَّةِ إِصْدَارِ الْحُكْمِ بِحَقِّ فَلَابِيَانَسِ أُسْقَفِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي مَجْمَعِ أَفْسُسِ الثَّانِي ، فَتَنَصَّلَ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ وَتَلَوَّنُوا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً وَأَنكَرُوا أَنَّهُمْ وَقَّعُوا عَلَى ذَلِكَ الْقَرَارِ بِحُرِيَّتِهِمُ الْكَامِلَةَ ، وَلَا أُدَلِّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَنَصُّلِ بَاسِيلْيُوسِ أُسْقَفِ سَلُوقِيَا الَّذِي لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَحَدَ الْأَسَاقِفَةِ الَّذِينَ وَقَّعُوا ذَلِكَ الْقَرَارَ ، وَعِنْدَ تَنَصُّلِهِ قَالَ لَهُ الْقُضَاةُ (إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ إِيمَانُكَ فَإِنَّهُ أَرْتُوذَكْسِي فَلِمَاذَا وَقَّعْتَ عَلَى عِزْلِ فَلَابِيَانَسِ أَنْتَ وَزُمَلَاؤُكَ ؟) قَالَ ” إِنِّي جَارِيَةٌ بِذَلِكَ مِئَةً وَعِشْرِينَ أُسْقَفًا أَوْ مِئَةً وَثَلَاثِينَ وَافَقُوا عَلَى عِزْلِهِ ” فَصَرَخَ دِيسْقُورُوسُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ ” لَقَدْ خُفْتُ أَنْ تُعْلِنَ إِيمَانُكَ لِلنَّاسِ مُرَاعَاةً لَهُمْ : فَخُنْتُ الصَّلَاحَ ، وَأَهَنْتَ الْإِيمَانَ ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا نِفَاقَ فِيهِ ؟ ” (٢٧) .

وَقَدْ أَيْدِ الْأَسَاقِفَةِ الشَّرْقِيِّينَ إِعْلَانَ بَاسِيلْيُوسِ أُسْقَفِ سَلُوقِيَا بِأَنَّهْمُ وَقَّعُوا عَلَى عِزْلِ فَلَابِيَانَسِ مُكْرَهِينَ تَحْتَ الضَّغْطِ ، وَبِتَأْثِيرِ التَّهْدِيدِ مِنْ قِبَلِ مَنْدُوبِي الْإِمْبِرَاطُورِ ، فَأَجَابَهُمُ الْأَسَاقِفَةُ الْمَصْرِيُّونَ (الْمَسِيحِيُّ لَا يَخَافُ ، الْأَرْتُوذَكْسِيُّ لَا يَرْهَبُ ، أَوْقِدُوا النَّارَ وَنَحْنُ نَعْلَمُكُمْ كَيْفَ يَمُوتُ الشُّهَدَاءُ) وَعَقَّبَ دِيسْقُورُوسُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (قَوْلِهِمْ أَنَّهُمْ وَقَّعُوا عَلَى وَرْقَةٍ بِيضَاءٍ يُنَاقِضُ وَاجِبَهُمُ الْأُسْقَفِيِّ ، إِنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِجَلَالِ الْإِيمَانِ ، وَجَلَالِ الْإِيمَانِ

(٢٦) فِيهِ أَيْضاً ٢ : ١٩١ .

(٢٧) أَعْمَالُ مَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ - التَّرْجُمَةُ الْعَرَبِيَّةُ ص ٩٩ - ١٠١ .

يفترض الشجاعة والمعرفة معاً (٢٨) .

بحثنا أسباب الحكم الصادر على فلاييانس من مجمع أفسس الثاني ،
وعلمنا أنّ سببه المباشر كان تلبّسه مع زميله أوساييوس أسقف دوريليوم
بعقيدة الأثنيّة المتطرفة ، وقد نطق الأساقفة بذلك عند إعلانهم نتيجة
الحكم النهائي بحقه (٢٩) وهذا ما اشتملت عليه الرسالة التي وجهها المجمع
إلى الملك ثيودوسيوس كنتيجة لذلك الحكم الذي أصدره ، المجمع
بالاجماع (٣٠) .

وأما أن يقف بعض الأساقفة في مجمع خلقيدونية ويتهموا ديسقوروس
بإهانة فلاييانس أو حتى بقتله فأمر لم يُزوده التاريخ بأي سند صحيح ، ولم
يسعفه العقل السليم بأي دليل واضح ، ومما جعل هذا الأمر بحكم
المستحيل اتهام أولئك الأساقفة القديس برصوم رئيس النساك للشريان
بارتكاب القتل مدّعين أنّه جنّد لهذه الغاية اللا مسيحيّة ألف راهب (٣١) .

ومما يجعل هذه التهمة بحكم الأكذوبة أو الفرية العارية من كلّ صحة ،
عدم اكتراث مجمع خلقيدونية نفسه لها ، فحالا بعد إطلاقها على
عواهنها ، نجد القضاة المدنيين لا يلتفتون إليها ولا يُعيرونها أي اهتمام

(٢٨) فيه أيضاً ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢٩) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٩٥ - ٢٩٧ وميخائيل ١ - ١٨٢ .

(٣٠) رسالة المجمع إلى الملك في أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٩٨ - ٣٠٣

وميخائيل ٢ - ٨٠ أو ١ - ١٨٣ .

(٣١) ميخائيل الكبير ٢ - ٨ و ١ - ١٩٧ .

بل يُبدّلون الموضوع حالاً وينتقلون إلى موضوع لوم المجمع على إصدار الحكم بديسقوروس ويُحاسبونه على اتخاذ ذلك القرار بغياهم وغياب الإمبراطور فتبدّل موضوع البحث ، ثمّ راحوا يبحثون في رسالة (الفاضل لاون) التي تتفق ومبادئ الإيمان المقرّر في مجمعيّ نيقية وأفسس وأخيراً (قال الرؤساء أننا قلنا كلّ شيء إلى سيّدنا المؤمن التّقي (الملك) وأننا مُنتظرون الجواب من مخافة الله السّاكنة فيه ، أمّا أنتم أيّها الأفاضل فإنكم سوف تُعطون جواباً أمام الله لإصداركم حكم العزل بحق ديسقوروس والخمسة الآخرين بغياب الرّئيس الإلهي (القيصر) وغيابنا)^(٣٢) .

فأنت ترى أنّه لا رابطة بين الاتهام بقتل فلابيانس وبين هذا التّقرير على إصدار الحكم بحق ديسقوروس وخمسة أساقفة آخرين فلا علاقة بين الموضوعين لا من قريب ولا من بعيد ، اللهم ، إلّا شعور هؤلاء بأنّ عزل فلابيانس كان عزلاً عادلاً ، ومن الغريب جداً أن يصدر الحكم أيضاً بحق اثنين من الأساقفة الذين أيّدوا الأثنيّة المتطرفة بالإضافة إلى الحكم الصّادر بحق ديسقوروس ، وهما أوسابيوس أسقف دوريليوم الذي كان محور الحركة في مجمع فلابيانس ، وباسيليوس أسقف سلوقيا^(٣٣) ومن المؤسف مرّة أخرى أن يعدل الأساقفة الذين ادّعوا أنّهم وقّعوا على ورقة بيضاء في عزل فلابيانس ، فقد عادوا أمام المجمع نفسه فنقضوا كلامهم السّابق^(٣٤) .

^(٣٢) مينخائيل الكبير ٢ و ٣ : ١٩٧ .

^(٣٣) فيه أيضاً ٣ : ١٩٧ .

^(٣٤) أعمال مجمع خلقيدونية - الترجمة العربيّة ص ١٧٠ : ١٧١ .

يسقط إذن ، هذا الاتهام أيضاً ، ويكون ديسقوروس قد أصدر بالاتفاق مع مجمع أفسس الثاني حكماً عادلاً بحق فلايانس .

٤ . موقف ديسقوروس من طومس لاون .

الأمر الرابع المهم الذي أثيرَ ضد ديسقوروس هو موقفه من (طومس) لاون وعدم قراءته في مجمع أفسس الثاني ، مع أن ديسقوروس أبدى الاحترام اللائق لرئيس أساقفة روما ورسالته هذه طبقاً لما تقتضيه واجبات الأسقفية وقد أمرَ بقراءته مرتين^(٣٥) ذاكراً اسم صاحبه بكلِّ تجلّة واحترام مُلقباً إيّاه (مُحب الله رئيس أساقفة روما)^(٣٦) .

غير أنه من المعروف أن (طومس) لاون أو رسالته لم تكن وثيقة إيمانية بالمعنى الصحيح ولم تكن مُوجّهة إلى المجمع ، بل كانت رسالة (أسقفية) أُرسِلت إلى فلايانس رئيس أساقفة القُسطنطينية ، وكانت تحمل تعابير إيمانية من وحي ثيودوريطس أسقف قورش الأمر الذي جعل لها منزلة خاصّة في المجمع^(٣٧) ومع كلِّ ذلك فإن ديسقوروس عن عدم قرائتها قال : سيُجيب على ذلك أسقفاً أُورشليم وأنطاكية ولكن يظهر أن الأساقفة عامّة في مجمع أفسس الثاني لم يُيدوا تحمّساً لهذه الرسالة ربما لأسباب إيمانية ، ولما أُعيد السؤال إلى ديسقوروس عن عدم قرائتها قال :

^(٣٥) فيه ص ٩٣ .

^(٣٦) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٨٥ .

^(٣٧) تاريخ زكريّا ص ١١٨ .

سُجِبَ على ذلك أسقفًا أورشليم وأنطاكية ، فسئلا ، فقالا : لما أمر
ديسقوروس بقراءتها قال رئيس الكتبة لا تزال لديه مراسيم ملكية تجب
قراءتها أولاً ، وبعد ذلك لم يُذكره أحد برسالة أحنينا لاون^(٣٨) .

وعرضت هذه الرسالة في المجمع الخلقيدوني فتردد الأساقفة في توقيعها
أولاً لأنها رافقت تحديداً جديداً للإيمان الأمر الذي حمل النواب الرومانيين
على القول : (إذا كنتم لا توافقون على رسالة البابا الرسولية فقولوا ذلك
صراحة لنعود ، فيعقد مجمع هناك - في روما -)^(٣٩) .

وقد حدثت مُشادةٌ كبرى في المجمع الخلقيدوني لدى الإصرار على
توقيع هذه الرسالة ، وسرت ضجةٌ بين الأساقفة عند عرضها للمجمع
وخشى الأساقفة من وضع تحديد جديد للإيمان ، فاقترح القضاة المدنيون
على الأساقفة بأن يُعيّن أسقفان من كل قطر ، ويجتمع الأساقفة المعيّنون
لبحث صيغة الإيمان الجديد ، وضجّ الأساقفة ضد هذه الفكرة وقالوا : إننا
لا نريد تحديداً جديداً للإيمان ، فإنه يوجد لدينا قانون أساسي ينص على
عدم وضع تحديد جديد ، بل نكتفي بما حدّده الآباء سابقاً . وكان
القضاة يلحّون على وضع تحديد جديد ، فعرض تحديد المجمع النيقاوي ثمّ
القُسطنطيني ، ورسائل القديس كيرلس ، وإلى جانبها رسالة لاون المعروفة
بالطُومس ، وعلى هذا الأساس ترددّ الأساقفة من جديد بقبول المجمع بين
النيقيضين ، وطلب أطيقوس أسقف نيقوبوليس مهلة بضعة أيّام ليكون

^(٣٨) أعمال مجمع خلقيدونية ص ٩٤ .

^(٣٩) مينخائيل الكبير ١ و ٢ : ١٩٨ و ١ و ٢ : ١٩٩ .

مجال لِنفكر في الأمر بهدوء وتأن ، ونبحث بما يتفق وتعاليم الآباء فنُقِرَهُ ،
للتفكير والتقرير . وقال نرجو إذا أمرتُم أن تُمهّلونا بضعة أيّام فقد قرئت ،
الآن رسالة أبينا رئيس الأساقفة لاون ، ولم نَطَلِع بِكفاية على رسالة
القديس كيرلس الموجهة إلى النّساطرة ، والتي فيها يُؤكد قبول الفُصول الاثني
عشر ففي هذه الفُرصة يُمكننا الاستعداد فوافق الأساقفة على هذا الاقتراح
ووافق القضاة أيضاً ، فحدّدوا خمسة أيّام ليجتمع خلالها الأساقفة برئاسة
أناطولوس أسقف القُسطنطينيّة ، ولكن ليس كُلّهم ، واختاروا الأساقفة
الَّذين يُريدونهم ، ومع ذلك فقد حدثت مُضاعفات كثيرة حتّى تم التوقيع
على الرّسالة .^(٤٠) وكان الكثيرون من الأساقفة ييكون لدى توقيعهم هذه
الرّسالة^(٤١) .

ونظراً للمُلابسات الكثيرة التي رافقت جلسات المجمع ، شَمَلَ الاستياء
كثيرين من الأساقفة ، وقُدّم الطّومس بترجمته اليونانيّة إلى ديسقوروس
لتوقيعه ، فما أن قرأه حتّى وجد تأثير ثيودوريطس بادياً عليه فما كان منه
إلا أن وقّع على حرمه مع صاحبه .^(٤٢) وقد ذكرت المصادر التاريخيّة
الموثوق بصحتها أنّ الأساقفة عدلوا عن قراءة الطّومس في مجمع أفسُس
الثّاني حفظاً لماء وجه صاحبه ، وخشية من النتيجة التي آل إليها الطّومس
لدى ديسقوروس ، فقد ورّد أنّ الأساقفة لم يقرأوا طومس لاون - في مجمع

^(٤٠) مينخائيل الكبير ١٩٦ - ١٩٨ .

^(٤١) تاريخ زكريّا ص ١٢٣ .

^(٤٢) أعمال مجمع خلقيدونية ص ٩٩ - ١٠١ .

أفسس - الذي قدّمه نوابه لئلا يضطروا إلى إصدار الحُكم بحق صاحبه
وتنجّم عن ذلك اضطرابات في الكنائس (٤٣) .

فأنت ترى أمام هذه الملاحظات الكثيرة ، وتجاه نظريات تُخالف ما
قرّره آباء مجعّي نيقية وأفسس ، ماذا نُريد أن يفعل رجل كديسقوروس ؟
وهل يُمكن أن يُلام ، وقد وَضَعَ في المجمع هدفاً مُتعمداً للعداء والتّنكيل مِنْ
قِبَل السُّلطتين الدِّينيّة والمدنيّة ومع ذلك لم يفقد شجاعته بل أرسلها كلمة
قويّة حيث طلب إليه التّوقيع على أعمال هذا المجمع بِحُضور القيصر مرقيان
بالذات حيث قال (ولئن قُطِعَت يدي وسال دَمُهَا على القُرطاس لِمَا
وَقَعْتُ) (٤٤) .

وفي هذه القضية الإيمانيّة لا بد أن يُنصِفهُ التّاريخ ، بل يُمجّد شجاعته
أعظم تمجيد ، لسُلوكة سُلوفاً شجاعاً ومُستقيماً حِفْظاً لكرامته وصيانة
للإيمان الذي كان أكثر وأعظم ثمناً مِنْ حياته .

٥ . المجمع يُدين ديسقوروس لعدم حُضوره .

إنّ المادّة (القانونيّة) الّتي حُكِمَ بِموجبها على ديسقوروس ، في المجمع
الخلقيديوني ، هي عدم حُضوره جلسة وإن كانت (غير قانونيّة) وقد دُعِيَ
إليها ثلاث مرّات مُتواليّة طبقاً للقانون المرعي في الكنيسة ، إلّا أنّ المتتبع
المنصّف لظُرُوف عدم حُضوره يجده مُكبلاً عمداً للحيلولة دون حُضوره ،

(٤٣) ميخائيل ص ١٨٠ .

(٤٤) ميخائيل الكبير ٣ = ١٩٥ وتاريخ زكريّا ص ١٢١ .

لإيجاد مُبرَّر (قانوني) لإصدار الحُكم بإدانتِهِ ، وإليك تفصيل ذلك : قرَّر
المجمع عُطلة أمدّها خمسة أيّام لإعطاء المجال لأعضائِهِ لدراسة بعض
المشكلات النَّاتجة حول بعض المواضيع ، على أن يستأنف المجمع
اجتماعاته بعدها ، لإنهاء أعماله ولكن بعد ثلاثة أيّام فقط عُقدت الجلسة
المقرّرة بِحُضور أقل من نصف أعضاء المجمع ^(٤٥) وغياب القضاة المدنيين ،
ولدى افتتاح تلك الجلسة (غير القانونيّة) أرسل المجتمعون يطلبون حُضور
ديسقوروس ، بينما لم نسمع أنّهم وجَّهوا مثل هذه الدَّعوة للأساقفة
المتغيّبين ولا إلى القضاة المدنيين لتتم (الصفقة) بغيابهم جميعاً .

أمّا ديسقوروس فقد أُحيطت الدَّار التي كان يسكنها بحراسة مُشدّدة،
للحيلولة دون خُرُوجه ، الأمر الذي يُؤكّد أنّ ذلك كان لعبة خبيثة دبَّرتها
السُّلطتان الدِّينيّة والحكوميّة في العاصمة لضمان عدم حُضور ديسقوروس
والإيقاع به ، وكان الذين عقدوا تلك الجلسة يتظاهرون بدعوته ، وكان
رُسلِهِم يُخاطبونه بالعبارة المألوفة في مثل هذه الحال مكرراً وخداعاً وهي
(المجمع المقدّس يدعو قداستك للحُضور) رغماً عن معرفتِهِم ماذا بيّثوا له
من أحبولة ، وتكرّرت الدَّعوة ثلاث مرّات مُتواليّة (طبقاً للقانون) وفي
كُلّ مرّة كان يُحاول الحُضور ولكنّه كان يُمنع ، وقد قال لهم في المرّات

^(٤٥) لم يتفق اثنان من المؤرخين على العدد الصّحيح لأعضاء مجمع خلقيدونية
الشّرعيين ، ومن خلال اختلاف المؤرخين هذا يُمكن الاستنتاج أنّ عددهم كان
يتراوح بين ٣٠٠ و ١٦٠٠ بينما ذكّر البعض أنّهم ١٢٠٠ ، ومُعظمهم قُسُس
وشمامسة .

الثلاث ، (إنني مُستعد لحضور المجمع المقدس ولكنهم يمنعوني)^(٤٦) ولو أرادوا حضوره حقيقةً لأزالوا تلك الموانع ، ولكنهم لم يفعلوا مما يؤكد على أن الأمر كان مُبتتاً ومُدبراً وبصورة مُتعمدة ومُرَكَّزة .

وهكذا حصل لدى المجتمعين في تلك الجلسة اللا قانونية ، سبب (قانوني ؟) فأصدروا الحُكم بعزل ديسقوروس عن منصبه كبابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ، وإليك صيغة القرار الذي نطق به الأساقفة تباعاً :

قال أسقف إيقونيون (كان يجب على الفاضل ديسقوروس ، الخبير بالقوانين ، والذي لا تغيب عنه النُظم الكنسية أن يعرف ماذا يترتب على أمر المجمع المسكوني المقدس ، حيث دُعِيَ ثلاث مرّات بواسطة الأساقفة الأتقياء للحضور والاحتجاج أمام هذا المجمع المقدس ، ولكنه لم يحضر) .

وقال ديونيسيوس أسقف إيروлина (أنه - ديسقوروس - يستحق العقاب لخروجه على الآباء القديسين ورؤساء الأساقفة الذين في العاصمة ، أن ديسقوروس ، الذي كان أسقفاً دُعِيَ ثلاث مرّات ولم يدعن ، فإنّي أنا أيضاً أوافق على عزله ، واعتباره غريباً عن كرامة الكهنوت والخدمة) .

وأيد ذلك أوقوتيكوس أسقف مدينة سطرطينيقا ، وفلاولوس أسقف مدينة إيسوس^(٤٧) .

^(٤٦) ميخائيل ٣ = ١٩٥ وذكرياً الفصح أنهم ٥٦٧ ص ١١٦ .

^(٤٧) ميخائيل الكبير ٣ : ١٩٥ .

نلاحظ أنّ (حشيات) الحكم لم تتضمن غير هذه النقطة وهي عدم الحضور ، وهذه أيضاً كانت أحبولة حاكتها أدمغة بعض الأساقفة انتقاماً من ديسقوروس ، ونيلاً من كرامة الكرسي الرسولي الأسكندري ، وبذكر هذا السبب الوحيد لإصدار الحكم على ديسقوروس تتهاوى جميع التُّهم الأخرى التي أُصِقت به ، بالإضافة إلى تساقطها واحدة بعد الأخرى تحت قدمي التاريخ الصحيح كما رأينا في بُحوثنا السابقة .

أمّا إيمان ديسقوروس ، أمّا عقيدة ديسقوروس فلم يستطع هذا المجمع المقدّس أن ينال منها منالاً فقد صرّح أناطوليوس أسقف القسطنطينية بقوله (لم يُعزل ديسقوروس بسبب الإيمان ، بل لأنّه دُعيّ ثلاث مرّات إلى المجمع ولم يحضر)^(٤٨) .

هذا ، مع العلم أنّ ديسقوروس كان جد مُتشائماً من مصير هذا المجمع ، مُنذُ قبوله أساتذة الأثينية المتطرفة في عُضويّته ، أمثال ثيودوريطس أسقف قورش ، وأوسابيوس أسقف دوريليوم ، وهيبا أسقف الرّها ، ودومنوس أسقف أنطاكية ، واعتُبر ذلك خرقاً فاضحاً لقوانين الكنيسة ، وتمنّى لو تَرَكَ المجمع وشأنه وعاد إلى قلايته ،^(٤٩) وزاد تشاؤمه عندما اتضح له أنّ تحديدات جديدة للإيمان ستصدر عنه ، وأنّ في ذلك خطراً شديداً يُهدّد العقيدة وأظهر أسفه الشديد على كلّ ذلك^(٥٠) .

^(٤٨) تاريخ زكريّا ص ١٢١ وميخائيل الكبير ١٩٥ و ١٩٩ .

^(٤٩) ميخائيل الكبير ٣ : ١٨٧ .

^(٥٠) ميخائيل الكبير ٣ : ١٨٩ .

وأخيراً ... نُفِي ديسقوروس إلى غنغرة ، مُسجلاً أروع الصفحات في تاريخ الجهاد المسيحي في سبيل العقيدة ، وواجب هذا التاريخ أن يضع ديسقوروس في مطلع الرَّعيل الأوَّل بين الَّذِينَ نَهَجُوا طريق الحياة المسيحيَّة المثلى ، وعلى هذا الأساس نُسجِّل الخواطر التَّالية :

مِنَ الخطأ أن يُقال أنَّ ديسقوروس نُفِي مظلوماً أو قاسى الضيم مقهوراً ، أو ماتَ مدحوراً ، إنَّ تلكَ مِن شيم الجبناء ، أو مِن خصال الرَّعاديِّد ، وحرى بتاريخ المسيحيَّة اليوم أن يُمجِّد ذلك الجهاد الرَّسولي المتألق ويُقرِّر نهائياً :

أنَّ ديسقوروس نشأً قديساً ، وعاشَ بطلاً مُجاهداً ، ونُفِي بريئاً ، وماتَ شهيد الإيمان .

+ + +

نُخْرِج الآنَ مِن خَلقيدونية ، مع القديس ديسقوروس ، في طريقنا إلى المنفى في جزيرة غنغرة في بفلاغونية على شاطئ آسيا الصُغرى ، ونُلاحظ الخُطوات الَّتِي ينقلها ثابتة وثيدة رجُل مارس حياة الجهاد بصلافة وثبات ، وسَلَكَ طريق التَّضحية ونُكران الذات حتَّى الممات .

تلقَّى ديسقوروس قرار النفي بنفس تفيض بالثقة والمرارة بآنٍ واحد ، الثقة بالله فلا فرق لديه بين الأسكندرية والمنفى في غنغرة ، والمرارة على شعب كامل رُهما سيبقى فريسة للذئاب بعد الرَّاعي الأمين ، ولكننا نشعرُ أنَّ ديسقوروس تمثَّلَ بالقديس أغناطيوس النُّوراني يوم أخذته يد الظلم

والطُّغْيَانُ لِيُؤدِّيَ شَهَادَتَهُ الْعُظْمَى لِرَبِّهِ الْحَبِيبِ ، بَلْ لِيَكُونَ (قَمَحُ الرَّبِّ)
فِيُطْحَنَ بَيْنَ أَشْدَاقِ الْوُحُوشِ وَيَصِيرُ خُبْزاً عَلَى مَائِدَةِ الْحَيَاةِ) حَيْثُ قَالَ :
(أَتْرَكَ كَنِيسَةَ أَنْطَاكِيَةَ لِحِرَاسَةِ الرَّاعِي الصَّالِحِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ) .

رَافِقُ (الْمَنْفِيِّ السَّعِيدِ) إِلَى دَارِ مَنْفَاهِ اثْنَانِ مِنْ أَسَاقِفَتِهِ مُرَافِقَةً طَوَّعِيَّةً
أَحَدُهُمَا صَدِيقُهُ الرُّوحِي الْأُسْقَفُ مَكَارِيُوسُ أُسْقَفُ إِدْكُو ، وَلَكِنْ الْمَنْفِيُّ
الْقَدِيسُ حَمَلَ أُسْقَفَهُ عَلَى الْعُودَةِ إِلَى مِصْرَ اسْتِعْدَاداً لِإِكْلِيلِ الشَّهَادَةِ ،
وَالِاثْنَانِ الْآخَرَانِ هُمَا رَيْسُ شَمَامِسْتِه بَطْرُسُ ، وَسَكَرْتِيرِه ثِيَابِيَسْطُوسُ الَّذِي
كُتِبَ سِيرَتُهُ ، وَكَانَ لِلْبَطْرِيَرِكِ الْمَنْفِيِّ أَعْظَمَ الْعِزَاءِ فِي غَرْبَتِهِ الْقَاسِيَةِ بِأَصْدِقَائِهِ
وَأَبْنَائِهِ هَؤُلَاءِ .

حَقّاً إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ لَا تُقَيَّدُ ، وَهِيَ تَنْطَلِقُ كَالسَّهَامِ الْقَوِيَةِ الْمَرْجُورَةِ فِي
الْهَوَاءِ فَلَا تَنْحَصِرُ فِي قُلُوبِ مَلْؤُهَا الْإِيمَانُ وَالشَّجَاعَةُ بَلْ تَتَأَلَّقُ هَدِيّاً
(لِلْجَالِسِينَ فِي الظَّلَامِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ) وَهَكَذَا كَانَ فَإِنَّ الْقَدِيسَ
دِيسْقُورُوسَ الَّذِي نَشَأَ عَلَى حَمْلِ الرِّسَالَةِ الْمَقْدَّسَةِ وَجَدَ فِي غَنْرَةِ قُلُوبِ
عَطَشَى إِلَى تِلْكَ الرِّسَالَةِ ، وَجَدَ أَقْوَاماً مِنَ الْوَثْنِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ
الَّذِينَ كَانُوا حَقّاً بِحَاجَةٍ إِلَى هِدَايَةٍ وَتَجْدِيدٍ ، فَشَرَعَ يُبَشِّرُ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ حَتَّى
اجْتَذَبَ إِلَى حَظِيرَةِ الْخَلَاصِ جَمَاهِيرَ غَفِيرَةٍ مِنَ الْوَثْنِيِّينَ وَقَوْمٍ بَتَعَالِيمِهِ
الْإِنْجِيلِيَّةِ أَوْلَيْكَ الْمَسِيحِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا بِحَاجَةٍ مَاسَّةً إِلَى تَهْدِيدٍ وَتَقْوِيمٍ وَضَمَّ
إِلَى أَحْضَانِ الْكَنِيسَةِ نَفُوساً لَا تُحْصَى مِنْ كِلَا الْجَانِبَيْنِ ، فَازْدَهَرَ الْإِيمَانُ

بالمياه الرُّوحِيَّة العذبة الَّتِي تدفقت مِنْ ذلك القلب المفعم بالإيمان ^(١) .

ويظهر أَنَّ مُعظم أوقاته قضاهَا في عمل الرَّب التَّبشيري أثناء الأعوام الَّتِي عاشها هُنَاكَ في منفاه حتَّى طارت رُوحه الطَّاهرة إلى خالقها بعد حياة ملؤها الجهاد والعمل المضني الشَّاق والدَّفَاع عن الإيمان ، وحلَّت وفاته عام ٤٥٤ م .

ليس بين أيدينا شيء كثير مِنْ قلم القديس ديستوروس ، ويظهر أَنَّ أعماله البطريركيَّة ، ورَحلاته الشَّاقة المرهقة حالت دون الكتابة والتَّأليف ، وعليه ليس لدينا مَنْ يَرَاعِه سوى أربع رسائل إيمانيَّة ولكنها ثمينه جدًّا ، الاثنتان الأوَّلِيان كتبهُمَا إلى دومنوس رئيس أساقفة أنطاكية قبل جمع أفسس الثَّاني ، والرَّسالتان الباقيتان كتبهُمَا مِنَ المنفى ، وهذه الرِّسائل الأربع تُصوِّر جلال الإيمان الَّذِي دافع عنه مُدَّة حياته كُلِّهَا .

نحن الآن معه في المنفى ، وقد يعتقد المتأمل في تلك الحياة القاسية في بيئة رديئة كغنغرة أن تنقطع الصِّلة بينه وبين عالم الأحياء . بل أن يَكُون هذا الرَّجُل الرَّسولي بعيداً جدًّا عن أبناء الكنيسة وخاصَّةً في تلك العُصُور ، إلَّا أَنَّا مرَّةً أُخرى نقول (أَنَّ كلمة الرَّب لا تُقَيَّد) ولم يستطع المنفى أن يَجِد مِنْ عمله الرَّسولي ، بل زاده رُسوخاً وصلابة في العقيدة ، ولم ينسَ الإيمان الَّذِي جاهد في سبيله فقاوم فكرة التثنية مِنْ جهة ، وفكرة الامتزاج

(١) عن ترجمته السُّريانيَّة المصنونة في خزانة دير الزعفران - ماردين . والمنقولة عن الترجمة الَّتِي كتبها تلميذه وكتابه ثيابيستوس (اللؤلؤ المنشور ص ١٨١ - طبعة حلب) .

مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ وَلِذَلِكَ كَتَبَ رِسَالَتِيهِ مِنَ الْمَنفَى امْتِدَاداً لِجِهَادِهِ السَّابِقِ .
وَإِلَيْكَ تِيكَ الرِّسَالَتَيْنِ .

رِسَالَةُ الْقَدِيسِ دِيسْقُورُوسِ كَتَبَهَا مِنَ الْمَنفَى إِلَى رُهْبَانِ هِنَاطُونِ :

إِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَنَا أَتَسَامَى بِالْإِيمَانِ ، أَنَّهُ وُلِدَ مِنَ الْآبِ إِلَهًا ، وَإِيَّاهُ أَعْرِفُ
أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ مَرْيَمِ إِنْسَانًا ، فَأَنْظَرُهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ كِإِنْسَانٍ ، وَأَنْظَرُهُ بَارِيًا
لِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ كِإِلَهِ ، أَنْظَرُهُ يَنَامُ فِي السَّفِينَةِ كِإِنْسَانٍ وَهُوَ بَعِينُهُ يَمْشِي عَلَى
الْمَاءِ كِإِلَهِ ، إِنَّهُ يَجُوعُ كِإِنْسَانٍ وَيُقَاتِلُ وَيُشْبِعُ كِإِلَهِ ، أَنْظَرُهُ يَرْجُمُهُ الْيَهُودُ
كِإِنْسَانٍ وَهُوَ بَعِينُهُ يَعْبُدُهُ الْمَلَائِكَةُ كِإِلَهِ ، هُوَ يُجَرَّبُ كِإِنْسَانٍ ، وَيَطْرُدُ
الشَّيَاطِينَ كِإِلَهِ ، هُنَاكَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ مِثْلَ هَذِهِ يُمَكِّنُ إِيْرَادَهَا ، وَلَكِنْ لِيَأْتِيَ
أَوْجِدُ مِهْدَارًا أَحْجَمَ عَنِ إِيْرَادِ آيَاتٍ كَثِيرَةٍ تَأْيِيدًا لِكُلِّ مَنْ هَذِينَ الْإِتْجَاهِينَ ،
وَسَأُورِدُهَا بِعَوْنِ اللَّهِ فِي ظَرْفِ مُلَائِمٍ آخَرَ ، وَكَذَلِكَ أَضْرِبُ كَشْحًا عَنِ
الَّذِينَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ ، أَعْتَرَفَ بِهِ وَاحِدًا ، وَهُوَ بِذَاتِهِ رَبٌّ وَمُخْلِصٌ وَلَيْسَ صَارَ
بِعَظْفِهِ إِنْسَانًا ، فَتَمَسَّكُوا بِإِيمَانِ الْآبَاءِ وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى تَعَالِيمِ الْمُنْحَرِفِينَ فَإِنَّهَا
مُفْسِدَةٌ لِلنُّفُوسِ ، وَلَا إِلَى الَّذِينَ يَقْسِمُونَ الْوَاحِدَ إِلَى اثْنَيْنِ . إِنَّ مُخْلِصَنَا
وَاحِدٌ كَمَا قُلْتُ وَلَيْسَ صَارَ بِرَحْمَتِهِ إِنْسَانًا ، أَنَّ الْآبَاءَ الْقَدِيسِينَ
الْأَرْثُودُكْسِيِّينَ ، الْأَسَاقِفَةَ وَرُؤَسَاءَ الْأَسَاقِفَةِ ، قَدْ سَفَّهُوا الْمُنْحَرِفِينَ
بِتَعَالِيمِهِمُ السَّلِيمَةَ ، وَأَعْلَنُوا أَنَّ الْقَوْلَ بِطَبِيعَتَيْنِ عَنِ الْإِلَهِ الْكَلِمَةَ الْمَتَجَسِّدَ
إِنَّمَا هُوَ ضَلَالٌ ، وَحَرَمُوا الَّذِينَ يَتَجَاسَرُونَ وَيَعْتَقِدُونَ بِذَلِكَ ، أَمَّا الَّذِينَ لَا
يَعْتَرِفُونَ بِالْإِلَهِ الْكَلِمَةَ أَنَّهُ هُوَ ابْنُ طَبِيعَةِ الْآبِ وَصَارَ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ إِنْسَانًا
وَلَمْ يَتَغَيَّرْ ، مِنْ أَجْلِ خِلَاصِنَا وَأَنَّهُ صَارَ ابْنُ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ مَعَ بَقَائِهِ كَمَا

كان ، إنَّ هؤلاء اعتبروهمُ غرباء عن رجاء المسيحيين كما اعتبروا كذلك بقية أصحاب البدع . وإيضاحاً للتعاليم السليمة الرَّاسخة على صخرة الإيمان المستقيم الثانية ، وتسفيهاً للبدع المشار إليها أُورِدَ آيات العهد الجديد الموحى بما فيه النَّفس . إنَّه الجسد المولود من العذراء بنفس ناطقة عاقلة جميع البدع شجراً مُطلقاً تأييداً للإيمان المستقيم المفعم بالسَّعادة المنحدر عن الرُّسل القديسين والآباء الملائمة الثَّقَات ذلك لكي يسمع الَّذِينَ يُنكرون ربنا فيتوبوا طبقاً لقول النَّبي (أنَّ الله يَحِثُّ الَّذِينَ ابْتَعَدُوا عنه ، ويسعفهمُ دائماً لكي يعودوا شاكرين ويذرفوا الدَّموع تائبين فيُشفوا) (وبعد إيراد الآيات الكتابية) يقول :

هذا هو الإله الحق وحياة العالم طبقاً لِمَا قال يُوحنا (واحد هو الرَّبُّ يسوع المسيح مُنذ الأزل وإلى دهر الدَّاهرين - آمين) (٢) .

رسالة القديس ديسقوروس كَتَبَهَا إلى ساقوندينا من المنفى :

سأضرب صفحاً عن أمور كثيرة ضرورية فأعلن ما يأتي :

(لا يقولنَّ أحد أنَّ الجسد المقدس الذي أخذه ربنا من العذراء هو غريب عن جسدنا ، كما هو معروف ، ولما كان الأمر كذلك ، فإنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ أنَّ المسيح لم يأخذ جسدنا ، إنَّما يُكذِّبون بولس القائل (ليس من الملائكة أُخِذَ ، بل من نسل إبراهيم) فلم تكن مريم غريبة عنه على حد قول الكتاب (كان يجب أن يتشبه لإخوته في كلِّ شيء) وقوله (في كلِّ

(٢) عن أعمال مجمع أفسس الثاني - النص السُّرياني ص ٢٥٧ - ٢٥٩ .

شيء) يعني به أنه لم يأخذ بعض كيانا ، بل أخذه كله بكل ما فيه ،
وختلاصة القول : أن كل كيانا أخذه ربنا بما فيه النفس . إنه الجسد المولود
من العذراء بنفس ناطقة عاقلة بدون تأثير رجل ، فإن لم تكن هذه الأمور
كذلك ، على حد تعبير المنحرفين ، كيف سمي أحنانا ؟ فإذا اتخذ جسداً
غريباً عن جسدنا كيف يكون حقيقياً ما قاله لأبيه (سأعرف اسمك
لإخوتي) إذن ، فلنرفض الذين يقولون بذلك ، فقد صار مثلنا من أجلنا ،
وظهر لنا ليس خيالاً أو ظناً ، كما تدعي بدعة أصحاب ماني ، بل ولد
حقيقة من مريم والدة الإله ، لكي يُحيينا رحمةً منه ، ويُصلح الإناء الذي
تحطمَ فينا ، ويُجدِّده ، فإنه عمَّانوئيل الذي ظهر بائساً من أجلنا على حد
قول بولس : (لكي ننال الغنى بتواضعه ، صار مثلنا بإرادته لكي نكون
مثله برحمته ، صار إنساناً ولم يفقد كونه ابن الله ، لكي نكون نحن بنعمته
أبناء الله ، هذا ما اعتقده وأؤمن به وإن كان أحد لا يؤمن بذلك فإنه
غريب لإيمان الرُّسل) (٣) .

إنَّ هدف الرِّسالتين واحد ، وإن اختلف الموضوع وتباين التعبير ، وهو
تأييد الإيمان الذي أعلنه ديسقوروس في المجمعين الأفسسي الثاني
والخلقيدوني ، الإيمان الذي من أجله تعرَّض لكلِّ محنة ، وأخيراً مات باذلاً
حياته في سبيله .

في الرِّسالة الأولى ، إلى الرُّهبان ، يُوضح عقيدة الكنيسة في تجسُّد الله
الكلمة ، ويُشير إلى الأعمال الإلهية والإنسانية الصَّادرة بآنٍ واحد عن الإله

(٣) عن تاريخ زكريَّا الفصيح ص ١٢١ - ١٢٢ .

المتجسّد ، الواحد ، بصورة عامّة ، ومّا يُظهر رُوحه الرّسوليّة السمحاء أنّه لا يذكر الذين تجنّوا عليه لا من قريب ولا من بعيد ، بل يحرص على أداء رسالته الإيمانيّة وفقاً لِمَا تتطلبه رُوحه الرّسوليّة .

ويصر البابا ديسقوروس على إعلان الوحدة في الرّب يسوع المسيح ، فيقول مثلاً (نعترف به واحداً ، وهو بذاته مُخلّص ورب وإله ، وقد صَارَ إنساناً) ثمّ يُهيب بالرّهبان ألاّ يلتفتوا إلى تعاليم المنحرفين التي تُفسد النفوس ، ولا إلى الذين يقسمون الواحد إلى اثنين ، إنّ مُخلّصنا واحد ، وإن صَارَ برحمته إنساناً .

ويشير إلى مُناهضته الصّريحة لفكرة الأثنيّة ، فيقول : (أمّا الذين لا يعترفون بأنّ الكلمة الإله أنّه وهو ابن طبيعة الآب وصارَ في آخر الأيام إنساناً ولم يتغيّر ، من أجل خلاصنا ، وأنّه صَارَ ابن طبيعة الإنسان مع بقائه كما كان ، إنّ هؤلاء ، اعتبروهم ” أي اعتبرهم الآباء “ غرباء عن رجاء المسيحيين) .

إنّ رسالة القديس ديسقوروس هذه تُدكّرنا برسالته إلى دومنوس رئيس أساقفة أنطاكية ، حيث شرح له ما حل بالرّهبان في مناسك مصر من جرّاء التّعاليم الغربية الوافدة إليهم من الشرق ، وديسقوروس مُهتم بحياة الرّهبان الرّوحيّة والإيمانيّة ، ويسوؤه أن يُعلّق في تلك الحياة الهادئة ما يُكدر صفوها ، ويظهر أنّ تلك الأفكار الوافدة لم تكن قد فارقت بعض أولئك النّسك القديسين ، فأراد إعطاءهم تعاليمه الثّمينة من منفاه ، الأمر الذي يُظهر تعلّقه برعيته وهو في منفاه .

وأما الرّسالة الثّانية ، فإنّها تحمل بين سُطورِها القليلة ، معاني سامية واسعة ، وهي نقض واضح لتعاليم أوطيخا ، والمعروف أنّ أوطيخا كان يقول - تبعاً لماني وأصحابه - بخيالتيّ الجسد الذي اتخذهُ الرّب من العذراء ، ثارة ، وطوراً كان يقول بتلاشي هذا الجسد في الطّبيعة الإلهيّة وتلاشي هذه فيه ، وذلك بفعل الامتزاج والاختلاط الذي كان يُنادي به ، فإنّ ديسقوروس هنا ، يُوضح عقيدة الكنيسة الجامعة بحقيقة التجسّد ، ويشرح أنّ الجسد الذي اتخذهُ الرّب من العذراء إنّما هو جسدنا بعينه ، ويظهر أنّ الجهة التي كتب إليها هذه الرّسالة كانت موبوءة بآراء أوطيخا ، فأراد استئصال ذلك من أفكار سُكّانها .

في هذه الرّسالة بساطة وسموّ بآنٍ واحد ، بساطة في التّعبير والمقارنة بين ما يعتقدُه الكاتب وآيات الله البيّنات ، وسموّ في تصيّد هذه المقابلة ، والخروج إلى النّتيجة الكبرى التي يُقرّها الوحي الإلهي ، وهي أنّ الله تجسّد (فأخذ ما لنا ما عدا الخطيئة) يُريد اثبات هذه الحقيقة لأناس ظنّوها جِلماً من الأحلام ، وخيالاً ظهر ، ومكث في الأرض ثلاثاً وثلاثين سنة ثمّ غاب عن الوجود . فتكون هذه الرّسالة وما إليها من التّعاليم النّاضجة إذن ، صرخة في وجوه أولئك الذين ظنّوا الجسد خيالاً ، وبالتالي أنّ ذلك الجسد الذي (رآته عُيوننا وسمعته أذاننا ، ولمسته أيدينا) إنّما كان غريباً عن كيّاننا ، ووجوداً لا يمتُّ بصلة إلى وجودنا ، ويُريد الكاتب إثبات عكس ذلك ، يُريد طبقاً لتعليم الوحي الإلهي أن يُؤيد أنّ ذلك الجسد ، إنّما كان لحمًا من لحمنا وعظماً من عظامنا ، وكياناً حقاً من كيّاننا ، وعلى هذا

الأساس يُصرِّح بقوله (لا يُقولنَّ أحدٌ أنَّ الجسدَ الَّذي أخذهُ ربنا مِن العذراء هو غريب عن جسدنا) لأنَّ الَّذين يُقولون ذلك (إمَّا يُكذِّبون بولس القائل - ليس مِن الملائكة أُخذَ بل مِن نسل إبراهيم) .

إنَّ بعض المتزمتين في تاريخ العقيدة المسيحيَّة هالهُم أن يسمَعوا أنَّ عظمة الله وجلاله أو أنَّ كيان الله الأزلي يُمكن أن ينزل إلى هذا المستوى فيأخذ كياننا بالذات ، هذا الكيان الفاني الَّذي لم يُوجد إلا للإنسان ، والله تعالى بأزليته وسرمديته إمَّا هو أسمى مِن أن يهبط إلى هذا الدرك .

هذا جد صحيح إذاً لو فهمنا الله عظمة وجلالاً بدون محبَّة ، أو أزليته وسرمديته بدون حنان ، ولكن إذا جُرِّدَ الله مِن المحبَّة والحنان فماذا يبقى ؟ إنَّ الوحي يقول (الله محبَّة) ومعنى ذلك إذا لم يكن الله محبَّة فلا يكون شيئاً ، وبالتالي لا يكون موجوداً ، فطبّقاً لقول الوحي (الله محبَّة) يتغيَّر الموقف برؤيته ، فيتحوَّل الضَّعف البشري إلى قوَّة ، وينقلب هذا الفاني إلى مخلُود ، وتمتد يد محبَّة الله إلى هذا الكائن البائس ، ويشمله ذلك الحنان الأزلي فيصوغ منه كائناً محبوباً حرياً بالعطف والمحبَّة ، جديراً بالرحمة والحنان ، ومن هنا يبرز عُنصرُ سام ، في هذا الكائن الضَّعيف يكونُ مناسباً بل لائقاً للاتحاد مع الله ، فالمحبَّة ، عملت هنا عملها الحاسم وغيَّرت مفاهيم العظمة والجلال المرادين ، وأظهرت تلك العظمة وذاك الجلال عظمة المحبَّة وجلالها ، فوجدت هنا النعمة وهي الكينونة المطلقة لعظمة المحبَّة الإلهيَّة ، وقد قال الوحي (بالنعمة أنتم مُخلَّصون) واستناداً إلى كلِّ ذلك أمكن اتحاد الله بالإنسان ، وبالتالي أمكن التَّجسُّد واتخاذ الإله

الجسد الإنساني بعينه ، وصورته جسداً من جسدنا وكياناً من كياننا مع استمراره كياناً إلهياً وكائناً أزلياً ، وهذا ما يُريد شرحه كاتب هذه الرسالة بقوله استناداً إلى الوحي أيضاً حيث قال : (كان يجب أن يتشبه لإخوته في كل شيء) وقوله - في كل شيء - إنه لم يأخذ بعض كياننا بل أخذهُ كُله بكل ما فيه) وهكذا يمضي في إيضاح الإيمان الصحيح بتجسّد الإله الكلمة طبقاً لقول الإنجيلي يُوحنا : (الكلمة صار جسداً) ولذلك يردف قوله : (فقد صار مثلنا من أجلنا وظهر لنا ليس خيلاً ولا ظناً) وهكذا يمضي إلى نهاية الرسالة مُوضحاً الإيمان الصحيح بالتّجسّد الإلهي مُؤيداً العقيدة الصحيحة للكنيسة الجامعة المستمدّة من الوحي الإلهي .

كُلُّ هذا يحملنا على الاعتقاد أنّ النفي لم يستطع الحد من النشاط الرّسولي الذي كان يمتاز به رجل الله هذا ، بل زاده قوّة وصلابة ، وأنت تراه في الرّسالتين يُناهض الرّأيين المتناقضين ، اللّذين كانا السبب المباشر لآلام قاستها المسيحيّة وما زالت تُقاسيها إلى يومنا هذا ، والنتيجة التي يجب التّصريح بها هي أنّ ديسقوروس ، والحالة هذه ، واحد من كبار رواد التّعالم الرّسوليّة الحيّة ، وفي الرّعيّل الأوّل من المجاهدين الأبطال في سبيل تلك التّعالم .

الغيرة في سبيل الإيمان

(المراسلة الإيمانية بين ديسقوروس ودومنوس الأنطاكي)

على أثر إرفضاض مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م وشجبت فكرة التثنية المتطرفة لم ينم أصحاب هذه الفكرة على الضيم ، بل قرروا بكل ما أوتوا من قوة وذكاء ودهاء ، الانتقام ، لا من الشخصيات الرسولية في الكنيسة فحسب ، بل من الكنيسة برمتها ، فأرسلوا الرسل والدعاة إلى كل مكان وشرعوا ينشرون الشكوك في القلوب الوديعة ، في معظم المراكز الرئيسية في الكنيسة ، وخاصة في الشرق ، وقد أوضحت هذه الحقيقة في المرسوم الملكي الصادر عن القيصرين ثيودوسيوس الثاني ، قيصر بيزنطية ووالنطينوس قيصر الغرب ، في ضم القديس برصوم رئيس الأساقفة الشريان إلى مجمع أفسس الثاني ، حيث ورد في مطلع هذا المرسوم قوله : (بلغنا أن كثيرين من الأفاضل رؤساء أديرة الشرق ، إلى جانب الشعب الأرثوذكسي يُقاسون الأهوال في كثير من مدن الشرق وقراه بتأثير الأساقفة المصابين بداء نسطور ، وهم يُجاهدون في سبيل الإيمان)^(١) ومثل ذلك كانت الحال في الرها باستمرار مطرانها هيبا أحد الأساطين الكبار لتلك الفكرة ، وكذلك في أنطاكية لانحراف دومنوس رئيس أساقفتها في هذا التيار ،

(١) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٧٠ .

وعليه كان من الأکید أن یندفع البابا دیسقوروس ، وهو الرکن الوحید للأرثوذكسیة فی عصره ، إلى میدان الجهاد بغيره رسولیة للدفاع عن الحق ، فیحمل ما بوسعه إلى إقالة العثرات وتشدید العزائم ، وإعادة المنحرفین إلى الصواب ، وكان لم یزل یتوسم الخیر فی دومنوس رئیس أساقفة أنطاكية ، وبعبره قادراً على تقویم الانحراف الّذي تفسّی فی كنیسته بالذّات بتأثیر ثیودوریطس أسقف قورش الّذي أطلق دومنوس یده فی نشر المبادئ الأثنینیة فی قلب أنطاكية بالذّات ناهیک عن الدّعاة الآخرین فی مختلف أسقفیات أنطاكية ، درءاً لتلك الأخطار المحدقة بالإیمان فی هذه الهوفرکیة الواسعة الأطراف ، وأراد دیسقوروس مُحاسبة المسؤول الأوّل فی إطلاق العنان لتلك الحركة الواسعة النطاق ، وهو رئیس الأساقفة دومنوس ، مع علمه الأكید أنّ الدّاء بلغ إلى قلب دومنوس بالذّات ومع ذلك وجّه إلیه الرّسالة التّالية :

(صورة الرّسالة الّتي كَتَبَهَا القديس دیسقوروس رئیس أساقفة الأسكندرية العُظمى) .

إلى مُحب الله دومنوس أسقف أنطاكية

إنّه لیدهشني كتاب الله حیث ینادي - وإن استطعتم فاتبِعوا السّلام مع جمیع النّاس - وإني حقّاً لأتعب ، یا مُحب الله ، كيف قرّرت أن أكون فی سلام مع الّذين یكرهون السّلام ، وقد تعلّمت من المرتل الکریم ، فرسَخ فی ضمیري كلّ ذلك رُسوخاً ، دائماً ، فو إن كان النّاس یتجنّون عليّ فإني أربأ بنفسي وأترفع أن أبادهم هذا التّجني ، حتّى وإن حاولوا

ضربي ونفذوا ذلك بالفعل ، فذلك لا يغيظني ، وأما أن أهدد بالإساءة
فذلك ليس من شيمتي . إنَّ تلك الأمور هيّنة ، ويمكن تحمّلها ، ولا
تستحق الاهتمام ، إنَّ كلَّ همّي هو أن أعلن : أنَّ المسيح هو الوحيد وابن
الله البكر ، وبه وفي يده كلُّ شيء ، تأنس من أجلنا ، ولم يطرأ عليه ظل
من التغيّر مُطلقاً .

إنَّ الذين خدمت المعرفة في ضمائرهم فارتقوا المناصب العليا بإيمان
عائر ، يتشدقون بالكفر والضلال ، ويهبطون بسر أعمال الرب العميق
الغور إلى حيث لا يليق ، فأقف مصعوقاً وأقول لا .. لا يمكنني التساهل
معهم فأننا لهم بالمرصاد مُسترشداً بالحكيم القائل (كلُّ شيء جميل في
وقته ، للحرب وقت ، وللسلم وقت ، للعمل وقت ، وللغيرة للرب وقت)
إنَّ بولس شكى سلاح الله وهو يهيب بنا إلى الجهاد ، فما أقصر النهار
وما أحقره ، إنَّه لا يكفي للكتابة ، ولإعلان ما علّم به رجال الله ، إنَّهم
يُنادوننا إلى النهوض بقوة ، والإعراض بعزم عن الذين يُغضون الرب . إنَّ
الوقت مُناسب الآن لكشف النقاب عن الأسباب التي حملتني على تدبيح
هذه الرسالة ، يقولون - وأنا واثق من صدقهم - إنَّ جماهير غفيرة من
الشعب الغيور المؤمن بالمسيح ، عرضة لزوابع الشكوك العاصفة ، ومما يزيد
في الأسى ، أنَّ الذين كان عليهم تصريف الأمور بحكمة وتهدئة العواصف
الثائرة ، هم راحوا يهيّجون لجح الشكوك ، وعواصف الشر ، لأنَّهم
ينقعون سُوم نسطور ولا يتورعون فينفثونها في جسم الكنيسة ، فبعد أن
تضامنوا مع الآباء في الجمع المسكوني المقدس في نيقية ، وانضموا إلى مثيله

في الملتئم في أفسس ، وبعد أن حرّموا الوحش الكاسر خصم المسيح ،
وتعاليمه المضلّة ، أقول أنّه من المؤلم حقاً أن ينقلبوا بهذه السهولة إلى
سهام مسمومة ... أنّهم هدموا ذلك الجدار الخادع فعادوا إلى رفع عمّده
من جديد ، ليس لهم رادع من ضمير ليشوبوا إلى رُشدِهِمْ ويقولوا ، إذا عدنا
نبي ما هدمناه فإننا نتحدّى النّاموس ، أنّهم لا يفكرون بواجبات
الكهنوت ولا يُقيمون وزناً للتّعاليم التي تلقّوها ، ولا يفكرون أنّ ذلك
يستوجب الهزء والازدراء . إذا كان في كنيسة أنطاكية العظمى ، حيث
تكتظ الجماهير الغفيرة ، يقف بعض هؤلاء يُنادون بالضلال وينفثون
السُّموم فأية يد يُمكنها شفاء تلك المسامع ؟ أو لا يعتبر ذلك مُدعاة
للحُزن والأسى ؟ إذ حيث يطلب النّاس الترياق والعزاء يُقدّم لهم السُّم
والخيبة ؟ إنّي واثق بأنك تستطيع منح البرء لتلك النُّفوس - يا تقي الله -
فتقدّم لها ترياق الشفاء بالقول والعمل .

العجيب في الأمر أن يتزاحم جمهور المؤمنين بقرّبك ، - يا ذا الكمال
الرُّوحي - فيقف الماكرون لإلقاء التّعاليم المضلّة في تلك المسامع ،
وعهدي بأسقف قورش الحكيم ، أن يلوذ بالحكمة ، ولا غرو فإنّه في
جوارك . أواه ... إنّهُ يُمزق عمّانوييل بقوله : إنّ إنساناً بسيطاً تجسّد ، أو
إنّ الذي تجسّد إنّما هو مجرد إنسان ، غير مُدرك أنّ ثوما سجد له كإله
حق . إنّهُ يُنفث هذه التّعاليم ليس من شفّته بل من أعماق قلبه . قل له ،
أنّه مكتوب ، جاء الزّمان لأعلنها مدويّة - فأقول : إلى أين بلغت ؟ إنّك
سعت في درب الضلال ، وانحرفت عن الطّريق السوي ، أحجم عن

مقاومة الكتب المقدسة ، وضع على فمك مغلقاً ولجاماً ، أحجل من صوت الآب الهادر من السماء (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) . لا تمزق إلى اثنين ربنا يسوع المسيح الواحد ، ولئن صار جسداً من امرأة ، إلا أنه مع أحده الجسد ذا النفس العاقلة استمر إلهاً ، مثلما كان ، وسمع الفيلسوف بولس يسألك : هل انقسم المسيح ؟ فماذا تجيب ؟ إذا كنت لا تعتقد إلا بابنين ومسيحين وربين ، سيصدمك النبي ويُخرسك بقوله : هذا هو إلهنا ولا نطلب سواه ، وجد طريق المعرفة كلها فأعطاهم ليعقوب عبده وإسرائيل الذي أحبه ، وبعد ذلك ظهر على الأرض ورافق البشر ، وعلى ذلك يُنادي بالعدراء القديسة ، والدة الإله ، وما أروع ما كتب الإنجيلي : (والكلمة صار جسداً وحلّ فينا) هذا الذي يعبده الكواريب ، ويخشع له السواريف ، هو بذاته صار مثلنا ، من أجلنا ، وركب جحشاً ابن آتان ، وقاسى صفة الخدّام في سبيل الحق ليكمل البرّ كله ، هذا ما علّمنا إيّاه الذين كانوا منذ البدء مُعانين وخذّاماً للكلمة ، وهذه هي تعاليم المجمعين القدم والجديد ، هذه أيضاً أيّدها الطيّب الذكر يُوحنا الذي كان أسقفاً قبلك يا تقي الله .

أعود الآن إليك ، يا مُحب المسيح ، يا كاهن أنطاكية ، يا أخي ، تأمل أنّ (يُوحنا) لم يأل جهداً من دعم وحدة الكنيسة عندنا وعندكم ، الوحدة التي لا يقوى أولئك على تمزيقها ، لقد تجرّدوا ضدها ، وأوشكوا أن يفصّموا عهد السّلام ، وهم لا يشعرون . ما أجد عهد السّلام ، هم يُنشئون كتابات مُضلّلة زاعمين أنّها تنقّض ما كتبه ذلك المغبوط أبونا

الأُسقف كيرلس الشَّهير ، إلاَّ أنَّ كتاباتهم كانت فاشلة ، ولا تتفق وآيات الله المقدَّسة . إنَّ أبانا الجليل كتب بوضوح وعمق أعظم من أي كاتب آخر ، وهذا واضح أمام الدُّنيا ، فلم يكن فارساً حكيماً في الفصاحة فحسب ، وإن كان قد أضفى على كتابته حُلَّة من البيان قشبية ، بل بالإضافة إلى ذلك فسَّر سرَّ تجسُّد ابن الله تفسيراً صائباً بقوَّة الوحي الَّذي هبط عليه من عل فأغناه ، كُلَّ شيء في كتاباته رائع وجميل سواء كان كتاباً أم رسالة أم تفسيراً أم خطاباً ، أم فُصُولاً أم حُرُوماً ، أجل ، كان رائعاً ومشرقاً ومطابقاً لآيات الله البيِّنات ، وحرى أن يُقال في ذلك (أين الحكيم ليفهم ، وأين الفهيم ليعرف أنَّ طريق الرَّب قويمه والصَّديِّقون يسلكونها ، أمَّا الأشرار فإنَّهم يُخورون فيها) .

إنَّ القلق يتضاعف ويصيب المسيحيين في الصميم ، وهناك أناس يشعلون أواره ، ويضرمونه طبقاً لأهوائهم ، إنَّهم يخذون قوَّة الأرثوذكسيين ، ويؤججون بهم في بحران من العذاب ، يُجبرونهم على السُّكوت ثمَّ الارتداد ، هكذا يُريدون لهم ، تلاشت قوَّة الجهاد ، وتشوَّش نظام الحياة ، وتوقَّف عن السعي أولئك الَّذين قال لهم الرَّب (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم) إنَّهم يُرسلون الكلام الباطل ، والرَّب يصرخ بقائله (انخرس .. اصمت) وقد قال الكتاب (إذا كانت فيك حكمة للجواب ، فجاوب أخاك ، وإلاَّ ضع يدك على فمك) إنَّ ذلك يصدنا عن العمل بالإضافة إلى ما نُشر في مجتمعا المصري من سقط الكلام .

رأيت من الواجب أن أكتب لك - يا صفيِّ الله - بدالة وحب

يلتقيان بالأخوة ، وأحيطك علماً بكلّ شيء وخاصةً ما يُعزّز كرامة
المسيحية ، ويرفع من شأن مراعيث المسيح الجليلة ، إنّ ملكنا مُحب
المسيح ، ثيودوسيوس ، وهو ينبوع التقوى المتدفق ، قد قرّر إصدار أوامره
التي ستُنعش الدنيا وتملؤها بهجة وسعادة ، وقد قال كلمته الواضحة في
مؤلفات (فورفوريوس) ونسطور والذين يُشايعونها بالعقيدة والتفكير ،
ويُضادون ما قرّره المجمعان العظيمان الوحيدان ، مجمع نيقية ومجمع أفسس ،
وأصدر أيضاً حكماً عادلاً في إيريناوس المجدّف ذي الزوجتين ، المحارب
لفكرة نسطور الهدامة ، وأبعد ذلك الرّجل الجرد من الله عن بيعة صور ،
إلى المنفى ، وحرّرها من (العدو) الذي كان يُهدّد الرعيّة ، وأمر أن يُعاد
رونق ذلك المرعيث بكاهن يُمكنه تقويم كلمة الحق ومنح الشفاء للشعب ،
الشعب الذي افترسه الوحش وسقط تحت أيدي المجرمين ، وخضع لإرادة
الرّاعي المزيف الشريرة ، أنّ كثيرين منهم سقطوا في الشكوك وإلى الآن لا
نعرف عنهم شيئاً ، أنّهم ذكّروك - يا صاحب الكمال - بدون اطراء
وهم يخشون أن يجتذبهم الإهمال إلى طريق الذئب الوعرة ، الطريق التي لا
يختارها الله ولا نرضاها نحن ، وأخشى أن تنبت هناك أدغال السُموم
وترتفع وتدفع بالكثيرين إلى شر المصير .

أمّا أنا فلا أعتقدك - يا تقيّ الله - مجرداً من الحكمة ، عهدي بك
تسمع نداء الأخوة وتقبل ضراعتهم ، فتنهض لتسد فم الناطق بالشر على
الله . أطلب إليك أن تعظ الأرثوذكسين ، وتأذن لهم أن يلقوا الفضة
للسيارفة ، وتلتفت إلى بيعة صور وتمنحها أسقفاً بوضع يدك ،

الأسقف الذي اختارته ، تمنحها إيَّاه ، بالسُّلطان الممنوح لك مِن الله ،
فإننا سنشترك بجِهَادك - يا مُحِبَّ الله - إذا كان صادقاً ، حقاً إذا تمجَّدَ
عُضو ، فكلُّ الأعضاء مُمجَّدة ، والعكس بالعكس ، أطلب إليك أن
تُرَاعِي المحبَّة والصدَاقَة المتبادلة بيننا بالمسيح ، وسينقل إليك هذه الرِّسالة
حبيبانا إشعيا وقُورا القسيسان ، وستبتهج عندما سيُقابِلانك وتبادر إلى
تلبية هذه الرغبة ، ولا شك أنَّك ستذكرنا وتُصَلِّي مِن أجلنا ^(٢) .

جواب دومنوس إلى ديسقوروس

(إلى القديس الجليل ديسقوروس أسقف مدينة الأسكندرية
العظمى) .

سيدي القديس مُحِبَّ الله ، أحنينا ورفيقنا في الخدمة ديسقوروس .

مِنَ دومنوس

يا مُحِبَّ الله ، قرأت رسالة قداسيتكم الحاوية آيات حُبِّكم نحونا ،
وتُظهِر نُبْلَكُمْ الرُّوحِي ، يا تقيَّ الله ، وقد علمتُم يقيناً ، يا صفيَّ الله ،
اتفاق أساقفة المشرق الأتقياء في المبادئ اللاهوتية التي قرَّرها الآباء
القديسون المجتمعون يوماً في نيقية ، فإنَّ مرَّات كثيرة وجَّهت طومسات
(رسائل) غزيرة مِن قِبَل الكثيرين ، وأرسلت إليكم في عهد الطَّيِّب الذِّكْر
الأسقف كيرلس الجليل ، وليس أقل قيمة مِن ذلك ما كتبناه الآن بيد الورع

^(٢) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٠١ - ٢١٠ .

القس أوسيب ، وأمّا الذين يقولون بغير الحق فقد حتمنا أن يتعلّموا من قداستكم ، الخضوع للإيمان الذي قرّره الآباء القديسون الأطهار في نيقية والسائد في المسكونة كلّها ، والمؤيد في مجمع الأساقفة القديسين المجتمعين في أفسس ، وقد لاحظوا باحترام وتقدير ما كتبه السعيد الذكر يوحنا الذي ساس الكنيسة قبلنا ، الأمور التي أوضح فيها العقيدة المطابقة للتقوى (العقيدة الصحيحة) وهكذا رسالة الكلي الطوبى أثناسيوس التي كتبها إلى المغبوط أفيقطوس ، وقد بذلنا جهدنا في إقرار تلك العقائد في عقول الناس ، ولم نكن نفع ذلك لولا تمسكنا الراسخ بها تمسكنا بالحقيقة المطلقة ، وقد عملنا على نشرها وتأييدها ، أمّا الذين لا يثبتون في السلام ويحبّون المشاغبات ، ليس فقط ...

(هنا الرسالة مخرومة ولم يبقَ منها غير السطور القليلة التالية) :

في كلّ ما لله ، تخرس الألسنة الوقحة ، وتطلب إلى الذين خدعوا بتلك السفساف بالأّ يلتفتوا إلى مكذوب الكلام ، أمّا كنيسة الله في صور ، فقد تكلمنا بشأنها بما تيسر مع الفاضلين الورعين إشعيا وقورا القسيسين اللذين ابتهجنا بلقياهما المحبوبة وحكمتهما البالغة ، كما شاركنا بذلك إكليروسنا ، إننا معتزون بانتخابكم للرئاسة أيها القديس ، وسينقل إليكم ذلك رسولاكم ، نلتمس من قداستكم أن تصلّوا من أجلنا ، وأن تمتنعونا مع من معكم من الأخوة بكتاباتكم ، أنا ومن معي نحييكم^(٣) .

(٣) عن أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢١٠ - ٢١٥ .

رسالة القديس ديسقوروس الثانية إلى دومنوس

أسقف أنطاكية جواباً على رسالته

إذا تأزمت المشكلات وتفاقت المآسي مُثيرة في النفس الحزن العميق، يستسلم المرء للصمت المطلق والذُّهول المطبق ، نتيجة غفوة فكريّة لا تعرف كيف تستيقظ ، أمّا فلنبعدن ذلك عن نفوسنا لئلاً يتخذ ذريعة الشرّ ضدنا .

إنّي أرغب دائماً أن أكتب في المحبّة ، والسّلام ، وأتلقّى ما يُشبه ذلك ، وهذه أمنيّتي للكنائس المتوجة بوحدة كاملة المتمتعة بإيمان واحد ، ولعلني أطلب ما هو صعب المنال ، أقول ذلك لأنّ الأمور تتطلب السلوك في طريق شاق طويل ، وعر المسالك كثير المزالق ، ولعلنا لا يمكننا السلوك بغير ذلك الطّريق حتّى في الأمور الهيّنة السائغة ، فالخطر مُحْدق حتّى في الطّريق السوي فكيف ننجو من العثار إذا كان سكوتنا في غير محلّه ؟ ونحن بحاجة إلى القول مع الحكيم بولس (مَنْ يَفْصَلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ أَشَدَّةَ أَمْ ضَيْقٍ أَمْ جُوعٍ أَمْ عُرْيٍ أَمْ خَطَرٍ أَمْ اضْطِهَادٍ أَمْ سَيْفٍ كَمَا كَتَبَ . لَكِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ كُلَّهُ - رومية ٨ : ٣٥ و ٣٦) ولما كُنْتُ مُؤْمِناً بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مُعْتَنِقاً هَذَا التَّعْلِيمِ جِئْتُ أَكْتُبُ إِلَيْكَ ، يَا صَفِيَّ اللَّهِ ، طَالِباً أَنْ تُوجِّهَ إِلَى التَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ أَوْلِيكَ الْمُعَلِّمِينَ الْمَعْرُوفِينَ الَّذِينَ هُنَاكَ ... الَّذِينَ رُبَّمَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَنْطِقُونَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّهُمْ عَلَى صَوَابٍ ، وَلَكِنْ كُنْ مُتَأَكِّداً بِأَنَّهُمْ يُشَكِّكُونَ الْكَثِيرِينَ ، وَمَا يُضْحِكُ

منه أَنَّهُمْ لا يعرفون ماذا يَقُولُونَ وبما ينطِقُونَ .

إِنَّ الكنيسة تنظرُ إليك ، أَيُّها الورع ، فأعدِ لجاماً وخطاماً ، وألجم أفواه الَّذِينَ لا يعرفُونَ الله ، إِنَّهُمْ يدَعُونَ أَنَّ نسطور الضَّالَّ عَزَلَ ظُلماً ، دونَ أن يحيد عن الطَّرِيق السوي ، ودونَ أن يتجنَّى على المسيح ، وَهُمْ لا يَقْرُونَ أَنَّهُ مَزَج الضَّلالَ في الإيمان المستقيم المستمد من الإنجيل ، ويزعمُونَ أَنَّهُ ترفع عن حُضُور المجمع المسكُوني المقدَّس الملتئم في أفسس بإرادة الله ، ولم يتنازل إلى دُخُول الاجتماع الَّذي فيه ذلك القديس المغبُوط ، فأقول لهم (آيَّة شَرِكَة للمُؤْمِن مع الكافر وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال ٢كو ٦ : ١٤ و ١٥) بل أَنَّ ما جعلهُ يتهرب من الاجتماع - رغم دعوة المجمع له - خشيته أن يُوبخه ضميره ، بعُنف وصرامة ، وما أصدق ما قيل (الشَّرير يهرب وليس من مُطارِد) وكان هُنَاكَ أمر آخر دعاه إلى التَّهْرَب من الاجتماع بالآباء القديسين ذوي الإيمان المستقيم ، هو كونه غير مُؤْمِن ... فلو كان يحمل عقيدة صحيحة لحضر الاجتماع لِتُشْرِق عقيدته أمام الحاضرين ، الَّذِينَ ينطبق عليهم قول الرَّب (كُلُّما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أَكُون بينهم) فإذا اجتمع اثنان أو ثلاثة في سبيل الخير فالمسيح يحضر بينهم حقاً ، أمَّا الَّذِينَ يخشُونَ الظُّهُور في ذلك الاجتماع فلا نصيب لهم فيه ، فكيف لا ينجل الَّذِينَ يُحاولُونَ الإقلال من منزلة المجمع المقدَّس الَّذي اجتمع في أفسس ، ويُحاولُونَ عزله عن مجمع نيقية وهدف كليهما واحد ؟ فقد اجتمع كلاهما في سبيل اسم المسيح ، الأوَّل طرد أريوس والثَّاني نسطور ، والأوَّل لم يدع ضلالاً في الدُّنيا والثَّاني أيد ما قرَّره

الأول ظافراً لإكليل لا يُدوى ..

(هُنا الرّسالة مخزومة ونجد منها السُّطور التّالية) :

إنّها تُبكِت الذين يُشرِفون على الضّلال ، فلا أعلم كيف تفسّنت الشُّكوك في الكنائس ، وذلك ليس منّ الذين في المشرق فحسب ، بل منّ الرّهبان الفضلاء الذين عندنا والذين زاروا المشرق وعادوا ، إنَّهُم يَجُولون في أديار الأسكندرية ناشرين تلك التّعالم بين الذين أفلتوا من شرّك الدُّنيا ، إنّ هؤلاء هم في اضطراب وهياج ، وهم يقولون أنّ الذي سبّب هذا القلق تُسلمه إلى دينونة الله ، فتأمّلوا أيّها المغبوط ، في أي بحران نحن أيضاً مُتخبطون ، وماذا يجب أن نعمل لاستدراك هذه الأمور ، نأمل أن تُقرأ رسالتنا هذه في اجتماع عام ، فإذا كان أحد يُشكك أحد هؤلاء الصغار يستحق دينونة قاسية ، فالذي يزيج كلّ هؤلاء الرّهبان في هذا البحر الهائج من الشُّكوك فأي مصير رهيب ينتظره ؟ ولكن يجب أن نُؤمن أنّ ربنا يُمكنه القضاء على هذه الشُّكوك وهذا القلق ، فبه نحيّا ونتحرّك ونُوجد^(٤) .

دراسة الرّسائل الثّلاث

علمنا أنّ مجمع أفسس الأوّل سنة ٤٣١م أصدر أحكاماً بحق أصحاب عقيدة التثنية المتطرفة ، فحقّدوا بعنف على آباء المجمع وعلى الكنيسة جمعاء وشرّعوا يُعدّون العُدّة للانتقام ، ليس من أولئك الآباء ، وخاصّةً القديس كيرلس فحسب ، بل من الكنيسة المسيحيّة عامّةً ، وراحوا

(٤) أعمال مجمع أفسس الثّاني ص ٢١٥ - ٢٢٥ .

أولاً ينشرون دعوتهم في كل مكان ، بطريقة انتقامية جامحة ، وذلك في أنطاكية والرّها والمشرق ، ففي أنطاكية بذل ثيودوريطس أسقف قورش أقصى الجهود في نشر هذه الدعوة ، تحت سمع دومنوس رئيس أساقفة أنطاكية وبصره ، وبرغبته التامة وتأييده ، مما يؤكد أن دومنوس لم يكن أقل منه تأييداً ودعماً لهذه الفكرة ، ونتج عن ذلك سقوط كنيسة أنطاكية وكثير من أسقفياتها تحت تأثير ثيودوريطس وأعوانه ، الأمر الذي أصبح يهدد الكنيسة بأفدح الأخطار ، وربما بذلت بعض الجهود لملافاة ذلك إلا أنّها جميعاً باءت بالفشل لأنّ ثيودوريطس كان يبذل أعظم النشاطات في نشر هذه الدعوة ، ولم يبق من يقاومه ، ويوقفه عند حدّه ، لتأييد دومنوس ذاته لفكرته .

أمّا في الرّها ، فقد راح هيبا منذ جلوسه على كرسي مطرانيته يبيث هذه الدعوة رغماً عن مقاومة سائر طبقات إكليروسها له ، وسرى الداء إلى كثير من أسقفياتها ، وخاصةً حران ، وكذلك في المشرق ، فكان الدّاعية الأكبر ماري أسقف فارس وغيره من الأساقفة المتحمسين لهذه الفكرة .

من المعروف أنّ ديسقوروس تبوأ الكرسي الأسكندري سنة ٤٤٤ م وفي مُستهل أعماله البطريركية ، أخذ يذود عن الإيمان المقرّر في مجمع أفسس المسكوني ، فبذل في هذا السبيل أعظم الجهود ، إلا أنّ الأمور كانت تتأزم يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر ، وخاصةً في أنطاكية للسبب الذي عرفناه الآن ، وشعر ديسقوروس أنّ الفكرة النسطورية الأثينية كادت تطغى على

الكنيسة في الشرق كُله ، فثارت فيه الغيرة للرَّب ، ورأى أن يُوجِّه رسالة إلى دومنوس رئيس أساقفة أنطاكية يُحذِّره بها مِنْ مَغَبَّة الموقف الحرج الذي تقفه كنيسة أنطاكية ومُطرانيتها وأُسُقُفياها ، بتأثير ثيودوريطس وغيره مِنْ الدُّعاة ، ويهيب به إلى مُعالجة هذه المشكلات الإيمانيَّة وهو يأمل أن يَكُون دومنوس مع الإيمان لا عليه . ونحن إذا تغلغلنا في مُحتويات هذه الرِّسالة الأولى إلى دومنوس تتضح لنا الحقائق التَّالية :

١ . غيرة ديسقوروس على وديعة الإيمان وسيره الحثيث على نهج سَلْفه ومُعَلِّمه القديس كيرلس ، وشُغوره بالمسئولية الكُبرى الملقاة على عاتقه في الدِّفاع عن تلك الوديعة الغالية ، ولم يُرِدْ مُعالجة هذه المشكلات بالطُّرق السلبية ، بل سَلَك طريق الحكمة والإيمان والحذر الشَّديد لا ليخدع دومنوس بل لإيضاح الطُّرق الواجب سُلوكها في مُعالجة قضايا الإيمان ، وعلى هذا الأساس يفتح رسالته الأولى بهذه الكلمات (إِنَّهُ لِيُدهِشني حقاً كتاب الله حيث يُنادي : وإن استطعتم اتَّبِعُوا السَّلام مع الجميع) (أخذاً عن رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ١٢ : ١٨) .

في هذه الآية تنحصر الطَّريقة الَّتِي أراد ديسقوروس مُعالجة ضمير دومنوس لِيُشعرَهُ أَنَّ السَّلام هو رائد الكنيسة وبه تثبَّت أُسُس الإيمان ، ثُمَّ يلفت نظره إلى أولئك الذين أخذوا يُنفِثون سُمووم التفرقة بين صُفوف الكنيسة ، ومع ذلك يُؤكد له أَنَّهُ لم يزل يرغب في مُسالمتهم لاجتذابهم إلى الهدى ، ويعجب مِنْ نفسه كيف يُقدِّم على مثل هذه الخُطوات فيردف

قوله : (وإني حقاً لأعجب - يا مُحب الله - كيف قرّرت أن أكون
بسلام مع الَّذِينَ يكرهون السّلام) .

إننا نلاحظ هنا حكمة بالغة ، في هذا التعبير الرَّائع ، فإنّ ديسقوروس
يُحاول عزل مُخاطبِهِ دومنوس عن (الَّذِينَ يكرهون السّلام) وعليه يقول له
(يا مُحب الله) رغبة منه في إثارة ضميره ، نحو الخير ، وجذبه إلى الاهتمام
برداء الصّدوع الكثيرة التي أحدثها زميله ثيودوريطس في صميم كنيسة
أنطاكية بالذّات .

كان ديسقوروس يشعر شعوراً أكيداً أنّ هناك مَنْ يتجنّى عليه لوقوفِهِ
موقفاً حازماً ضد تلك التيارات العنيفة ، ولكن الضمير الذي رسخت فيه
قوّة الإيمان وشجاعة المبدأ ، يعتبر كلّ ذلك من الهينات السّائغات ، فهو
مُستعد كلّ الاستعداد للتّسامي فوق ذلك التّجني ، في سبيل الإيمان ،
وعليه يعود فيقول ” فو إن كان النَّاس يتجنّون عليّ فإنّي أربأ بنفسي
وأترفع عن أن أبادلهم هذا التّجني ، حتّى وإن حاولوا ضربي ، ونفّذوا
ذلك بالفعل فذلك لا يغيظني ، وأمّا أن أهدّد بالإساءة فذلك ليس من
شيمتي “ .

إنّ ديسقوروس يترفع عن كلّ ذلك لأنّ همّه الوحيد صيانة الإيمان ،
وهو مُستعد أن يبذل في هذا السبيل كلّ ما يملك من قوَى رُوحية وعقلية ،
وعليه يقول : ” أنّ كلّ همّي هو أن أُعلن أنّ المسيح هو الواحد الوحيد
وابن الله البكر ، وفي يده كلّ شيء ، تأنّس من أجلنا ، ولم يطرأ عليه ظلّ
من التّغيير مُطلقاً “ .

٢. يُنبه مُخاطبهُ ، دومنوس إلى الأخطار الكُبرى الَّتِي طَوَّقَ بِهَا أَوْلِيكَ المنحرفُونَ كنيسته الأنطاكيَّة بالذَّات ، ثُمَّ يُؤكِّد أَنَّهُ لَنْ يَقِفَ مِنْ ذَلِكَ مَوْقفَ المتفرِّج ، بل سيضرب بيدٍ مِنْ حديدٍ على كُلِّ يدٍ قد تمتد للمَسِّ بوديعة الإيمان ، فيتابع قوله : ” أَنَّ الَّذِينَ خمدت المعرفة في ضمائرِهِمْ فارتقوا المناصبَ الكُبرى بإيمانٍ عاثر ، يتشدَّقون بالكُفر ، والضَّلال ، ويهبطون بسرِّ أعمالِ الرَّبِّ العميقِ الغورِ إلى حيث لا يليق ، فأقف مصعوقاً وأقول لا .. لا يُمكنني التَّساهلُ معهم ، فأنا لَهُمْ بالمرصاد مُسترشداً بالحكيم القائل : كُلُّ شيءٍ جميلٍ في حينه ، للحرب وقت ، وللِسلمِ وقت ، للعملِ وقت ، وللغيرةِ للرَّبِّ وقت “ .

وعلى ذلك أَنَّهُ يُسالم إلى حُدودٍ مُعيَّنة : طالما الأمر لا يمس بصميم الإيمان ، ولكن أَوْلِيكَ الَّذِينَ (خمدت المعرفة في ضمائرِهِمْ) و (يتشدَّقون بالكُفر والضَّلال ، ويهبطون بسرِّ أعمالِ الرَّبِّ إلى حيث لا يليق) فَإِنَّهُ لا يُهادنُهُمْ ، ويهيب بدومنوس أن يقتدي بهذه الغيرة ، لأنَّ السَّلام في حينه جميلٌ وواجبٌ ، إلَّا أَنَّ الجِهَادَ لدرءِ الخطرِ عن الإيمان وللغيرةِ للرَّبِّ أكثرُ وُجُوباً ، ويظهر أَنَّ ديسقوروس كان يأمل أن يُثير حماس الإيمان في ضمير دومنوس ، لأنَّهُ يُنزهُهُ مِمَّا اتَّصفَ بِهِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ خمدت المعرفة في ضمائرِهِمْ .

وبعد أن يشرح له ما أُحدِّقُ بكنيسة أنطاكية مِنْ الأخطار بتأثير أَوْلِيكَ الدُّعاةِ في قُلُوبِ أبناءِ كنيسة أنطاكية ، يُثير فيه النخوة فيقول : ” حيث يطلبُ النَّاسُ الترياقَ والعزاءَ يُقدِّمُ لَهُمُ السُّمَّ والخيبةَ ، إِنِّي واثقٌ

بأنك تستطيع منح الشفاء لتلك النفوس - يا تقي الله - فتقدم لها ترياق الشفاء بالقول والعمل .“

هذا هو الأمل الذي يُعلِّقه ديسقوروس على دومنوس ، فهو إلى الآن يؤكد له أنه يعتبره قادراً على إيقاف تلك السموم ، بترياق التعاليم السليمة ، وهو باعتباره (تقي الله) هو جدير بأن يحمل راية الإيمان المستقيم بالقول والعمل .

٣. يطلب إليه تنبيه ثيودوريطس إلى كل ذلك ، ما هو أجدر من غيره بتصدر ذلك في جمهور المؤمنين ” العجيب في الأمر أن يتزاحم جمهور المؤمنين بقربك - يا ذا الكمال الروحي - فيقف الماكرون لإلقاء التعاليم المضللة في تلك المسامع ، وعهدي بأسقف قورش الحكيم أن يلوذ بالحكمة ، ولا غرو فإنه في جوارك “ إننا نلمح هنا مقدرة عظيمة في التعبير وسلوك طريق الحكمة لدرء الأخطار عن الإيمان ، فديسقوروس يُخاطب رجلاً يعتبره (ذا الكمال الروحي) ولم يأسف أن يقول أيضاً ” وعهدي بأسقف قورش الحكيم أن يلوذ بالحكمة “ مع معرفته التامة بطوية الرجل ، ولكنّه هنا يُخاطب رجلاً (ذا الكمال الروحي) فأنت ترى بأية طريقة حكيمة يُعالج هذه الأمور ، للحفاظ على وديعة الإيمان .

بعد هذا كُله يدخل إلى صميم موضوعه اللاهوتي فيقف مصعوقاً أمام إنكار ألوهة المسيح ، الأمر الذي يؤلمه أشد الألم فيقول ” لدومنوس “ أواه ... إنه ” ثيودوريطس يمزق عمائوثيل بقوله أن إنساناً بسيطاً وُلِد ، أو أن الذي تجسّد إنما هو مجرد إنسان ، غير مُدرك أن ثوما سجد له كإله

حق “ وينتقل من هذه اللهجة إلى لهجة التوبيخ الصارم فيخاطب دومنوس قائلاً : ” إِنَّهُ مَكْتُوبٌ - جاء الزَّمان لأُعلنها مدوية - فأقول : إلى أين بلغت ؟ إِنَّكَ سَعيت في درب الضَّلال ، وانحرفت عن الطَّرِيق السوي ، إحجم عن مُقاومة الكُتُب المقدَّسة ، وضع على فمك مغلقاً ولجاماً ، إحجل من صوت الآب الَّذي أرعد من السَّماء قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الَّذي به سُررت ، لا تُمزق إلى اثنين ربنا يسوع المسيح ، الواحد ، ولئن صَارَ جسده من العذراء ، إلاَّ أَنَّهُ مع أَخذه الجسد ذا النَّفس العاقلة ، استمر إلهاً مثلما كان “ وهكذا يمضي في إيراد الآيات الكتابية مؤيداً ألوهة الرَّب ، الأمر الَّذي من أجله أنشأ هذه الرِّسالة .

٤ . يُذكَر دومنوس بوحدة الإيمان التي عُقدت بين أنطاكية والأسكندرية على أثر المصالحة التي جرت في مجمع حلب بين يوحنا الأنطاكي وكيرلس الأسكندري سنة ٤٣٢م ويهيب به اتباع ذلك النهج في العمل على استمرار تلك الوحدة في الإيمان ، ويُضفي عليه النُّعوت الجليلة فيقول : ” أَعُود إليك ، يا مُحب المسيح ، يا حَبْر أنطاكية ، يا أخي ، تأمل إِنَّهُ (يُوحنَّا) لم يألُ جهداً من دعم وحدة الكنيسة عندنا وعندكم “ ، وكان قبل هذه الجملة قد ذكَّره بالتعاليم السليمة التي أيدها المجمعان النيقاوي والأفسسي الأول إلى أن يقول : ” هذه أيضاً أيدها الطَّيِّب الذِّكر يُوحنَّا الَّذي كان أسقفاً قبلك يا تقي الله “ الأمر الَّذي كان يأمل منه إثارة الغيرة في قلب دومنوس لينهج على غرار سلفه يُوحنَّا في تأييد هذه الوحدة في الإيمان .

ثمَّ يطري عهد تلك الوحدة بين أنطاكية والأسكندرية وقوتها ، ويُحذّر من انفصام عراها بسعايات أولئك المفسدين فيقول : ” الوحدة التي لا يقوى على تمزيقها أولئك ، لقد تجرّدوا ضدها ، وأوشكوا أن يفصموا عهد السّلام ، وهُم لا يشعرون ما أجد عهد السّلام “ وهو طبعاً يرمي من وراء ذلك إثارة شعور دومنوس للحفاظ على هذه الوحدة الثّمينة بين الكرسيين الرّسولين .

٥ . يُقابل الكاتب بين تعاليم القديس كيرلس وأضاليل أعداء الوحدة والإيمان ، ويثني على ذلك الرّجل الرّسولي مُعلّمه وسلفه أعطر الثّناء ، ومن وراء ذلك يرمي إلى اطراء الإيمان المستقيم المقرّر في مجمع أفسس المسكوني ، ويجعل تلك التّحديدات المجمعية أساساً لسّلام الكنيسة عامّة ، ويؤكد أنّ ما يُضادّها إنّما هو مُدعاة للقلق والشُّكوك في قلوب المؤمنين ، ويُحذّر تحذيراً شديداً من التواني ويحث على الجهاد المثمر في سبيل تأييد إيمان الجامع الثّلاثة ، وبعد أن يُظهر جميع الأخطار التي تُهدّد الكنيسة والتي أوشكت تُطفئ قوّة الجهاد الحق فيها يقول : ” رأيتُ من الواجب أن أكتب إليك - يا صفيّ الله - بدالّة وحب يلتقيان بالأخوة ، وأُحيطك علماً بكلّ شيء ، وخاصّةً ما يُعزّز كرامة المسيحيّة ويرفع من شأن مراعيث المسيح “ .

وهذا أروع تنبيه يُسديه ديسقوروس لدومنوس ، وهو يرمي من ورائه إبقاءه إلى جانب الإيمان ، وفي صف المدافعين عنه والمحافظين عليه ، والمناهضين للأضاليل التي كان يُنادي بها ثيودوريطس وغيره من المتزمّتين .

وقبل ختام هذه الرسالة الرائعة يطري حكمة دومنوس ويُزيد في حثه على حفظ هذه الأمانة الثمينة بدالة أخوية فيقول : ” أمّا أنا فلا أعتقدك - يا تقيّ الله - مجرداً من الحكمة ، عهدي بك تسمع نداء الأخوة وتقبل ضراعتهم “ إلى أن يقول : ” أطلب إليك أن تُراعي المحبة والصدّاقة المتبادلة بيننا بالمسيح “ ويختتم الرسالة بهذه الجملة ” ولا شك أنّك ستذكرنا وتُصلّي من أجلنا “ .

إذا تأملنا بهذه الرسالة الجليلة نجد أنّ الصورة الرائعة التي رسمتها ريشة المؤرخ زكريّا الفصيح للقديس ديسقوروس مُشرقة المعالم فيها ، حيث قال : ” كان ديسقوروس رجلاً مُسالماً ومُجاهداً “ وفي مطلع هذه الرسالة تبرز نخلة المسالمة بأروع مباحجها ، في تأكيد السّلام وعدم مُكافحة الشرّ بالشرّ ، وتحمل الأذى في سبيل الإيمان ، وبعد ذلك نجد الآيات البيّنات للجهاد تترى حتّى النّهاية ، فينطبق ما قاله هذا المؤرخ بحق هذا الرّجل الرّسولي المسالم من جهة والمجاهد من جهة ثانية .

جواب دومنوس على هذه الرسالة :

تلقى دومنوس هذه الرسالة الجليلة وتظاهر بالاهتمام البالغ لِمَا وَرَدَ فيها من نصوص ثمينة ، والأظهر أنّ اهتمامه كان صورياً فقط ، لأنّه لم يُحاول عمل أي شيء ضد زميله ثيودوريطس وأصحابه في كنيسة أنطاكية وفي سائر أسقفياتها ، وقد كتّب دومنوس جواباً على هذه الرسالة وفيه كثير من اللف والدوران ، وممّا يُؤسف له فقدان مُعظم رسالة دومنوس هذه ، إلّا

أنَّ القسم الباقي منها يُظهِر الحالة الَّتِي كان فيها دومنوس على أثر اطلاعه على رسالة ديسقوروس ، فهو يَكِيل له المديح مِنْ جهة وَمِنْ جهة ثانية يُؤكِّد له أَنَّ أساقفة المشرق راسخون على المبادئ اللاهوتية الَّتِي قرَّرها الآباء القديسون المجتمعون يوماً في نيقية ، ويظهر أَنَّهُ كان يعني بـ (أساقفة المشرق) زملاءه المنادين بالثنوية المتطرفة ، ويذكر أَنَّ (طومسات) كثيرة أرسلت إلى الأسكندرية مِنْ قَبْل كثيرين في عهد كيرلس ، وهو يُشير بذلك إلى مُراسلة زُبَّما جرت بين أنطاكية والأسكندرية في عهد رئيسي أساقفتيها كيرلس ويوحنا . ويُحاول تطمين مخاطبه بأنَّ شيئاً ضد الإيمان لم يحدث .

إننا نستدل مِنْ هذا ، إمَّا أَنَّ دومنوس كان يعتقد أَنَّ المبادئ الَّتِي يُنادي بها ثيودوريطس وأعوانه هي مُطابقة لمبادئ الجامع المسكونية الثلاثة، وإمَّا أَنَّهُ يتجاهل ما يُريده ديسقوروس في رسالته هذه ، والأغلب أَنَّ دومنوس سَلَكَ طريق التمويه مُفترضاً أَنَّ ذلك ينطلي على ديسقوروس أو على الأقل يُسكته وإن كان لا يُقنعه ، لأنَّ المبادئ المحرَّفة الَّتِي ذكرها في رسالته والَّتِي كانت تُنشر علناً في كنيسة أنطاكية وغيرها مِنْ كنائس الشرق كانت معروفة جيِّداً لدى ديسقوروس .

إنَّ دومنوس يعترف صراحةً أَنَّ هناك مِنْ الَّذِينَ يَقُولون بغير الحق ، وهو يعني بهم أولئك الَّذِينَ أشار إليهم ديسقوروس في رسالته ، وهو يعد ديسقوروس بأنَّهُ سيحملهم على الإذعان للحق طبقاً لِمَا يُريده ، فيقول ” وأمَّا الَّذِينَ يَقُولون بغير الحق ، فقد حتمنا عليهم أن يتعلَّموا مِنْ قداستِكُم الخُضوع للإيمان الَّذِي قرَّره الآباء القديسون في نيقية ...

والمؤيد في مجمع الأساقفة القديسين الذين التأموا في أفسس .

ثمَّ يُشير دومنوس إلى قيمة الرِّسائل الَّتِي كَتَبَهَا يُوحنا الأنطاكي وأوضح فيها العقيدة السليمة المستمدة مِنْ تعاليم القديس أثناسيوس الرِّسولي ، إلى أن يقول : ” وقد بذلنا جهدنا إلى إقرار تلك العقائد في عُقول النَّاس ، ولم نَكُنْ نفعل ذلك لولا تمسُّكنا الرِّاسخ بها تمسُّكنا بالحقيقة المطلقة ، وقد عملنا على نشرها وتأييدها “ .

يتضح مِنْ هذا النص الأخير أَنَّ دومنوس يُراوغ مُراوغة مُبطنة بدليل عدم تعرُّضِهِ للخطْب الَّتِي كان يُلقِيها ثيودوريطس في كنيسة أنطاكية تحت سمعه وبصره لا مِنْ قريب ولا مِنْ بعيد ، وممَّا يُؤكد ذلك أَنَّهُ لم يذكر نوع تلك العقائد الَّتِي بذَل جهده في إقرارها في عُقول النَّاس ولم يشرح العقيدة الَّتِي كان يتمسِّك بها (تمسُّكِهِ بالحقيقة المطلقة) كما فعَل ديسقوروس فلم يكتفِ بالإشارة إلى عقائد الإيمان الَّذِي قرَّره آباء المجمع فحسب ، بل ذكَّر الوحدة في المسيح وشجَب الأثنيَّة صراحةً ، ودعاها تمزيقاً ، الأمر الَّذِي لم يجاره دومنوس .

وقبل القسم المخروم مِنْ هذه الرِّسالة بقيت جُملة واحدة سالمة تابعة للجُملة السَّابقة ، تُخص المخالفين أو على الأقل الَّذِينَ يعتبرُهُم دومنوس كذلك فيقول في حقِّهِمْ ” أمَّا الَّذِينَ لا يثبتون في السَّلام ويُحبُّون المشاغبات ، ليس فقط ... “ إلى هُنا ينتهي القسم السالم مِنْ هذه الرِّسالة ، ويُفهم مِنْ هذه الجُملة أَنَّ دومنوس قال شيئاً بحق هؤلاء النفر مِنْ النَّاس رُبَّمَا ينعي عليهم مُشاغباتِهِمْ في الكنيسة وإثارتِهِمْ القلق فيها ،

إلا أننا لا ينبغي أن نتكهن شيئاً آخر في هذا الموضوع الخطير . وإننا متأكدون أنّ رسالة دومنوس لم تروِ غليل ديسقوروس في حينه لعدم ذكر طابع الإيمان صراحةً بل بطريقة مُبهمة كما رأينا .

ويظهر أنّ دومنوس يُقدّم بعض الوعود الصّالحة في مضمار الإيمان بدليل السُّطور الباقية من نهاية هذه الرّسالة حيث ترد فيها هذه الكلمات ” في كلّ ما لله تخرس الألسنة الوقحة وتطلب إلى الذين خُدِعُوا بتلك السّفاسف بالألّ يلتفتوا إلى مكذوب الكلام “ إلا أنّ هذا أيضاً لم يكن كافياً لإقناع ديسقوروس بأنّ دومنوس سيُقوم بعمل حاسم في هذا المضمار .

رسالة ديسقوروس الثّانية إلى دومنوس :

علمنا أنّ ديسقوروس لم تروِ غليله رسالة دومنوس تلك ، لِمَا فيها من الغموض وعدم التّصريح بطابع الإيمان ، أو بحقيقته ، وتوهّم دومنوس أنّ ذلك كافٍ لاسكات صديقه ديسقوروس وإن لم يكن كافياً لإقناعه ، وعليه فقد وجّه ديسقوروس رسالة ثانية إلى دومنوس يُورد فيها الرّغبة نفسها التي أوردتها في رسالته الأولى .

في هذه الرّسالة الثّانية لا يظهر ديسقوروس أنّه يئس من دومنوس بالقيام بعملٍ ما لاسكات ثيودوريطس ، وأعوانه في أنطاكية وبقية أسقفياتها ، فيعيد الكرة من جديد وهو يرمي من ذلك تجديد الهمة في هذا الرّجل الذي ظهر فاقد اللب فاطر الشُّعور في الرّسالة التي كتبها وفي عدم

القيام بأي عمل من شأنه يُسكِّت أولئك المشاقين . وبعد إظهار الأسي الشديد والحُزن العميق على ما آلت إليه الكنيسة من التدهور ، في مهاوي الضلال يقول : ” إنِّي أرغب دائماً أن أكتب في المحبة والسَّلام وأتلِّق ما يُشبه ذلك ، وهذه أمنيّتي للكنائس المتوجة بوحدة كاملة المتمتعة بإيمان واحد “ وهو يقصد وحدة الهدف والإيمان بين كنيسة أنطاكية والأسكندرية ، وأمنيتهُ الغالية في الحفاظ على وحدة هاتين الكنيستين الرّسوليتين .

في هذه الرّسالة الثّانية يظهر ديسقوروس يأساً أمام التّيارات العنيفة الّتي أخذت تحتاح الكنيسة في أنطاكية ، ويُشير إلى أنّ الطّريق صعب وطويل وشائك ، ويحتاج إلى جهاد عنيف صارم ، إلّا أنّه لا يرى في الأفق ما يُبشّر بشيء من الأمل ، ويعود فيوجبّ بذل كلّ تضحية في هذا السبيل ، وإلّا لِمَا أمكن عمل شيء يُعيد الحق إلى نصابه ، ويُعلن أنّ المجاهدين في سبيل الإيمان لا يكفي أن يتكلّموا فحسب ، بل يحتاجون إلى جهاد عنيف مُستمر ، واحتمال الضيقات والاستمرار في مُجابهة الضّالين مُجابهة قوية حازمة ، وعدم النكوص على الأعقاب ، وكأنيّ به يُعيد إلى الأذهان ما قاله القديس أفرام الشّرياني في هذا المعنى (كُنْ صارماً ضدّ مَنْ يُحاول إلقاء الضّلال في حقيقتك) ويجد أنّ أروع آية يُمكن اتخاذها شعاراً لهذا الجهاد قول الرسول بولس ” مَنْ يفصلنا عن محبة المسيح أشدّة أم ضيق الخ “ ويهيب بدومنوس أن يتخذ ذلك شعاراً لجهاده فيقول : ” ولما كُنْتُ مؤمناً بهذه الطّريقة مُقتنعاً بهذا التّعليم جئتُ أكتبُ إليك - يا

صفي الله - طالباً أن توجه إلى التّعليم الصّحيح أولئك المعلّمين المعروفين الذين هناك ... " خشية أن يزيد في الشُّكوك وإلقاء بذار الضّلال في القلوب الوديعة المؤمنة ، إلى أن يقول : " أن الكنيسة تنظر إليك - أيها الورع - فأعد لجاماً وخطاماً والجّم أفواه الذين لا يعرفون الله ... " .

وهنا حديث إلى دومنوس واطراء ليس بعده من اطراء ، بحيث يُشعره أنّ الكنيسة تنظر إليه كآخر أمل لها يُمكنه القيام بعمل حاسم ضد أولئك المعلّمين المضلين ، وهذا لعمرى لو أدركه دومنوس لتحوّل إلى مجاهد صنيدي في سبيل الإيمان ، إلاّ أنّه يظهر أنّ دومنوس لم يُحاول القيام بأي عمل مجد في هذا السبيل .

ثمّ يُصور ديسقوروس عدم حُضور نسطور الجُمع أمام دومنوس عدم ثقته بنفسه ، وعدم استطاعته الدّفاع عن نظريته مُواجهةً أمام أساقفة أفسس ، ويقول في هذا الشأن :

" إنّ ما جعله (نسطور) يتهرّب من الاجتماع - رغم دعوة الجُمع له - خشية أن يُوبخه ضميره ، ... فلو كان يحمل عقيدة صحيحة لحضّر الاجتماع لتشرق عقيدته أمام الحاضرين " وديسقوروس يرمي من وراء ذلك أنّ الذين يُنادون بهذه العقيدة هذا كان شأنهم ، فما بال دومنوس يسير في ركبهم ؟

في هذه الرّسالة أيضاً نقص كبير ، فقد أتت يد الزّمان على قسم مهم منها ، فأبقت فقط بضعة سُطور منها ، ولكنها مع ذلك تكفي لإيضاح حقيقة تاريخيّة جديدة في هذا المضمار ، وهي أنّ رهباناً من أديار

الأسكندرية أموا المشرق بقصد العبادة ، فوقعوا في حبال ثيودوريطس وأعوانه ، من دُعاة التشنية المتطرفة ، فانقلبوا إلى مناسكهم في مصر وأخذوا يتحدثون بهذه الفكرة بين زملائهم من النساك هناك ، وفي هذا المضمار يقول ديسقوروس : ” فلا أعلم كيف تفسدت الشكوك في الكنائس ، وذلك ليس من الذين في المشرق فحسب ، بل من الرهبان الفضلاء الذين عندنا ، والذين زاروا المشرق وعادوا ، إنهم يجولون في أديار الأسكندرية ناشرين تلك التعاليم بين الذين أفلتوا من شرك الدنيا “ ويظهر أن تأثيرهم كان سيئاً جداً في تلك القلوب الوديدة ، فأثار في تلك النفوس الهادئة الوادعة قلقاً واضطراباً ، مما جعل مناسك مصر - منبت القديسين - في غليان وهياج . يقول ديسقوروس : ” أن هؤلاء هم في اضطراب وهياج ، وهم يقولون : أن الذي سبب هذا القلق نُسلمة إلى دينونة الله “ .

ثم يهيب بدومنوس إلى التأمل في هذه الحالة المؤلمة ، التي بذرت تلك الشكوك في نفوس كانت بالأمس هادئة نقيّة فأضحت تضطرب كالبحر الهائج ، يقول : ” فتأملوا أيها المغبوط في أي بحران نحن أيضاً متخبطون ، وماذا يجب أن نعمل لاستدراك هذه الأمور ؟ “ .

يسيطر ديسقوروس أمام دومنوس أخبار الداء الويل الذي تفسى في كل مكان ، وهو يطلب إليه ، أن يكون معاوناً لدرء خطر هذه الشكوك عن سائر مرافق الكنيسة ، ويختم الرسالة بقوله : ” فإذا كان أحد يشكك أحد هؤلاء الصغار يستحق دينونة قاسية فالذي يزعج كل هؤلاء الرهبان في هذا البحر الهائج من الشكوك فأي مصير رهيب ينتظره ؟ “ .

مع هذا كُلُّه يبقى ديسقوروس مُؤمناً بالإيمان كُلِّه ، بأنَّ الرَّبَّ قادر على إنقاذ الكنيسة مِنْ هذه الحال المضطربة الشاذَّة ، فيجعل مِنْكَ خِتام الرِّسالة الكلمات التَّالية : ” ولكن يجب أن نُؤمن أنَّ ربنا يُمكنه القضاء على هذه الشُّكوك وهذا القلق ، فبه نَحيا ، ونتحرَّك ونُوجد “ .

بعد الوقوف على قُوَّة رسالتِي ديسقوروس إلى دومنوس يُمكننا التَّصريح

بما يلي :

أنَّ ديسقوروس كمسؤول أوَّل في كنيسة رسوليَّة عريقة ، وُجِدَ في فترة دقيقة جداً مِنْ فترات التَّاريخ المسيحي ، كان يتوقف عليها مصير المسيحيَّة عامَّةً ، ومصير كنيسته والكنائس المتضامنة معها في الإيمان إلى أجيال كثيرة ، فوُجِدَ ديسقوروس على مُستوى تلك المسئولية الكُبرى ، ذلك لأنَّه عرف كيف يُسالم وكيف يُجاهد ، ومتى يُسالم ومتى يُجاهد ، ولماذا يُسالم ولماذا يُجاهد ، بل عرف أبعد مِنْ ذلك ، عرف لماذا عاش ولماذا مات ...

إيمان القديس ديسقوروس

ونتيجة جهاده

مِمَّا لا شك فيه أَنَّ القديس ديسقوروس الَّذِي تتلمذ للقديس كيرلس وعنه أخذ الإيمان ، ومنهُ تعلَّم الجهاد ، كرَّس حياته كُلَّها بكُلِّ ما فيها مِنْ طاقات رُوحِيَّة وفكرِيَّة لتأييد ذلك الإيمان ودعمه دعماً كُلياً وترسيخه ترسيخاً عميقاً في قُلُوب أبناء جيله وأبناء الأجيال التَّالية ، باذلاً في هذا السبيل أعظم التَّضحيات مُقاسياً أشد الآلام وأخيراً مات وعلى شفثيه بسمات الظفر الرُّوحي . وتمتت الإيمان الحق .

إنَّ طابع إيمان القديس ديسقوروس هو نفس طابع إيمان المجامع الثلاثة المسكُونِيَّة بل طابع إيمان القديس كيرلس مُعلِّمه وسَلْفُه العظيم ، وهو إعلان الوحدة في الإله المتجسَّد ، بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تلاشٍ مِنْ جهة وبدون انفصال ولا انفصام مِنْ جهة ثانية ، وهو يُؤمن الإيمان العميق بأنَّ الإله المتجسَّد إله كامل وإنسان كامل ، وبأنِّ واحد ، وهو يُعلنه على رُؤوس الأشهاد وبكُلِّ قُوَّة وثبات استمداداً عن الآباء الرُّسوليين الأوَّلِين ، وقد سمعناه في زحمة المجمع الخلقيدوني يُصرِّح بما يأتي ” لَدِيَّ شهادات مِنْ الآباء القُدِّيسين أثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس ، وفي مواطن كثيرة ، أَنَّهُ لا يجب أن يُقال طبيعتان بعد التَّجسُّد والاتحاد ، بل طبيعة واحدة

للإله المتجسّد ، وإنّي سأخرج مع الآباء القديسين فيما إذا نُفِيَ هذا الإيمان ، وإنّي راسخ على إيمان الآباء ، ولن أحمّد عنه قيد شعرة ، وليست شهاداتهم لديّ شيئاً عابراً بل هي مُسجّلة في كتاب “ (١) .

وأكد ديسقوروس في المجمع الخلقيدوني نفسه مرّة أخرى أنّه مُتمسك بهذا الإيمان إلى أبعد حُدود التمسك ، فلن يحيد عنه مهما كلفه الأمر من التّضحيات ، وحين سأله بشأن سُذوذ أوطيخا ، قال على الفور : ” إذا أنكر أوطيخا ذلك الإيمان يكون قد انحرف عن مبدأ الكنيسة العام ، ولن أحكمّ عليه بالعزل فحسب ، بل أقول أنّه مُستوجب الإحراق ، أوكد رُسُوخي على الإيمان الأرثوذكسي الذي تتمسك به الكنيسة الواحدة الجامعة الرّسوليّة ، فلا أوطيخا ولا غيره يُمكنه أن يُزحزحني عن الإيمان الذي تلقّيته عن آبائي “ (٢) .

ومع هذا كلّه لم يستطع مجمع خلقيدونية نفسه الطعن في إيمان ديسقوروس هذا ، فقد صرّح أناطوليوس رئيس أساقفة القسطنطينيّة ، وهو من الأركان القوية في ذلك المجمع بقوله : ” لم يُعزل ديسقوروس بسبب الإيمان بل لأنّه دُعِيَ ثلاث مرّات إلى المجمع ولم يحضر “ (٣) .

إنّ إيمان ديسقوروس يظهر واضحاً في أعمال مجمع أفسس الثّاني

(١) ميخائيل الكبير ٣ : ١٨٩ .

(٢) أعمال مجمع خلقيدونية - الترجمة العربيّة ص ٢٠١ - ٢٢٣ .

(٣) تاريخ زكريّا الفصيح ص ١٢١ وميخائيل الكبير ٣ : ١٩٥ .

حيث يتضح أنّ ذلك المجمع لم يلتزم لتقرير إيمان جديد بل لتثبيت إيمان آباء نيقية وأفسس ، فقد سمعناه يقول في ذلك المجمع : ” فيجب التّقيّد بمقررات المجمع المقدّسة التي عُقدت سابقاً ، والقوانين التي شرّعتها ، والتّحديدات التي أصدرتها ، فلا يسوغ لنا أن نتحدّى كلّ ذلك “ ، ثمّ يطرح السؤال التّالي على المجمع ويقول : ” أتريدون أن نُحرّف إيمان الآباء ؟ “ يُجيبه المجمع بقوله : ” مَنْ يُحرّف فليكنّ محروماً ، مَنْ يُزور فليكنّ محروماً ، سنحفظ إيمان الآباء “ .

فيعلّق ديسقوروس على ذلك بقوله : ” راحة لضمير الجميع وتأيداً للإيمان وقضاءً على الأحداث الطارئة ، أُؤيد مبادئ نيقية وأفسس “ (٤) وعلاوة على ذلك فقد صرّح ديسقوروس بوحدة المجمعين وبالتّالي بوحدة إيمانهم الذي إياه يؤيد ، قال : ” ولئن قيل مجمعان إلاّ أنّهما يؤمنان إيماناً واحداً “ (٥) ثمّ يردف قوله ” لأنّ الله أيضاً يسمع أصواتكم ويقبلها وكذلك أنتم تقبلون ما هو حق وجميل لدى الله فليكنّ محروماً مَنْ يبحث أو يُقرّر أو يُعلّم خلافاً لِمَا قرّر سابقاً ، مِنْ قِبَل الآباء المقدّسين الذين اجتمعوا في مدينة نيقية والآباء الذين التأموا هنا “ وعربوناً لإعجاب المجمع بكامل هيئته يهتف الآباء فيه : إنّ هذا لصوت الرّوح القدس ، يا حارس القوانين ، يا حامي الإيمان ، ديسقوروس رئيس الأساقفة (٦) .

(٤) أعمال مجمع أفسس الثّاني ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٥) فيه ص ٢٨٤ .

(٦) فيه ص ٢٨٥ .

وإذا أردنا الاستزادة مِنَ التَّثْبُتِ مِنْ إِيْمَانِ دِيسْقُورُوسِ يُمكننا المُرُورَ برسالتِهِ إلى زُهَبَانَ هِنَاطُونَ الَّتِي كَتَبَهَا مِنْ المِنْفَى ، حيث يعزُو جميع الأعمال الَّتِي قَامَ بِهَا الرَّبُّ إلى (الواحد) وأخيراً يُصَرِّحُ بقوله ” اعترف به واحداً وهو بذاته رب ومُخْلِصٌ ولثَنٌ صَارَ بِعَطْفِهِ إِنْسَاناً فَتَمَسَّكُوا بِإِيْمَانِ الآبَاءِ الأَرْتُوذُكْسِيِّينَ “ (٧) .

إنَّ تصرِيحاتِ دِيسْقُورُوسِ عن إِيْمَانِهِ هي سيف ذو حَدَّيْنِ فهو مِنْ جهة يُعلن الوحدة الكاملة غير المنفصلة في الإله المتجسِّد ويُعارضُ التثنية سواء في الطَّبِيعَةِ أو في الأَقْنُومِ ، وَمِنْ جهة ثانية يشجُبُ الوحدةَ المبنية على الامتزاج والاختلاط والتَّلاشي ، وعليه يُعلن أنَّ الجسد الَّذِي أخذهُ الإله المتجسِّدُ مِنَ العذراءِ هو مِنْ طَبِيعِنَا وليس غريباً عَنَّا ، فَإِنَّهُ يُصَرِّحُ في رسالته الَّتِي كَتَبَهَا مِنْ المِنْفَى إلى ساقوندينا يَقُولُ : ” لا يَقُولَنَّ أَحَدٌ أَنَّ الجسدَ المقدَّسَ الَّذِي أخذَهُ رَبُّنَا مِنَ العذراءِ هو غريبٌ عن جسدنا ... إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِذَلِكَ إِنَّمَا يُكذِّبُونَ بولسَ القائل - ليس مِنَ الملائكةِ أُخِذَ بِلٍ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ “ (٨) .

وإذا أردنا الغوصَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، إلى عُمقِ تعاليمِ دِيسْقُورُوسِ فعليتنا برسالتِهِ الأولى إلى دومنوس الأنطاكي حيث يُعلن ما يأتي : ” أَنَّ كُلَّ هَمِّي هو أن أُعلنَ أَنَّ المسيحَ هو الوحيدُ وابنُ اللهِ البكرِ ، وبه وفي يَدِهِ كُلُّ

(٧) أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٥٨ .

(٨) رسالة دِيسْقُورُوسِ الأولى إلى دومنوس في أعمال مجمع أفسس الثاني ص ٢٠١ - ٢١٠ .

شيء ، تأنس من أجلنا ولم يطرأ عليه ظل من التغيير مُطلقاً “ (٩) .

ويشجُب أسقف قورش بقوله : ” أواه ... إنه يُمزق عمَّانوئيل بقوله
أنَّ إنساناً بسيطاً تجسَّد ، أو أنَّ الذي تجسَّد إنما هو مجرد إنسان
غير مُدرك أنَّ ثوما سجد له كإله حق ، قلَّ له ... إلى أين بلغت ؟
إنَّكَ سعت في درب الضلال ... إحجم عن مُقاومة الكُتُب المقدَّسة
وضع على فمك مغلقاً ولجاماً ، إخجل من صوت الآب الهادر من
السَّماء - هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت - لا تُمزق إلى ابنين
ربنا يسوع المسيح الواحد ، ولئن صارَ جسداً من امرأة إلاَّ أنَّه مع
أخذه الجسد ذا النَّفس العاقلة استمر إلهاً ، مثلما كان ، واسمع
الفيلسوف بولس يسألك - هل انقسم المسيح فبماذا
تُجيب ؟ “ (١٠) .

هذا ما يُمكن تسجيله بإيجاز في إيمان القديس ديسقوروس ، هذا
الإيمان الذي حافظ عليه وبَدَل في سبيله كُلَّ الحياة الدُّنيا ، حتَّى قُضي
شهيداً وهو يترنم بهذا الإيمان .

أمَّا نتيجة جِهَاد ديسقوروس فقد كانت باهرة جداً ، إنَّه علَّم الكنيسة
كيف يُكون الجِهَاد وكيف يُكون الثبات ، وكيف تُقدَّم التَّضحيات في
سبيل الإيمان ، وقد سمعناه في رسالته الثانية إلى دومنوس يهتف مع الرِّسول

(٩) فيها أيضاً .

(١٠) فيها أيضاً .

بولس في سبيل الإيمان : ” مَنْ يَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ أَشَدَّةَ أَمِّ ضَيْقِ
الْخ ” (عن رسالة رومية ٨ : ٢٥ و ٢٦) وقد نَفَّذَتِ الْكَنِيسَةُ مَا أَرَادَهُ لَهَا
ديسقوروس فبذلت التَّضَحِيَّاتِ الْعُظْمَى ، وَأَعْطَتِ الدِّمَاءَ الزَّكِيَّةَ صِيَانَةَ هَذَا
الإيمان ^(١١) .

وْخُلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ ديسقوروس لم يَكُنْ رَجُلًا عَادِيًا ، فَقَدْ أَعَدَّهُ اللَّهُ
أَنْ يَتَسَامَى بِرُوحِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ فَوْقَ الْمَسْتَوِيَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، فِي الْمَجَالَاتِ الرُّوحِيَّةِ
وَالْفِكْرِيَّةِ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَمِنَ الصَّوَابِ أَنْ نُكْرِّرَ قَوْلَنَا أَنَّ ديسقوروس ” نَشَأَ
قَدِيسًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَنُفِيَ بَرِيئًا ، وَمَاتَ شَهِيدَ الْإِيمَانِ ” وَبُنَاءَ
عَلَى هَذِهِ الْمَقَدِّمَاتِ تَبَرُّزَ أَمَامَنَا فِي هَذَا الْمَضْمَارِ الْحَقَائِقِ التَّالِيَةِ :

١ . كَانَ ديسقوروس مِنْ أَوْلِيكَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ أَنْجَبْتَهُمُ الْبَشَرِيَّةُ فِي
تَارِيخِهَا الطَّوِيلِ .

٢ . كَانَ جِهَادَهُ ، هَادئًا حَكِيمًا تَارَةً ، وَعَنِيفًا صَارِمًا أَطْوَارًا أُخْرَى .

٣ . وَإِنْ كَانَ فَرْدًا بِمُفْرَدِهِ ، إِلَّا أَنَّ جِهَادَهُ كَانَ جِهَادَ أَجْيَالٍ لِبُنَاءِ
مُسْتَقْبَلِ أَجْيَالٍ أُخْرَى .

٤ . أَقَامَ دَعَائِمَ الْحِكْمَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالنَّظَرَاتِ الْلَاهُوتِيَّةِ عَلَى صَخْرَةِ الْإِيمَانِ
الرَّاسِخَةِ الَّتِي وَضَعَهَا رُسُلُ الْمَسِيحِ وَأَبَاءُ الْقُرُونِ الْأُولَى وَخَاصَّةً
سَلَفَاهُ الْقَدِّيسَانِ أَثَنَاسِيُوسَ وَكِيرِلُسَ .

٥ . كَانَ مَوْقِفُهُ الْبُطُولِي نُقْطَةَ انْتِطَاقٍ لِأَجْيَالٍ مُجَاهِدَةٍ فِي الشَّرْقِ كُلِّهِ

^(١١) تَارِيخُ زَكَرِيَّا الْفَصِيحِ ص ١٢٤ - ١٢٥ وَمِيخَائِيلُ الْكَبِيرِ ص ٢١٦ - ٢١٨ .

ضد الظلم والطغيان وإرساء دعائم الجهاد البُطولي للإيمان
الأرثوذكسي في الأجيال التالية .

٦ . لم تزل الحكمة الحقّة ترى فيه واحداً مِنْ أولئك القلائل الَّذِينَ
عرفوا كيف يُجاهدون وكيف يموتون في سبيل حق اعتنقوه ومبدأ
أمنوا به الإيمان المطلق .

٧ . كُلّ جهاد فكري أو رُوحى أو قومى لا يُبنى على الأسس التي
وَضَعَهَا ديسقوروس وأمثاله القلائل في التاريخ إنّما يكون جهاداً
فاشلاً لا محالة .

٨ . إنّ مبدأ قويمًا أيّده أمثال هذا الجهد الخطير لن يموت لأنّه إنّما
كُتِبَ بالدم .

٩ . ليتنا اليوم نُوقِظ فينا رُوح ذِيَاك الجهاد لنصيب أسمى الأهداف مِنْ
حياتنا الرُوحية والفكرية في جميع المجالات .

١٠ . الحق ليس دائماً للأقوياء بل للَّذين فهموا الحق فدافعوا عنه وماتوا
في سبيله .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١٣	تقــلــم للأنبــلــا غرــيغورــيوس
١٧	مُقَدِّمَة
٢٢	(١) ديسقوروس ومجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩ م
٣٧	(٢) طابع المجمع
٤٧	(٣) رئاسة المجمع
٥٤	(٤) مواقف ديسقوروس في المجمع
٥٧	١. قضية هيبا مُطران الرها
٦٢	٢. قضية دانيال أسقف حران
٦٤	٣. قضية إيريناوس أسقف طوروس (صور)
٦٥	٤. قضية أقولينوس أسقف بيلوس (جيل)
٦٧	٥. قضية سوفرون أسقف مدينة تـلا
٦٨	٦. قضية ثيودوريطس أسقف قورش
٧٢	٧. قضية دومنوس رئيس أساقفة أنطاكية
٨٠	(٥) دراسة قضية فلايانس رئيس أساقفة القسطنطينية
٩٠	(٦) قضية أوطيخا
٩١	- مَنْ هذا أوطيخا وهل للكنائس الأرثوذكسية الشرقية علاقة به ؟؟
٩٢	- فكرة أوطيخا
٩٤	- أول مَنْ ناقش فكرة أوطيخا

- ٩٧ - فلايانس يعقد مجعاً في القُسطنطينية ضد أوطيخا
- ١١٠ (٧) أوطيخا يستأنف دعواه إلى القيصر وإلى أساقفة العالم
- ١١٢ (٨) التحقيق في قضية أوطيخا في مجمع أفسس الثاني ٤٤٩ م
- ١٢٨ (٩) نتائج دراسة قضية أوطيخا
- ١٤٣ (١٠) التحقيق في نزاهة المجمع ونظامه
- ١٤٨ - قال هلفيديوس القوميس ما نصه
- ١٥١ - إلى هلفيديوس الجليل قوميس المجمع المقدس
- ١٥٨ (١١) ديسقوروس في المجمع الخلقيدوني ونفيه إلى غنغرة
- ١٦٠ ١. النواب الرومانيون يتهمون ديسقوروس بعقد مجمع مسكوني
- ١٦٤ ٢. اتهام ديسقوروس في المجمع الخلقيدوني بالأوطاخية
- ١٦٧ ٣. أعضاء المجمع الخلقيدوني يتهمون ديسقوروس بالاستبداد
- والعنف في مجمع أفسس الثاني
- ١٧٢ ٤. موقف ديسقوروس من طومس لاون
- ١٧٥ ٥. المجمع يُدين ديسقوروس لعدم حضوره
- ١٨٢ - رسالة القديس ديسقوروس كتبها من المنفى إلى رهبان هناطون
- ١٨٣ - رسالة القديس ديسقوروس كتبها إلى ساقوندينا من المنفى
- ١٨٩ (١٢) الغيرة في سبيل الإيمان
- ١٩٠ - صورة الرسالة التي كتبها القديس ديسقوروس رئيس أساقفة الأسكندرية العظمى
- ١٩٦ - جواب دومنوس إلى ديسقوروس
- ١٩٨ - رسالة القديس ديسقوروس الثانية إلى دومنوس أسقف أنطاكية جواباً على رسالته

- ٢٠٠ - دراسة الرسائل الثلاثة
- ٢٠٨ - جواب دومنوس على هذه الرسالة
- ٢١١ - رسالة ديسقوروس الثانية إلى دومنوس
- ٢١٦ (١٣) إيمان القديس ديسقوروس ونتيجة جهاده